

إِيْسِيسْكُو
ICESCO

الْمَجْلِدُ الْكَلِمَاتُ
الْمُتَلِّسِّلُونَ
الْمَجْلِدُ الْجَمِيعُونَ

دوريَّةٌ علميَّةٌ محَكَّمةٌ تُصدِّرُهَا

مُنْظَمَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلتَّرْبِيَّةِ وَالْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ

المجلد الثاني - العدد الثاني
رجب 1447 / ديسمبر 2025

منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
(إيسيسكو)

شارع الجيش الملكي، حي الرياض، ص.ب. 2275، ر.ب. 10104، الرباط، المملكة المغربية

المجلد الثاني - العدد الثاني
رجب 1447 / ديسمبر 2025

© إيسيسكو
جميع حقوق إعادة الإنتاج والترجمة والاقتباس محفوظة

الرقم الدولي الموحد للدوريات الورقية (ISSN): 5726-3007
الرقم الدولي الموحد للدوريات الإلكترونية (E-ISSN): 5734-3007

التصميم والطباعة في إيسيسكو

+212537566052 | www.icesco.org | contact@icesco.org

بيان ال KAICIID

المشرف العام

د. سالم بن محمد المالك

المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي
للتراث والعلوم والثقافة (إيسسكو)

رئيس التحرير

أ.د. مجدي حاج إبراهيم

مدير التحرير

أ.م.د. أدهم محمد علي حموة

المحرر اللغوي

د. مهند عمر رنة

الهيئة الاستشارية

- أ.د. أحمد المتوكل
المملكة المغربية
- أ.د. رمزي العلبي
الجمهورية اللبنانية
- أ.د. سعد مصلوح
جمهورية مصر العربية
- أ.د. عبد السلام المساي
الجمهورية التونسية
- أ.د. عبد العزيز الحريري
المملكة العربية السعودية
- أ.د. محمد حسين آل ياسين
جمهورية العراق
- أ.د. محمد عدنان البخيت
المملكة الأردنية الهاشمية
- أ.د. مسعود صحراوي
الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
- أ.د. وليد القصاب
الجمهورية العربية السورية
- أ.د. أون يون كيونغ (نبيلة)
جمهورية كوريا
- أ.د. رحمة أحمد الحاج عثمان
مالزيا
- أ.د. محمد طالب الحوري
الولايات المتحدة الأمريكية
- أ.د. نيكولاوس روزر نبوت
مملكة إسبانيا

“مَجَلَّةُ إِيِّسِيسِكُو لِلْغُوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ” دورِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ مَحَكَّمَةٌ لِلبحوث فِي الْأَلْغُوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا وَعِلْمَهَا، نُصْدِرُهَا مَنْظَمَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ لِلتَّرْيِيَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَوْفَةِ (إِيِّسِيسِكُو)، فِي شَهْرِيِّ بُونِيُّو وَدِيَسِمْبِرِ (جُنُوبِيَّانَ وَكَانُونِ الْأَوَّلِ) مِنْ كُلِّ عَامٍ، وَيُشَتَّمِلُ نَطَاقُهَا عَلَى مُحَوَّبِيَّنَ لِبَحْثِ الْأَلْغُوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا وَعِلْمَهَا:

- الْمَحَورُ الْأَنْظَرِيِّ، وَيَضُمُّ الْبَحْثَ الْإِلْسَانِيَّةَ وَالْأَدِيَّةَ وَالْأَنْقَدِيَّةَ.
- الْمَحَورُ الْأَنْطَبِيِّيِّ، وَيَضُمُّ الْبَحْثَ التَّعْلِيمِيَّةَ وَالْتَّرْجِمَيَّةَ وَالْحُوْسِيَّةَ.

لَا تمثِّلُ أَرَاءَ الْكُتَّابِ بِالْحَرْزُورَةِ تَوْجُّهَاتِ مَنْظَمَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ
لِلتَّرْيِيَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَوْفَةِ (إِيِّسِيسِكُو)

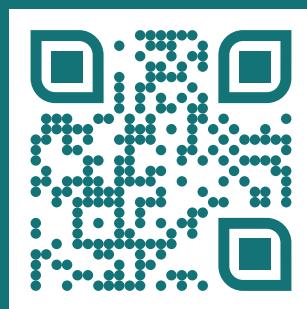
مَرَاسِلَةُ الْمَجَلَّةِ

مَرْكَزُ الْأَلْغُوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا
مَنْظَمَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ لِلتَّرْيِيَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَوْفَةِ
(إِيِّسِيسِكُو)
شَارِعُ الْجَيْشِ الْمَلَكِيِّ، حَيِّ الرِّبَّاطِ، صَبَّ. 2275 رَبَّ. 10104
الْرِبَّاطِ، الْمَمْلَكَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ

www.ijal.icesco.org || ijal@icesco.org

ضوابط النشر

- أن يُسمِّي البحث بالجذبة والموضوعية والرصانة العلمية.
- ألا يكون البحث منشواً أو مقدماً للنشر في أيٍّ وعاءٍ علميٍّ آخر.
- ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحث 30% (مع استثناء المصادر والمراجع).
- أن يكون عدد كلمات البحث ما بين 5000-7000 كلمة؛ إضافة إلى ملخص للبحث كلاماً ما بين 200-300 كلمة، وترجمته إلى الإنجليزية.
- أن يكون التوثيق بطريقة الحواشى في كل صفحة، وتدرج أرقامها بعد علامات الترقيم في المتن، والترقيم جديد لكل صفحة.
- أن يكون التوثيق وفق نظام شيكاغو Chicago.
- أن تُضاف قائمة للمصادر والمراجع مكتوبة بالحروف اللاتينية.
- أن تُرسل البحوث من خلال إنشاء حساب في موقع المجلة ijal.icesco.org



لإرسال البحث والاطلاع على كل جديد



بسم الله، الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

تمتاز اللغة العربية بثراء علمي وعرفي جعلها مجالاً رحباً لتنوع العلوم وتنوع المناهج، إذ لم تدرس العربية بوصفها أداة تواصل فحسب، بل بوصفها نظاماً لغوياً وثقافياً وحضارياً متاماً، وقد أفضى هذا الوصف عبر التاريخ الممتد للغة العربية، إلى نشوء علوم عدّة خدمتها في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وكذا أسهمت في صوغ آدابٍ غنية تعكس التجربة الإنسانية والفكريّة العربية والإسلامية في سياقاتها المختلفة، ومن رحم هذا التنوّع نشأت علوم اللغة العربية وآدابها مستجيبةً للتحولات المعرفية والوجودانية في كلِّ عصرٍ بحاليه.

والمعروف أن علوم اللغة العربية تنوّع تقليدياً على حقول رئيسة من أبرزها علم الأصوات الذي يعني بدراسة البنية الصوتية ومخارج الحروف وصفاتها، وعلم الصرف الذي يدرس بنية الكلمة وتحولاتها، وعلم النحو الذي يبحث في تركيب الجملة والعلاقات الإعرابية، وعلم البلاغة الذي يرتكز على جماليات التعبير وطراقي التأثير، ولكن من اللافت كيفية تطُّور هذه العلوم - وغيرها - في التراث العربي الإسلامي، ولا سيما انتقالها من الوصف المعياري إلى التحليل اللساني الوظيفي في كثير من مؤلفات المتأخرین والمعاصرين.

ويقابل هذا التنوّع العلمي تنوّع مماثل في الأدب العربي الذي يشمل الشعر والثراث بفنونهما المختلفة، وتطوراًهما المتلاحقة عبر العصور، وما أسهمت به المدارس النقدية المتعاقبة من إثراء دراسة الأدب العربي، بدءاً من النقد التراثي لغةً وبلاغةً، وصولاً إلى المناهج الحديثة، من مثل النقد الثقافي، ودراسات السرد، ونظرية التلقى.

ويلاحظ أن الأدب العربي لم يكن منفصلاً عن علوم اللغة العربية، بل ظلَّ مجالاً تطبيقياً حيّاً لاختبار الأنظار اللغوية والبلاغية، مما عزّز التداخل بين الحقول، ومهّد لظهور مقاربٍ بحثية تجمع بين التحليل اللغوي والقراءة الأدبية.

وهكذا أدى التنوّع في علوم اللغة العربية وآدابها إلى نشوء تخصصات بينية تجمع بين أكثر من حقل، ومن أبرزها:

- اللسانيات الأدبية التي توظّف أدوات التحليل اللغوي في دراسة النصوص الأدبية.
- تحليل الخطاب الذي يجمع بين اللسانيات، والبلاغة، والدراسات الثقافية والاجتماعية.
- الدراسات المصطلحية والمعجمية التي تتقاطع فيها اللسانيات مع تاريخ العلوم والفلسفة.
- تعلم العربية للناطقين بغيرها، بوصفه مجالاً بينياً يدمج اللسانيات التطبيقية، وعلوم التربية، وعلم النفس اللغوي.
- اللسانيات الحاسوبية التي تمثّل تفاعلاً بين اللغة العربية والتقانة.

وتبّرر هذه التخصصات البينية - وغيرها - قدرة اللغة العربية على التفاعل مع المعرف الحديثة، واستيعاب التحوّلات المنهجية، بما يحفظ أصالتها، ويعزّز حضورها في البحث العلمي المعاصر، ولا سيما أنها - أي لغة الضاد - أثبتت حيويتها ومرؤونتها وقدرتها على إنتاج المعرفة في أسيقة مختلفة، مما فتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي في علوم اللغة العربية وآدابها، في سبيل تعزيز مكانتها العالمية؛ لغة معرفة وثقافة وحضارة، لغة للإنسانية قاطبة.

وذلك التنوّع وتلك البينية حاضران تماماً في "مجلة الإيسيسكو للغة العربية"، ولا سيما عددها الرابع، هذا الذي نقدّم له في هذه السطور، فإنه استُهّلَ ببحثٍ عنوانه: "أبجدية الخط العربي في القرن الأول للهجرة: نحو روبيّة جمالية"، فهو يجمع في مناقشته بين علم الخط العربي، وتاريخ الكتابة العربية، والرؤية الفنية الجمالية، من أجل إبراز المكانة الثقافية للحجاز في نشأة الخط العربي وتطوره.

وقد ولّي البحث الثاني عنوان: "المنظومات التعليمية العربية ومكانتها في حماية اللغات المحليّة وتعليمها: قراءة في نماذج من المخطوطات العجمية في تمبكتو"، جامعاً بين تعليم اللغات وحفظها، وعلم المخطوطات، وعلم الكتابة، والشعر العربي، ليثبت أنّ للغة العربية مكانة محورية في حفظ اللغات الإفريقية وتعليمها بعامة، ولا سيما لغة السونغاي.

ثم البحث الثالث بعنوان: "مسيرة المرأة في ميدان علوم اللغة العربية وأدابها"، فهو يجمع بين علم الاجتماع، وعلوم اللغة العربية وأدابها، توصلاً إلى حقيقة أن المرأة لم تكن غائبة عن مجالات اللغة والأدب في التراث العربي الإسلامي، وأن وظيفتها المعاصرة في تلك المجالات تعدًّا امتداداً لما كانت عليه أسلافها في إثراء العلوم اللغوية والأدبية بخاصة، ومن ثم في إثراء المعرفة الإنسانية بعامة.

وعنوان البحث الرابع: "التجربة المريدية في خدمة اللغة العربية: قراءة تحليلية في العوامل والمعالم"، إذ يشير إلى البعد الصوفي في العناية بعلوم اللغة العربية وأدابها، واتخاذها وسيلةً لمشروع إصلاحي روحي وعلمي لأنباع الطريقة المريدية في السنغال، وغايةً لمشروع أوسع يتعمّى تعزيز مكانة اللغة العربية في النهضة الدينية والفكرية عالمياً.

وجاء البحث الخامس بعنوان: "المصطلح في مُعجم الدّوْحة التّارِيخِي لِلْغَةِ العَرَبِيَّةِ: مادَّةً (جَمَدً) أَنْوَذْجَانِا"، فهو أكثر تخصّصاً مما سبقه، ويجمع بين علم المصطلح، وعلم المعجم، وعلم الدلالة، وكلها من علوم اللغة العربية، وغاية هذا البحث توثيق التطور الدلالي للغة العربية، ويتبعه في ذلك كليه البحث السادس، فعنوانه: "منهج المعجم التّارِيخِي لِلشَّارِقَةِ وأثرُه في صناعةِ الحقائقِ الاصطلاحِيَّةِ: قراءةٌ وصفيةٌ نقديةٌ".

ومن بعدهما البحث السابع بعنوان: "بلغة الاكتفاء في شعر أبي الحسن الباحري"، يجمع بين فنِّ من فنون البلاغة العربية، والشعر العربي، وعلم الأسلوب، استدلاً على البراعة الفنية والصنعة الأدبية والمقدرة الثقافية للشاعر بعامة، والشاعر الباحري بخاصة.

ثم كان البحث الثامن بعنوان: "كتاب (إظهار الأسرار في النحو) للبركوي: قراءة في تبويبه، وبنائه المعرفية، ومقارنته ببعض المدون التعليمية"، وقد جمع بين علم النحو، والتعليم، ومنهجية التأليف، من أجل تقديم رؤية معرفية منهجية تتجاوز السائد المألف في تأليف المدون النحوية التعليمية، وتعليمها.

عنوان البحث التاسع: "مناهج التعليم البديلة في عالم مفتوح: التعلم المتكامل للغة أجنبية في دول جنوب شرق آسيا"، فهو يعني بطرق التعليم، وتعليم العربية لغة أجنبية، وتصميم البرامج التعليمية، ليثبت نجاعة منهج التعلم المتكامل الذي يجمع بين تعليم المحتوى العلمي وتعلم اللغة الأجنبية في آنٍ معاً، وذلك في دول جنوب شرق آسيا.

وختم العدد الرابع ببحث عنوانه: "الكفايات المهنية التربوية الالزامية لعلمي العربية للناطقين بغيرها في كليات الإلهيات التركية"، يجمع بين علم التربية، وطرق التعليم ومهاراته، وتعليم العربية للناطقين بغيرها، في سبيل التوصل إلى قائمة من الكفايات التربوية الالزامية لعلمي العربية للناطقين بغيرها، وتحديداً في كليات الإلهيات في جامعات الجمهورية التركية.

ذلكم تقديم تعريفي بما تضمنه هذا العدد من بحوث تعنى بعلوم اللغة العربية وأدابها، ومدارها على ما يتسم به البحث العلمي اليوم من التنوع والبيانية، وإن "مجلة إيسيسكو للغة العربية" لتسعد دوّماً بإبداعاتكم البحثية، وتدعوكم إلى متابعة موقعها الحاسوبي، والتسجيل فيه، ليصل إليكم كلُّ جديد، ونستقبل منكم كلَّ رصين، وفي الختام؛ الحمدُ لله الذي يسرّ وأعان، والسلام.



أبجدية الخط العربي في القرن الأول للهجرة: نحو رؤية جمالية

7

عبد الله فتيحي

المنظومات التعليمية العربية ومكانتها في حماية اللغات الحية وتعليمها: قراءة في نماذج من المخطوطات العجمية في تمبكتو

49

مسيرة المرأة في ميدان علوم اللغة العربية وآدابها

79

عبد الرزاق السعدي

التَّجْرِيَةُ الْمَرِيدِيَّةُ فِي خَدْمَةِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي الْعِوَالِمِ وَالْمَعَالِمِ

117

عبد الأحد لوح

المصطلح في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: مادة (حمد) أثوذجًا

145

مُقبل التَّام الأَحْمَدِي

منهج المعجم التاريخي للشَّارقِ وَأَثْرُهُ فِي صَنَاعَةِ الْحَقَائِقِ الْاَصْطَلَاحِيَّةِ: قِرَاءَةٌ وَصَفْيَةٌ نَقْدِيَّةٌ

169

الأَخْضَرُ الْأَخْضَرِيُّ

بلاغة الاكتفاء في شعر أبي الحسن الباهري (ت467هـ)

199

مصطفى اليوسف الصايغ

كتاب "إظهار الأسرار في النَّحو" للبركوي (ت981هـ): قراءة في تبويبه، وبنائه المعرفيَّة، ومقارنته ببعض المتون التعليمية

231

مهند عمر رنة

مناهج التعليم البديلة في عالم مفتوح: التعلم المتكامل للغة أجنبية في دول جنوب شرق آسيا

253

قرم الرمان عبد الغني

الكفايات المهنية التَّرَبُّوَيَّةُ الْلَّازِمَةُ مَعْلِمِيَّةُ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا فِي كَلَيَّاتِ الإِلْهَيَاتِ الْتُّرْكِيَّةِ

275

أحمد مصرلي



أبجدية الخط العربي في القرن الأول للهجرة

نحو رؤية جمالية

عبد الله فتيني*

مُستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أبجدية الخط العربي في القرن الأول للهجرة عبر تحليل الخط المدنى (الحجازي) بصوره اليابسة واللينة، وإبراز مكانته بوصفه الأصل الجمالى للخطوط العربية جمیعاً، متبعاً تطوره من أصوله النبطية، ودوره في كتابة المصاحف الأولى والبرديات والنقوش الإسلامية المبكرة، مع تحليل فني لمميزاته الشكلية والجمالية، متوسلاً بأساليب بحثية متنوعة، وقد توصل البحث إلى أن الخط المدنى سبق الخط الكوفي زمنياً وفيما، وأن الادعاء بأصالة الخط الكوفي وتأثيره بالكتابة السريانية غير دقيق علمياً، وقد وضع الباحث نسباً جمالية وتناسبية لحروف الخط المدنى تُسهم في الإفادة منه في التصميم والخط العربي المعاصر، وتفيد النتائج ضرورة إعادة النظر في تاريخ تطور الخط العربي، وإبراز المكانة الثقافية للحجاز في نشأته وتطوره الفني والجمالي.

مفاتيح البحث: الخط المدنى، الخط الحجازي، الخط الكوفي، الجماليات الخطية، النسبة الفاضلة

* أستاذ الخط العربي والفنون الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، drfutiny@gmail.com



The Alphabet of Arabic Calligraphy in the First Century of Hijra: Toward an Aesthetic Perspective

Abdullah Futyni*

Abstract

This study aims to examine the alphabet of Arabic script in the first century AH, through an analysis of the Madinan (Hijāzī) script in both its angular and cursive forms, highlighting its status as the aesthetic origin of all Arabic scripts. It traces the script's development from its Nabataean roots and investigates its role in the writing of the earliest Qur'ānic codices, papyri, and early Islamic inscriptions, while also providing a formal and aesthetic analysis of its distinctive structural and visual features, employing a range of complementary research methods. The study concludes that the Madinan script predates the Kufic script both chronologically and artistically, and that the claim regarding the primacy of Kufic script and its alleged derivation from Syriac writing lacks scientific accuracy. The study proposes proportional and aesthetic ratios for the letters of the Madinan script that facilitate its application in contemporary Arabic calligraphy and graphic design. The findings underscore the need to reconsider the history of the development of Arabic script and to highlight the cultural significance of the Hijāz region in its emergence and artistic and aesthetic evolution.

Keywords: *Medinan script, Hijazi script, Kufic script, calligraphic aesthetics, golden ratio*

* Professor of Arabic Calligraphy and Islamic Arts, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, drfutiny@gmail.com.

مقدمة

الحضارة الإسلامية من الحلقات المركزية في سلسلة الحضارات العالمية، ومن مظاهرها الفن الإسلامي الذي أتَّسَمَ بِمِمِيزَاتٍ خَاصَّةٍ تَفَرَّدُ بِهَا مِنْ فَنَّونَ الْحَضَاراتِ الْأُخْرَى، وَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ دَرَّةُ التَّاجِ فِي هَذَا الْفَنِ وَأَبْرَزَ أَشْكَالَهُ أَصَالَةً وَتَفَرُّدًا، إِذْ نَالَتْ حِرْفَهُ حَظًّا وَفِيرًا مِنَ الْجَمَالِ، حَتَّى أَجْمَعَ عَلَى تَفُوْقِهِ وَاحْتِلَالِهِ مَرْكَزَ الْصِّدَارَةِ بَيْنَ خَطُوطِ الْعَالَمِ، وَقَدْ أَشَاعَ الْمُؤْرِخُونَ الْأُورُوبِيُّونَ وَكَثِيرُونَ مِنَ الْأَعْاجِمِ أَنَّ الْخَطَّ الْكَوْفِيَّ أَصْلُ الْخَطُوطِ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى اخْسَرَ ذَكْرَ الْخَطِّ الْأَوَّلِ الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ، وَهُوَ الْخَطُّ الْمَدِينِيُّ؛ أَرْوَمَةُ الْخَطُوطِ الْعَرَبِيَّةِ كُلُّهَا، وَمَا تَسَمَّى الْيَوْمَ "الْخَطُوطُ الْإِسْلَامِيَّةُ"، وَيُرِيَ الْبَاحِثُ لِزَاماً أَنَّ يَبْرِزَ هَذَا الْخَطُّ الَّذِي تَعَرَّضَ لِكَثِيرٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِجْحَافِ التَّارِيْخِيِّ، وَإِظْهَارِ قِيمَهُ الْفَنِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ، إِذَا طَلَعَ عَلَى عَدَةِ دَرَاسَاتٍ تَؤَكِّدُ صِدَارَةَ الْخَطِّ الْمَدِينِيِّ اسْتِنَادًا إِلَى الْأَدَلَّةِ الْمَادِيَّةِ، مِنْ مَثَلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي كُتُّبَ فِي عَهْدِ الْخَلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَرَسَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الْأَمْمِ وَقِيَاصِرَتِهَا يَدْعُوْهُمْ فِيهَا إِلَى إِسْلَامِهِ، وَكَذَا النَّقْوَشُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُبَكِّرَةُ الَّتِي اكْتُشَفَتْ وَتَرَجَّعَ إِلَى صَدْرِ إِسْلَامِهِ، فَكَانَ مِنْ نَتْاجِ ذَلِكَ الْاسْتِقْرَاءِ فِي الْمَكْتَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَحْثِ، تَوَصُّلُ الْبَاحِثِ إِلَى اسْتِخْلَاصِ جَمَالِيَّاتِ الْخَطِّ الْمَدِينِيِّ، وَوُضُعَّ أَسْسِ تَقْعِيْدِيَّةِ جَمَالِيَّةِ تَنَاسِبِيَّةِ لِأَبْجِيدِيَّتِهِ.

وَيَتَبَعُ مَلَامِعُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي صَدْرِ إِسْلَامِهِ، وَبِخَاصَّةٍ بَعْدَ هَجْرَتِهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلَى إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ وَاسْتِقْرَارِ الدُّولَةِ هُنَاكَ - حِيثُ عُرِفَتْ تِلْكَ الْكِتَابَةُ فِيمَا بَعْدُ بِاسْمِ "الْخَطِّ الْمَدِينِيِّ" - نَجَدَ أَنَّ الْأَوْعِيَّةَ الْمَادِيَّةَ الْمُخْتَوِيَّةَ لَهَا الَّتِي يَمْكُنُ الْاعْتِمَادُ عَلَيْهَا فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِ الْبَحْثِ هِيَ:

- القرآن الكريم الذي كُتب على الرقاع واللخاف والكرانيف، ومواد أخرى مختلفة جُمعت في عهد أبي بكر الصديق رض (ت13هـ)، ثم المصاحف التي نُسبت إلى عثمان بن عفان (ت35هـ) وعلي بن أبي طالب (ت40هـ) رض أجمعين.
- رسائله رض إلى ملوك الأمم المجاورة في عهده، والبرديات المؤرخة في صدر إسلام.
- النقوش التي ترجع إلى عصر النبوة.

وهذه الأُوعيةُ الثلاثةُ تمثِّلُ أنموذجًا للرصيدُ البشريُّ الحضاريُّ الذي نعْتَرُّ به، إذ هي شاهدةٌ علىِ الأصالةِ الفنيةِ لتلكِ الحقبةِ التاريخيةِ العزيزةِ علىِ قلوبِنا؛ لمواكبتها فجرُ الإسلامِ ومعاصرتها الرسولُ الكريمُ ﷺ، والعصرُ الراشديُّ من جهَّةٍ، وهي من جهَّةٍ أخرىٍ تمثِّلُ أساسًا فنيًّا للخطوطِ التي اشتُقَّتْ منها، وقد جعلها المؤرخونَ وجَلُّهم من المستشرقين،¹ إذ أُغفلَ الخطُّ المدنيُّ بصورهِ الفريدةِ (الياipseةُ واللينةُ)، وقيمهُ الفنيةُ التي كانَ لها موضعُ رِياديٍّ في نشأةِ الخطوطِ التي تولَّدتْ منها لاحقًا.

لذا يرى الباحثُ ضرورةُ العنايةِ بهذا الخطِّ الأصيلِ الذي ظُلمَ حيَّنَا من الدهرِ، والعملُ علىِ استخراجِ صورِ مفرداتهِ وأشكالها من تلكِ الأُوعيةِ التي أشرناُ إليها وتحليلها فنيًّا؛ بما يمهدُ لصياغةِ صورةِ جماليةٍ تتناسبُ لأبجديةِ الأصيلةِ، وبما يحقِّقُ تأصيلًا لهذا الفنِ العريقِ، ويفسحُ المجالَ للخطاطينِ والمصممينِ في استعمالِ تلكِ الأبجديةِ، وأيضاً للفنانينِ التشكيليينِ لاستيهاءِ أبجديةِ الابتكارِ عَبْرِها، من أجلِ إيجادِ مداخلٍ تصميميةٍ أخرىٍ واستعمالِ حروفِها ومفرداتها الجماليةِ في أعمالِ تشكيليةٍ أصيلةٍ.

- ويُسْعىُ البحثُ إلى تحقيقِ أهدافٍ عدَّة، من أبرزها:
- الإشارة إلى الدراسات التي عنيت بالخط المدني.
 - استخلاصِ خصائص الكتابة العربية التي كانت في فجر الإسلام في الحجاز، وكذا استخلاصِ القيمِ الفنية لحروف الخط المدني.
 - وضعِ قواعدِ جماليةٍ تتناسبُ للحروفِ الأبجديةِ المستخلصةِ من الخطِ المدني.
 - إمكانيةِ توظيفِ ميزاتِ الأبجديةِ المستخلصةِ في تصميمِ لوحاتِ تشكيليةٍ مستحدثة.

¹ يؤسِّفُ أن بعضَ الباحثينَ العربَ في العصرِ الحديثِ - من عنوا بدراسةِ تاريخِ الخطِ العربيِّ - أخذُوا برأِ المستشرقينِ الذين قصَّلُوا إنكارَ فضلِ العربِ علىِ الحضارةِ الإنسانيةِ، وزعمُوا أن الخطَّ الكوفيُّ أبو الخطوطِ العربيةِ، وأن الخطَّ الكوفيُّ تأثرَ في بيته بالكتابَةِ الساسانيةِ، لأنَّ الكوفةَ تقعُ قريباً من المدائنِ عاصمةَ فارسِ الساسانيةِ، ولا بدَّ منَ أن تتأثرَ الكتابةُ العربيةُ بالحضارةِ الفارسيةِ، ومن ثمَّ كانَ الخطُّ العربيُّ في أصلِهِ مشتَقًّا من بلادِ فارسِ، وللحصولِ على تفصيلٍ أكثرَ لتلكِ المزاعِمِ ونَقضِها. انظر: محمد فهدُ الفعرُ، تطورُ الكتاباتِ والنقوشِ في الحجازِ منْذُ فجرِ الإسلامِ حتَّى منتصفِ القرنِ السادسِ الهجريِّ (جدة: دارِ تحْمَة، 1405هـ).

وتتلخص مصطلحات البحث فيما يأتي:

الأحرف الخمسة: الباء، والباء، والباء، ثم النون والنون؛ عندما تكونان غير منتهيتين أو آخرتين، ويلاحظ أنها متشابهة في الشكل ومختلفة في الصوت.

تكحيل الحروف: ملء بعض الحروف بسِنِ القلم، من مثل تدوير الحروف المدورة - كما في حرف الميم - لصوغ أشكال هندسة منتظمة.

الاستمداد: مُدُّ الحروف المستلقية على السطر وإطالتها، وُتُّعرف بالكشيدة، وله نوعان؛ بسيط ومقوّس.

وللتتحقق من فرضيته يتوصّل البحث الأساليب الآتية:

- الدراسة النظرية؛ لبيان المقدمة التاريخية للخط المدنى ونشأته.
- دراسة تحليلية للنقوش والأثار التي احتوت صوراً للخط المدنى.
- تجربة عملية، بإعداد تصمُّر جمالي لأبجدية الخط المدنى عبر وضع الأسس الجمالية التناصية.

ويشمل البحث - عبر الدراسة التاريخية والتحليلية - الكتابات العربية في المصاحف المبكرة، والبرديات، والنقوش؛ في القرن الأول المجري.

الإطار النظري

1. الخط المدنى مصدر الإشعاع الأول لفنون الخط العربي:

أثبتت الدراسات العلمية أن العرب أخذوا كتابتهم من بني عمومتهم الأنباط الذين كانوا ينزلون شمالي الحجاز من المدينة المنورة، مروّاً بمدائن صالح، إلى البتراء ومعان، ومن الكتابة النبطية اشتَّتَت الكتابة العربية،¹ وكان من أبرز العوامل التي ساعدت على ذلك الاستفقاء؛ الصلات التجارية الوثيقة والقوية بين أهل الحجاز بالشام والأنباط، مع أن العرب في الجاهلية

¹ انظر: عبد الله فتني، "توظيف الخط العربي في تصميمات جمالية مستحدثة"، مجلة الفنون الجميلة - فنون معمارية، جامعة الإسكندرية، (3)، 2009، ص 31-49.

لم يحتاجوا إلى الكتابة لبساطة حياتهم في البداية، أما عبادة الأصنام من العرب فقد كانت الكتابة النبطية المستعملة عندهم، وكذا استعملها نصارى العرب أيضًا، وبخاصة في مكة؛ إذ كانت مركزًا تجاريًّا، والحضارة فيها أوسع من غيرها من حضارات المدن العربية الأخرى،¹ وقد أشار القرآن العظيم إلى رحلة الشتاء والصيف؛ لموقع مكة الجغرافي الإستراتيجي بين الشام واليمن، فكانت التجارة إحدى مقومات الحياة فيها، وتطلُّب ذلك العناية بالكتابة؛ لتقييد المعاملات التجارية وحسابها، وكانت ضرورية أيضًا لتسجيل العهود والعقود والمواثيق، وكذلك حرص عرب الحجاز على تدوين الأشعار، فقد كتبوا قصائدهم الشعرية وعلّقوها على أستار الكعبة فيما عُرف باسم "المعلقات".²

وبحيء الإسلام كرم رسول الهدى ﷺ أهل صناعة الكتابة، وهو استدعى تطويرها، فتشرفت تلك الصنعة بكتابه القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ((الَّذِي عَلَمَ بِالْقُلُمِ * عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) [العلق: 4، 5]، وقال سبحانه: ((كَرَامًا كَاتِبِين)) [الأنفال: 11]، فكان ذلك التشريف عامًّا مركزيًّا في نشر الكتابة وتعليمها، وكان ﷺ يأمر أصحابه - من كانوا يُتقنون الكتابة - أن يعلّموها للناس، ومن تشجيعه ﷺ على تعليم الكتابة ونشرها بين المسلمين؛ أنه اشترط على أسرى معركة بدر أن يعلم الكاتبون منهم القراءة والكتابة عشرةً من أبناء المسلمين، فضلاً عن تشجيعه النساء على تعلّمها، فكان ذلك أول مدرسة عُرفت في التاريخ لتخرج الكتبة من المسلمين.³

وقد نزل الوحي على النبي الكريم ﷺ في بداية رسالته، وكان ﷺ يتلو آياته على المسلمين الأوائل الذين كانوا يعتمدون الذاكرة والاستظهار في حفظ القرآن الكريم، وكان كُلُّما نزلت عليه آيات نادى كُتاب الوحي أو أحدهم وأملَى عليه ذلك فور نُزولها، وهكذا جمع القرآن تدوينًا في عهده ﷺ عبر كتابة الآيات،⁴ وقد حصر النبي جهدهم في كتابة القرآن

¹ انظر: حسن قاسم حبس الببالي، *رحلة المصحف الشريف من الجريدة إلى التجليد* (بيروت: دار القلم، 1993).

² انظر: علي الجندي، *تاريخ الأدب الجاهلي* (بيروت: مكتبة الجامعة العربية، ط2، 1966)، ص225-223.

³ انظر: أبو الحسن الندوبي، *السيرة النبوية*، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري (دمشق: دار ابن كثير، ط12، 2004)، ص314.

⁴ انظر: مناع القطان، *مباحث في علوم القرآن* (القاهرة: دار وهبة، ط7، 1995)، ص118-119.

الكريم فقط، ولكنه عليه السلام وجد بعضًا من صحابته يُدوّن تلك الآيات وبعض أحاديثه عليه السلام، فقد ورد في معنى قوله: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»،¹ وهو ما ساعد على توفر عدة نسخ من القرآن عند بعض الصحابة عليهم السلام.

وأوردت مصادر عدّة أن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه أرسل إلى ملوك الأمم المجاورة وأباطرها وأمرائها يدعوهم إلى الإسلام، ومن بين رسائله رسالة إلى قيصر ملك الروم، وكسري ملك الفرس، والنحاشي ملك الحبشة، والمُمُوقَس عظيم مصر، وجيفر وعياد ابني الجلندى ملكي عُمان، والمنذر بن ساوي ملك البحرين، وإلى الحارث بن أبي شمر ملك تخوم الشام.²

و بهذه العناية الدينية المقدّسة انتشرت الكتابة العربية، وازدهرت حتى نُقشت على الجبال والحجارة، ومن أدلة ذلك النقوش التي عُثر عليها في جبل سلع في المدينة المنورة، وُعتقد أنها من أقدم النقوش الإسلامية، وتعود إلى السنة الخامسة للهجرة،³ ونقش لشاهد قبر يعود تاريخه إلى عام (31هـ)، وكذا نقش سد معاوية المؤرخ عام (58هـ)، وغيرها.

وتشير المراجع إلى أن الخطوط في زمن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وما قبله كانت تسمى بأسماء الجهات التي وردت منها، من مثل الخط النبطي الآتي إلى بلاد العرب من ديار النبط، وبانتهاء الكتابة إلى مكة وانتشارها بها سُمي الخط حينئذ "الخط المكي"، ولما انتقل النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد عشرة أعوام إلى المدينة سُمي "الخط المدي" أولاً، ولكن لسابق تسمية سُمي الخط نفسه "الخط المكي"، ويقصدون بذلك المكي أو المدي، وهي صورة خط واحد عُرف فيما بعد باسم "الخط المدي"، ولما أنشأ عمر بن الخطاب صلوات الله عليه وآله وسلامه (ت23هـ) مدينة الكوفة سنة (18هـ)؛ انتقل النشاط السياسي إليها وإلى البصرة، فكثُرت الكتابة تبعًا لهذا النشاط، وأصبحت

¹ مسلم بن الحاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1374هـ)، ج: 4: ص2299، كتاب الزهد والرائق، باب الشّيّث في الحديث وحكم كتابة العلم، الحديث (3004).

² انظر: المصدر السابق، ج:3: ص1297، كتاب الجهاد والسير، باب كُتُبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، الحديث (1774)؛ ابن هشام، السيرة البوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ط2، 1375هـ)، ج: 2: ص607.

³ انظر: مجموعة من الباحثين، أحجار المعلّة الشاهدية بمكة المكرمة (الرياض: وزارة التربية والتعليم، 1425هـ)، ص22.

صنعة تحتاج إلى شيء من العناية والتنمية، فأطلقوا في الكوفة والبصرة على الخط المكي أو المدني - الذي دخل إليهم - "الخط الحجازي"، ثم عُرف فيما بعد باسم "الخط الكوفي".¹ والملحوظ أنه قد تجُّوهلت المكانة المركزية التي كانت للحجاز في ظهور الكتابة العربية، وفضله في نشر الكتابة بعد ظهور الإسلام خارج الجزيرة العربية، فالحجاز الوطن الأول للكتابة العربية، وفيه عُرفت وتطورت وبرزت جميع مقوماتها كتابةً قائمةً بذاتها، ومنه انتشرت إلى مختلف أقطار الأرض التي وصل إليها نور الإسلام، فمن الحجاز كانت المراسلات النبوية مشاعلاً لنشر الإسلام في عهد النبي ﷺ والخلافة الراشدة.

ومن الأمور التي روج لها المستشرقون - زوراً - أن الخط الكوفي اليابس الهندسي أبو الخطوط، ومنه تولد الخط اللين، وأنه اكتسب صفة البيوسة من الكتابة السريانية التي كانت في إقليم الحيرة، وأغفلوا أن ما لحق بالخط المدني من جفاف وليونة ليس معناه اشتقاقه من الخط الكوفي، وإنما استمد ذلك من أصوله النبطية، وهم بذلك يُنكرون فضل العرب على الخط العربي، كما سبق وأنكروا فضل العرب على الصناعات والفنون التطبيقية التي مُثلّت عناصر الفن الإسلامي، وادعوا أن الإسلام عندما دخل الأقاليم خارج الجزيرة العربية كانت هناك فنون وصناعات، ولما اعتقد الصناع والحرفيون الإسلام اصطبعت فنونهم بالتعاليم والقيم الإسلامية، فأصبح هناك فنٌ إسلامي، أمّا الخط العربي - وهو درة التاج في الفن الإسلامي - فقد أنكروا فضل العرب فيه؛ بترويج فكرة أن الخط الكوفي أصل الخط العربي الذي تفرّع من سار الخطوط اللينة، والحقيقة يمكن توضيحها بإيجاز فيما يأتي.

للخط المدني صورتان:

- صورة استُعملت في كتابة المصاحف والأمور المهمة، من مثل العهود والمواثيق والمكاتبات ونحوها، وهو ما عُرف باسم "الخط المحقق".
- صورة أخرى استُعملت في الأغراض المعتادة، والشؤون العاجلة، وما يتداوله الناس من مكاتبات، وهو ما عُرف باسم "الخط المرسل".

¹ انظر: مجموعة من الباحثين، الخط العربي من خلال المخطوطات (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1406هـ)، ص.31.

فالخطُّ المُحَقَّقُ حروفه مُسْتَحْسَنَةُ الأَشْكَالِ وَاضْحَاهُ، وَلَهُ صُورَةٌ يَابِسَةٌ كَانَتْ أَصْلًا لِلْخُطُّ الْكُوْفِيِّ، وَصُورَةُ لِيَنَةٍ كَانَتْ أَصْلًا لِخُطِّ النَّسْخِ، وَيَعْدُ كُلَّاهُمَا خَطًّا (مُحَقَّقًا)، إِذْ إِنَّمَا يَشْتَرِكُانِ فِي صَفَّةٍ تَنَاسِبُ الْحُرُوفَ وَصَحَّةَ أَشْكَالِهَا، وَاسْتُعْمَلُ كُلَّاهُمَا فِي الْأَمْرُورِ الْمُهَمَّةِ مِنْ مَثَلِ كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ، بَدْلِيلٍ أَنَّ ابْنَ النَّدِيمَ (تَ 384هـ) حِينَ تَحَدَّثُ عَنِ الْخُطِّ الْمَدِينِيِّ الْقَدِيمِ (الْمَكِيِّ وَالْمَدِينِيِّ) لَمْ يَفْرَقْ بَيْنَ الْخُطِّ الْلَّيِّنِ وَالْيَابِسِ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّفَرِيقُ وَالتَّخْصِيصُ إِلَّا عِنْدَ ظُهُورِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ، إِذْ قَالَ: "لَمْ يَزِلِ النَّاسُ يَكْتُبُونَ عَلَى مَثَلِ الْخُطِّ الْقَدِيمِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ إِلَى أَوَّلِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ" ¹، وَفِي ذَلِكَ رُدٌّ عَلَى الرَّأْيِ الْقَائِلِ إِنَّ الْخُطِّ الْلَّيِّنَ مُتَوَلِّدٌ مِنْ الْخُطِّ الْيَابِسِ؛ لَأَنَّ الْخُطِّ الْلَّيِّنَ الْمُحَقَّقُ سَارَ جَنِّبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ الْخُطِّ الْيَابِسِ الَّذِي كَانَ مُحَقَّقًا مِنْذَ خَرْجَهُ مِنِ الْحِجَازِ، وَوَجَدَ الْعُنَيْدَةَ وَالتَّطَوُّرَ فِي الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا سِيمَا الْكُوْفَةَ ² حَتَّى شَاعَ بَيْنَ الْمُؤْرِخِينَ - مِنْ مَثَلِ ابْنِ خَلْدُونَ (تَ 808هـ) - أَنَّ عَرَبَ الْحِجَازَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِرَايَةٌ بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ، وَمَا ذَلِكَ - عَلَى قَوْلِهِ - إِلَّا لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُ فِي الْبَدَاوِةِ، وَأَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنِ الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ. ³

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ ابْنَ خَلْدُونَ وَمَنْ أَخْذَ مِنَ الْمُؤْرِخِينَ بِرَأْيِهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ مَعْذُرُونَ، لَأَنَّ نَشَأَةَ الْكِتَابَةِ لِدِيهِمْ يَشُوَّجُهَا بَعْضُ الْغَمْوُضِ، لِبُعْدِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَصْرِ الَّذِي كَتَبُوا عَنْهُ، إِلَّا أَنَّ الْمُسْتَشْرِقِينَ تَحْمَسُوا لِرَأْيِ ابْنِ خَلْدُونَ، وَأَيَّدُوهُ بِشَدَّةٍ، وَهَدْفُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِنْكَارُ فَضْلِ الْعَرَبِ عَلَى الْحَضَارَةِ وَالْفَنَوْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَهُمْ يَرَوُنَ أَنَّ خَطًّا النَّسْخِ مُشَتَّقٌ مِنْ الْخُطِّ الْكُوْفِيِّ. ⁴

يَذَكُرُ ابْنُ النَّدِيمَ أَنَّ أَوَّلَ الْخُطُوطِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَكِيِّ، وَبَعْدَهُ الْمَدِينِيُّ، ثُمَّ الْبَصْرِيُّ، ثُمَّ الْكُوْفِيُّ، ⁵ وَبَذَلِكَ نَعْلَمُ مِنْهُ صِرَاطَهُ أَنَّ الْخُطَيْنِ الْمَكِيُّ وَالْمَدِينِيُّ أَوَّلَ الْخُطُوطِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ وَصَفَ

¹ ابن النديم، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان (بيروت: دار المعرفة، 1997)، ص 19.

² ابن خلدون، العَرَبُ وَدِيَوَانُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْبَرِّ وَمِنْ عَاصِرَهُمْ مِنْ ذُوِّي الشَّأْنِ الْأَكْبَرِ، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ط 1، 1981)، ج 1: 526.

³ انظر: الفعر، تطوير الكتابات والنقوش في الحجاز، ص 31.

⁴ انظر: المرجع السابق، ص 93-94.

⁵ انظر: ابن النديم، الفهرست، ص 16.

ابن النديم الخطُّ المدِّني وصَفَّا مقتضبًا¹ نستتَّجعُ منهُ أنَّ الصُّورَةَ الْلَّيِّنَةَ لِلْخُطِّ الْعَرَبِيِّ لِيُسْتَ مشتَقَّةً مِنْ الْخُطِّ الْيَابِسِ كَمَا هُوَ شَائِعٌ، بَلْ كَلَّا هُمَا مُعَاصِرُ الْآخَرِ²، أَيْ إِنَّ الصُّورَتَيْنِ الْيَابِسَةِ وَالْلَّيِّنَةِ عُرِفُتَا قَبْلَ عَصْرِ الْكُوفَةِ، فَالصُّورَةُ الْيَابِسَةُ (الْخُطُّ الْعَرَبِيُّ ذُو التَّرْبِيعَاتِ وَالْزَّوَّايَا) اسْتُعْمِلَتِ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ الْأُولَى، وَأَوْلَاهَا الْمَصَاحِفُ الَّتِي كُتِّبَتِ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ³، لَا الْخُطُّ الْكُوفِيُّ كَمَا شَاعَ بَيْنَ الْمُؤْرِخِينَ.

وَالرَّاجِحُ فِي طَرِيقَةِ تَدوِينِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّ كِتَابَ الْوَحْيِ كَانُوا يَكْتَبُونَ الْآيَاتِ فَورَ نَزُولِهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُطٍّ لَّيْنٍ، لَأَنَّهُ أَسْرَعُ فِي الْكِتَابَةِ، ثُمَّ إِذَا رَجَعُوا إِلَى دُورِهِمْ أَعْدَادُهُمْ كِتَابَهُ بِخُطٍّ يَابِسٍ جَلِيلٍ يُلِيقُ بِجَلَالِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبِيلًا فِي ظَهُورِ الصُّورَتَيْنِ الْيَابِسَةِ وَالْلَّيِّنَةِ فِي آنِ مَعًَا، وَذَلِكَ يَتَسَقَّ معَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ مِنْ أَنَّ الْخُطَّ الْمَدِّنِيُّ أَنْوَاعٌ؛ مِنْهَا (الْمَدِّوَرُ) خُطُّ التَّحْرِيرِ وَالْمَرَاسِلَاتِ، وَهُوَ مَا عُرِفَ بِالصُّورَةِ الْلَّيِّنَةِ، وَ(الْمَلْثُثُ)، وَهُوَ الصُّورَةُ الْيَابِسَةُ، وَ(الْتَّسْمُ)، وَهِيَ صُورَةُ جَمَعَتْ بَيْنَ الْلَّيِّنَةِ وَالْيَابِسَةِ، وَلَأَنَّ الْمَصَاحِفَ الْأُولَى كُتِّبَتِ بِالصُّورَةِ الْيَابِسَةِ أَوِ الْتَّسْمِ، وَهِيَ صُورَةُ جَمَعَتْ بَيْنَ الْلَّيِّنَةِ وَالْيَابِسَةِ؛ كَانَتِ الْعِنَيْةُ بِالْخُطِّ الْيَابِسِ أَسْبَقُ مِنِ الْعِنَيْةِ بِالْخُطِّ الْلَّيِّنِ، وَكَانَ مِنَ الْطَّبِيعِيِّ أَنْ تَبْذُلَ الْأَمْصَارَ جَهْوَدًا فَائِقَةً فِي تَحْسِينِهِ وَالْعِنَيْةِ بِهِ وَبِتَحْوِيدِهِ.

وَكَانَتِ الْكُوفَةُ أَوَّلَ تِلْكَ الْأَمْصَارِ - لَا نِتْقَالُ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ إِلَيْهَا - عِنَيْةً بِالْمَصَاحِفِ، وَبِالصُّورَةِ الْيَابِسَةِ مِنْ الْخُطِّ الْمَدِّنِيِّ، حَتَّى سَادَ الظَّرُورُ أَنَّ هَذَا الْخُطُّ مِنْ اخْتِرَاعِ الْكُوفَةِ، وَأَنَّهُ أَصْلُ الْحَطُوطِ، وَأَنَّ خُطَّ النَّسْخِ مُشَتَّقٌ مِنْهُ، وَلَا كَانَ عَصِيرُ التَّدْوِينِ مُتَأْخِرًا وَأَصْلُ الْخُطِّ الْعَرَبِيِّ غَيْرُ مَعْرُوفٍ عِنْدَ مُؤْرِخِيِّ الْعَرَبِ الْقَدَامِيِّ؛ قَالُوا جَزَافًا إِنَّ الْخُطُّ الْكُوفِيُّ أَصْلُ الْخَطُوطِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا دَفَعَ بِهِمْ بِقَوْلِهِمْ إِنَّ خُطَّ النَّسْخِ مُشَتَّقٌ مِنْ الْخُطُّ الْكُوفِيِّ أَنَّ الْعِنَيْةَ بِالْخُطِّ الْلَّيِّنِ جَاءَتِ مُتَأْخِرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعِنَيْةِ بِالْخُطِّ الْيَابِسِ، وَبِخَاصَّةً فِي عَصْرِ الْخَلِيفَةِ

¹ انظر: المُصْدَرُ السَّابِقُ، ص 17.

² انظر: الفَعْرُ، تَطَوُّرُ الْكِتَابَاتِ وَالنَّقْوَشِ فِي الْمَجَازِ، ص 100.

³ انظر: الْمَرْجَعُ السَّابِقُ، ص 101-102.

المأمون، عندما قامت حركة التأليف والترجمة، وهو ما استلزم كثرة النسخ،¹ ويؤكد هذا الرأي

باحثون معاصرون، إذ ذكر خالد عبد الله أن الخط المديني كان يُكتب على شكلين:

- الشكل الأوَّل الخط الجاف، ونستطيع القول إن الخط المديني من أوائل الخطوط

الجافة، إذ أعقبه الخط الكوفي.

- الشكل الثاني الخط اللين، الذي كان يمثل الكتابة اليدوية.

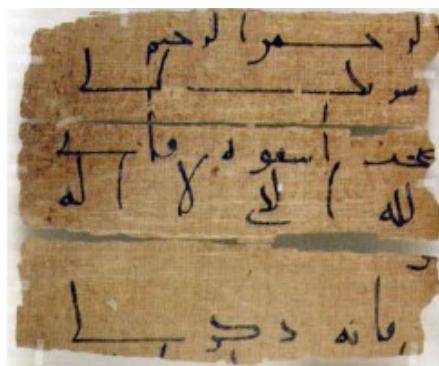
وفي الصورتين الآتتين مقارنة بين الخط المديني الذي يمثل الخطوط الجافة (الصورة

1)، وكتابه بيد والٍ من ولادة مصر، اسمه قرة بن شريك (ت 96هـ)؛ تمثيل الخطوط اللينة

(صورة 2)، وفي الغالب تعود هاتان المخطوطتان إلى الحقبة التاريخية نفسها.²



صورة (1)



صورة (2)

¹ انظر: محمد عبد العزيز مرزوق، **المصحف الشريف: دراسة تاريخية وفنية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975)، ص 81؛ الفعر، **تطور الكتابات والنقوش في الحجاز**، ص 103.

² انظر: خالد عبد الله، "خصائص الخط الحجازي"، **التصميم الطباعي والخط العربي**، نُشر في 17 ديسمبر 2017.

2. مصادر التحليل:

يرى الباحث أن المصادر التي تُستخلص منها ميزات الخط المد니؛ يمكن حصرها في:

(أ) القرآن الكريم الذي كُتب في عهد الصحابة (مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه):

ذكرنا أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ، وتلقّاه عنه مشافهة الصحابة كتّاب الوحي رسالة، فكانوا يكتبونه بين يدي النبي ﷺ فور نزوله بالخط اللين، لأنّه أسهل في الكتابة، ثم إذا رجعوا إلى دُورهم أعادوا كتابته بالخط اليابس الذي يليق بجلال كلام الله عزّ وجَلَّ، فارتباط الخط اليابس بالكتابه بدأً منذ عهد النبي ﷺ، وظلّ على هذه الصورة (اليابسة أو التي شابها قليل من التلين) مدة الخلفاء الراشدين، ومن غير المعقول أن تُطلق على الخط الذي عُرف في عهد النبي ﷺ "الخط الكوفي"؛ لأن الكوفة أنشأها الفاتحون من صحابة رسول الله ﷺ، وبذلك يكون الخط المدني بصورته (اليابسة واللينة) هو الذي كُتب به القرآن الكريم، ولا سيما أن الخط المدني قد صاحب الفتوح الإسلامية.

ولما تُوفي النبي ﷺ، قام بالأمر بعده الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأشار عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن - وبخاصة بعد استشهاد بعض الصحابة رضي الله عنه - خوفاً على القرآن الكريم من الضياع، فأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه (ت 45هـ) بجمع القرآن الكريم، فجُمع في دُقَيْتِي كتاب واحد، وظلّ هذا المصحف لدى الخليفة الصدِيق، ثم الخليفة الفاروق من بعده، ولما تُوفي انتقل المصحف إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنه أجمعين.

ويلاحظ أن جمع القرآن لقي عناية كبيرة من الكتابة والتنظيم والتجهيز، فبعد أن كُتب في عهد النبي ﷺ على الجلد لسهولة تداوله، وعلى الفخار والعظام، وعلى العسيب، وهو جريد النخل العريض، وعلى المهارق، وهو نوع من القماش كان يُهرق عليه الصمغ ليكون جافاً مناسباً للكتابة، وعلى اللخاف، وهو حجر أبيض رقيق، وعلى غيرها؛ كُتب في عهد أبي بكر رضي الله عنه على صحائف من الرق متباينة في الطول والعرض، متفرقة في النوع، وُكُتب هذه النسخة بالخط اليابس الذي عرفه المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ.¹

¹ انظر: مرزوق، المصحف الشريف، ص 30-28؛ الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص 109-110.

وبعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد ذي التورين رضي الله عنهما، واختلاف قراء الأقاليم الإسلامية، من مثل أرمينيا وأذريجان وغيرها؛ أدرك الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما (ت36هـ) خطورة ذلك الاختلاف، فأخذ بذلك إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما الذي طلب النسخة من أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، وكلّف بجمعه زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير (ت73هـ)، وسعيد بن العاص (ت59هـ)، وعبد الرحمن بن الحارث (ت43هـ)، فجمعوه، وأعادوا ترتيب سورة، وكتبوا منه خمس نسخ على الأرجح، أرسلها الخليفة إلى الأمصار والشغور الإسلامية منعاً للخلاف، وبقيت نسخة واحدة لديه، وبقي من هذه النسخ في وقتنا الحاضر نسخة في تركيا، وأخرى في مصر، وثالثة في أوروبا.¹

وقد التزمت تلك النسخ طرقاً رسماً الحروف (الرسم الإملائي العثماني)، بما يشير إلى بلوغ صنعة الكتابة درجة كبيرة من التأصيل في حقبة كتابة المصاحف المدنية، واستمر الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الجاف بأمامه المدنية، ثم جاء بعده الخط الكوفي، فالكوفي المشرقي، والخط المغربي، وسادت مدة طويلة من الزمن، ثم سادت الخطوط اللينة في كتابة المصاحف في القرن الرابع الهجري (التاسع الميلادي) على أيدي خطاطي بغداد، من مثل ابن مقلة (ت328هـ)، وابن الباب (ت413هـ)، وياقوت المستعصمي (ت696هـ).

وفي العام (1972) عُثر في جامع صنعاء الكبير في اليمن؛ على مخطوطة قرآنية تعود في تاريخها إلى القرن السابع الميلادي، ومعها مخطوطات أخرى غير قرآنية، وذلك عندما كان مجموعة من العمال يرمون حائطاً في الجامع الذي بُني في العام السادس الهجري، وهو أول جامع يُبني في اليمن، وقد دعت حينها إدارة الآثار اليمنية الجهات الدولية لاعتماد مشروع لفحص تلك المخطوطات وحفظها، ولبّت الدعوة حكومة ألمانيا الغربية، ونظمت مشروع ترميم المخطوطات وتمويله عام (1979)² غير أن جدلاً كبيراً افتعله بعض المستشرقين المغاربيين - وللأسف تبعهم بعض المؤرخين العرب - في أن هذه المخطوطات

¹ انظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص109-110.

² انظر: أحمد وسام شاكر، "مصاحف صنعاء"، مجلة الدراسات الدينية، العدد (1)، 2014، ص8-14.

تُثبت أنَّ القرآن تغيَّر عبر التاريخ، فليس القرآن المتداول بين أيدينا هو القرآن نفسه المنزَل من عند الله سبحانه، وذلك بحجَّة اختلاف ترتيب السور، وأوردوا بعض أمثلة، منها تتابع سور *الكهف*، والرَّحْمَن، والواقعة، ويس، وبارك، وقد غاب عنهم (بجهل أو بقصد) أن تلك السور وغيرها من الأوراد اليومية أو الأسبوعية التي يحرص المسلم على قراءتها، ولذلك جُمعت وزَّيت، وليس ذلك قرآنًا مُخْتَلِفًا كما يزعمون،¹ وقد كان هذا الكشف إثباتًا لصحة القرآن من ناحية الكلمات من دون نقطي الإعراب والإعجام، وأنَّ موضوع النقط أكمله نقلُ القرآن عن طريق الحفظ بالتواتر، فالله سبحانه تعهد بحفظ القرآن، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْدِّرْكَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [الحجر: 9].



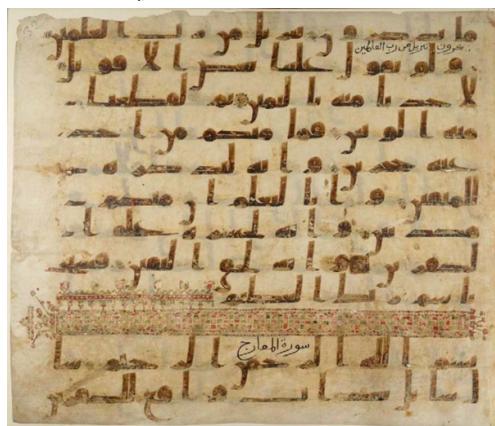
صورة (3): صفحَةٌ من مصحفٍ جامِعٍ صنَعَهُ الكِبِير²

¹ انظر: عبد الله عبد الرحمن الخطيب، "ترتيب سور المصحف الشريف بين العلماء المسلمين والمستشرقين: عرض ونقد"، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لم يُذكر تاريخ النشر؛ بختام صادقي، محسن جودارزي، "طرس صنَعَهُ (1) وأصول

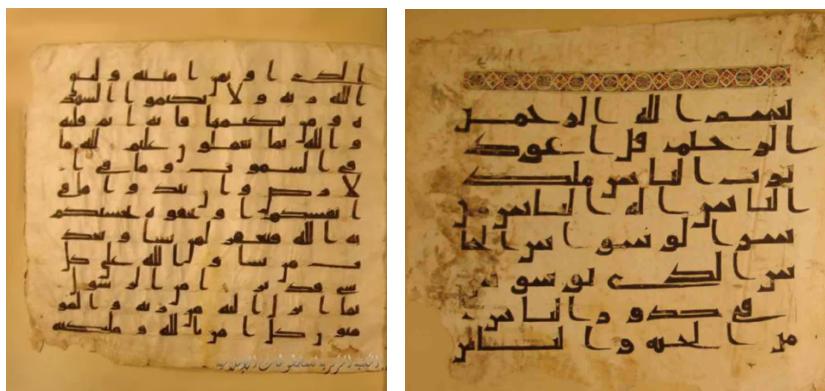
القرآن"، ترجمة: حسام صيري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، لم يُذكر تاريخ النشر.

² انظر: "مخطوطات صنَعَهُ"، ويكيبيديا، نُشرَ في 16 سبتمبر 2010.

ومن المصاحف المبكرة مصحف ضخمٌ ظلَّ قروناً عدَّة - عُرِفَ لاحقاً باسم "مصحف عثمان" - محفوظاً في جامع عمرو بن العاص (ت 45هـ) في فسطاط مصر، يقرأ فيه عامة المسلمين، ويترَك الناس بمِسْه وقراءته، حتَّى تُقلَلُ إلى الكتبخانة الخديوية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وقبل ذلك بعده عقود، كان بعض المستشرقين والرحالة الفرنسيين والألمان قد استحوذوا على بعض أوراقه التي استقرَّت في مكتبات أوروبية بين عامي (1810-1833).¹



صورة (4): صفحة من مصحف عثمان²



صورة (5): صفحتان من مصحف عثمان المحفوظ في المشهد الحسيني في القاهرة³

¹ انظر: أحمد وسام شاكر، "مصحف عثمان بدار الكتب المصرية: الأصول والتاريخ"، مكتبة القرآن أونلاين، نُشر في 20 يناير 2022.

² انظر: المرجع السابق.

³ انظر: إيمان يحيى، "مخطوطات / مصحف القاهرة"، أبجديات، نُشر في 24 مايو 2012.

ويحتفظ متحف التاريخ في العاصمة الأوزبكية طشقند؛ بصحف قديم كبير الحجم مكتوب على الجلد (رق الغزال)، وكان هذا المصحف قد يُقرأ في سمرقند، محفوظاً في صومعة مخصصة له في مدرسة (ندير ديوان بيعي طغا)، المعروفة باسم "آق مدرسة"، بالقرب من مسجد (خوجة أحرار)، في القرن التاسع الهجري، وتفيد الروايات بأنه كان يجري عرضُ هذا المصحف في المواسم والأحداث المشهودة، إذ كان الناس يشاهدونه ويعذّبونه المصحف نفسه الذي اغتيل في أثناء قراءته الخليفة عثمان بن عفان رض، وقد بقي هذا المصحف لدى خدمة مسجد (خوجة أحرار) إلى العام (1869)، حين عني به الموظفون المحليون لروسيا القيصرية، إذ أجرى الحاكم زرافشان آبراموف مباحثات خاصة مع خدمة المسجد، واشترى منهم على إثرها المصحف المشار إليه، ومن ثم أرسله إلى طشقند، ومن هناك، وفي 27 تشرين الأول (أكتوبر) 1869، أُرسل المصحف إلى سانت بطرسبرغ، وحُفظ عليه بعناية في قسم المخطوطات القديمة لدى المكتبة الإمبراطورية.¹



صورة (6): صفحتان من مصحف عثمان المحفوظ في متحف التاريخ في طشقند²

¹ انظر: إسماعيل مخدوم، تاريخ المصحف العثماني في طشقند (طشقند: الإدارية الدينية، 1971)، ص 22-23؛ إياد سالم صالح السامرائي، "الصحف المخطوطة الألائية: التعريف بها وأهميتها والمحافظة عليها"، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (15)، 2017، ص 98-99.

² انظر: إيمان يحيى، "مخطوطات - مصحف طشقند"، أبجديات، نُشر في 2 يوليو 2012.



صورة (7): خطوطه قرآنية محفوظة في جامعة برمغهام¹

(ب) رسائل النبي ﷺ وبعض البرديات المؤرخة في صدر الإسلام:



بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة المنورة من الحديبية في العام السادس للهجرة؛ أُرسل إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام، فقيل له: "يا رسول الله، إن الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً"، فاتخذ خاتماً من فضة، فيه عبارة من ثلاثة أسطر: "محمد رسول الله" ، ختم به تلك الرسائل.²

وتذكر المراجع التاريخية أن بعض نصوص تلك الرسائل قد حفظتها لنا كُتبُ التاريخ،³ أما صور الرسائل نفسها فإن دراسات حاولت إثبات صحتها ونسبتها إلى عهد

¹ انظر: "خطوطه مصحف برمغهام الجزء الأول من جزئين" ، دراسات وأبحاث إسلامية معاصرة، لم يذكر تاريخ النشر.

² انظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص 118.

³ انظر: السيد محمد عبد الحفيظ الكتاني، التراطيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، تحقيق: عبد الله الخالدي (بيروت: دار الأرقم، ط 2)؛ محمد حميد الله الحيدر، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة (بيروت: دار النفائس، ط 5، 1985).

النبي ﷺ، ولكن دراسات أخرى شَكَّكت في صحة تلك الصور، وأكَّدت أنَّ محاولات إثبات أنها الرسائل التي كُتِّبَت في عهده ﷺ ضربٌ من التزييف العلمي، ولا سيما أنَّ تلك الدراسات أثبتت أنَّ تخليل الخطِّ في تلك الرسائل يدعو إلى الشك.

ومن أمثلة تلك التشكيكات رسالته ﷺ إلى كسرى ملك فارس، فالمصادر التاريخية تذكر أنَّ كسرى مَرَّقَ تلك الرسالة، وأنَّ رسول الله ﷺ دعا عليه أنْ يَمْرِّقَ الله ملكه،¹ وهذا يثبت أنَّ صور تلك الرسائل مشكوك فيها، فضلاً عن أنَّ أسلوب الخطِّ لا يتفق مع أسلوب الكتابة في صدر الإسلام، لأنَّ خطوط هذه الرسائل (المزعومة) تختلف تماماً عن خطوط البرديات المكتوبة في الزمن نفسه، التي تعطي صورة واضحة لشكل الخطِّ العربي في بداية القرن الهجري الأول، فقد كُتِّبَتْ هذ الرسائل المنسوبة إلى النبي ﷺ بالخطِّ الكوفي، مع أنَّ الكوفة لما تَوَسَّسَ بعْدَ حينها، والخطِّ الذي كان معروفاً آنذاك هو "الخطُّ المكي" أو "الخطُّ المدي"، لذا يرى الباحث أنَّ عرض صور بعض تلك الرسائل، من دون الاعتماد عليها؛ ليس من التحليل العلمي.

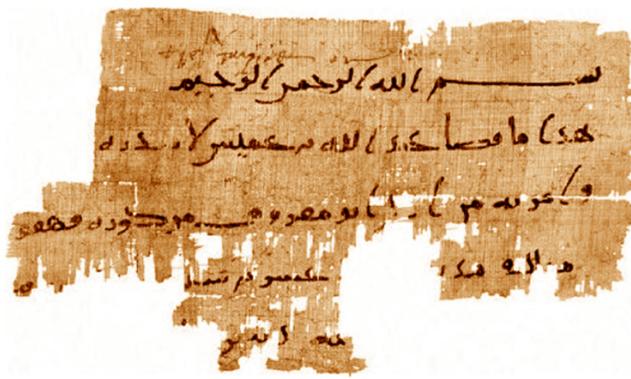
ومن ثم يتخذ الباحث من البرديات التي كانت في تلك الحقبة إلى نهاية القرن الهجري الأول؛ مصدراً موثوقاً للتحليل والدراسة العلمية، وهي:

- بردية ترجع إلى القرن الأول الهجري محفوظة في مكتبة جامعة ليدن برقم Or. 8264.
- بردية مؤرخة بعام (20هـ).
- بردية مدينة أهناسيا في مصر، مؤرخة في جمادى الأول من العام (22هـ).
- بردية تعود إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت 60هـ)، مؤرخة بعام (54هـ)، عشر عليها عام (1937) في جنوب فلسطين، وهي اليوم في مكتبة ومتحف مورغان، برقم Colt Pap. 60، مكتوبة بالعربية واليونانية.

¹ انظر: ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1990)، ج 1: ص 199.



صورة (8): بردية ترجع إلى القرن الأول المجري محفوظة في مكتبة جامعة ليدن برقم¹ Or. 8264



(a)

+ Ισιό(ωρος) Ταύρινε νο(μίσματα) γ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذِهِ مَا قَضَى اللَّهُ بْنُ عَمِيسٍ لِأَسْدِرَةَ [بَنْ تُورَةَ]

وَأَمْرَرَهُ مِنْ أَهْلِ بَوْبَرِيَّةِ مِنْ كُوْرَةِ فَهْرَوَةِ [هَ]

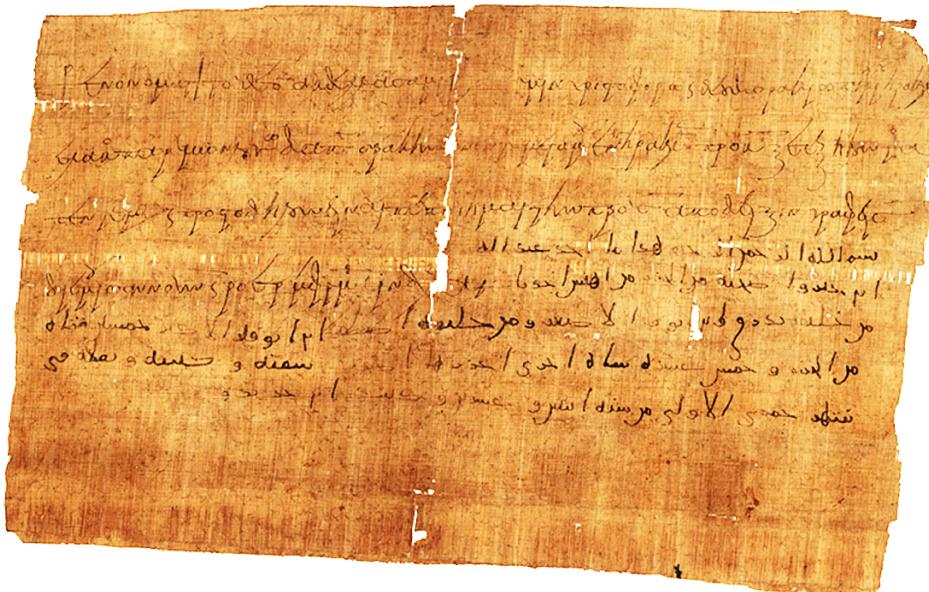
مَدْعُوُةٌ فِي مَدْرَسَةِ مَدْرَسَةِ عَشْرِينَ سَنَةَ [هَ] [هَ]

[هَ] شَهْرَ دَنِيرَ [هَ] . . - - [هَ]

صورة (9): بردية مؤرخة بعام (20هـ)²

¹ [“Qur’anic fragment on papyrus, probably a writing exercise, containing Surah 7 verses 10-25,” Leiden University Libraries, Digital Collections, no publishing date.](#)

² [“P. Vindob. Inv. A. P. 519 - A Papyrus Being an Individual Debt Receipt, around 20 AH / 641 CE,” Islamic Awareness, published on April 30, 2020.](#)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَخْذَ عَبْدُ اللَّهِ
 δι' ἐμοῦ Ἰωάννου ν(ο)τ(αρίου) (και) ροε (= διακόνου) + μ(ηνὸς) Φαρ-
 μ(ον)θ(ι) λ ινδ(ικτιονός) α ابن جبر واصحبه من الجزر من اهنس + اخذها

من خليفة تدراق ابن أبو قير الأصغر ومن خليفة أصطغر ابن أبو قير الأكبر ^٦ خمسين، شاة

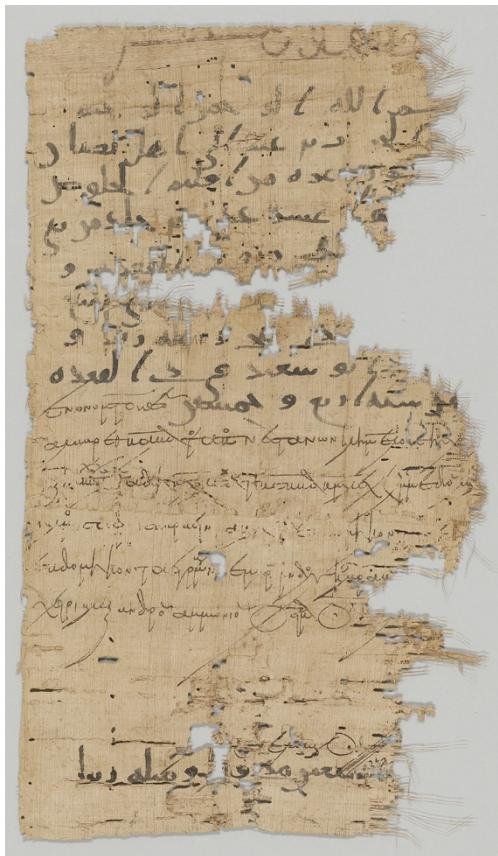
من الجزر وخمس عشرة شاة اخرى اجزرها اصحاب سنه وكتتبه وتقلاده في شهر جمادى الاولى من سنة انتين وعشرين وكتب ابن حديدة

VERSO :

¶ ἀπόδειξις (is) προεδρίας των δοκιμών θέσης (έντων) τοῖς μαχαίραις (αριθμός) τοῖς (καὶ) ἀλλοῖς
ἀνερχομένοις εἰς τὴν ἐξάνυστην τῷ (ν) δημοσίων (α) καὶ τοῖς (οικτιώ-
νος) ¶

¹ صورة (10): بردية مدينة أهناسيا في مصر، مؤرخة في جمادى الأول من العام (22هـ)

¹ [“PERF No. 558 - One of the Earliest Bilingual Papyrus from 22 AH / 643 CE,” Islamic Awareness](#), published on November 2, 2000.



صورة (11): بردية تعود إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان رض (ت 60هـ)، مؤرخة بعام (54هـ)، عشر عليها عام (1937) في جنوي فلسطين، وهي اليوم في مكتبة ومتاحف مورغان، برقم 60،
مكتوبة بالعربية واليونانية¹

(ج) النقوش الأثرية:

من أبرز مصادر التاريخ العامة، والتاريخ الإسلامي بخاصة، وتكمن أهمية الآثار في أنها تحوي نقوشاً كتابيةً معاصرةً للأحداث التاريخية القديمة، وهي غير قابلة للتحريف والتصحيف، وتعد سجلاً حياً لتلك الحقائق التاريخية، وقد اطلع الباحث على بعض نقوش القرن الهجري الأول المهمة، ودرسها؛ بغية استخلاص صور الأبجدية، ووضع مقاييس جمالية لكل منها.

¹ “[Colt Papyrus 60](#),” *The Morgan Library & Museum*, no publishing date.



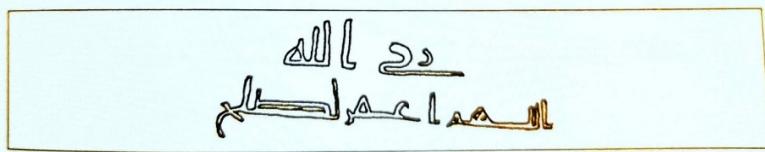
صورة (12): آثار شاهدية تعود إلى بوأكير القرن الأول الهجري¹



صورة (13): شاهدة قبر اكتشفت في مقبرة المعلقة في مكة المكرمة، من القرون الهجرية الأولى²

¹ انظر: "النقوش الشاهدية في السعودية... مكة مكتبة العالم: أنفس الآثار تعود إلى بوأكير القرن الأول الهجري"، الشرق الأوسط، نُشر في 4 مارس 2020.

² انظر: ناصر بن علي الحارثي، أحجار شاهدية غير منشورة من متحف الآثار والترااث بمكة (الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف، ط 1، 2007).

صورة (14): نقش من القرن الأول المجري¹

نصُّه: "ربِّ اللهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِصَالِحٍ"

صورة (15): نقش من القرن الأول المجري²

نصُّه: "هَذَا كِتَابٌ مِّنْ أَبْنَى جَبِيرٍ رَبِيعَةً، يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى هَذَا الْكَرَاءِ وَعَلَى عَبْدِهِ"

القسم التطبيقي

1. تحليل حروف الخط المدي ووصفها وتنوع أشكال حروفه

درس الباحث كتابات الخط المدي على المصاحف والبرديات والنقوش الحجرية؛ دراسة علمية مستفيضة، ومنع من إدراج تفاصيل تلك الدراسة ضوابط تقديم البحوث بالالتزام بعدد صفحات البحث وترك تضييمه، لذا آثر الباحث اختصار كثير من الوصف والتحليل لميزات الخط المدي، بما يحقق التوازن بين تلك الضوابط وأهداف البحث المرجوة، ويورد الباحث أبرز الميزات الفنية للخط المدي، إذ اكتسبت الكتابة المدنية المبكرة كثيراً من الخصائص الفنية، وقد حلَّ الباحث حروف الخط المدي، ووصفها عبر تعدد أشكال حروفه،

¹ انظر: حياة عبد الله حسين الكلابي، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية: من القرن الأول إلى القرن الخامس المجري (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2009).

² انظر: المراجع السابق.

ومحاولات الخطاط المسلم تطوير كتابته في مساحات هندسية مختلفة، ساعدته في ذلك قابلية الحروف في تلك المرحلة المبكرة للتحرّك بطوعية في المساحات المتاحة للكتابة، وقد توصلَ الباحث إلى استخلاص ميزات فنية موجّزة فيما يأْتُ:

(١) أن لكتابه شكلين؛ أولهما الخط الجاف، إذ إن الخط المدلي أول الخطوط العربية الجافة، وأعقبه الخط الكوفي في صفة الجفاف، وثانيهما هو الخط اللين الذي يمثل الكتابة اليدوية.

(ب) أن الحروف في الكلمة الواحدة مترتبة بعضها بعض، ما عدا الحروف التي لا تربط، من مثل الواو، والراء... إلخ.

(ج) أن أشكال بعض الحروف تختلف في أول الكلمة عنها في آخرها، من مثل الهاء، والياء
(انظر: صورة 16 / رقم 1).

(د) أن تاء التأنيث تكتب في موقع كثيرة بالباء المفتوحة (نعمت، لعنت) (انظر: صورة 17 / رقم 2)، وأن الكتابة خالية من النقط الذي يساعد في نطق الأحرف المتشابهة، من مثل نقط الباء، والباء، والثاء، والجيم، وسائل الحروف المنقوطة، فلم يكن هذا النقط في الكتابة المدنية في عصر النبوة وزمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كُتبت في عهده عدة مصاحف بعد جمعها وترتيبها، إذ أدخلت نقط الإعجام والإعراب في كتابة المصاحف في خلافة عل رضي الله عنه وبداية الدولة الأموية.

خلافة علي رضي الله عنه وبداية الدولة الأموية.
(هـ) تباعد حروف الكلمة الواحدة.

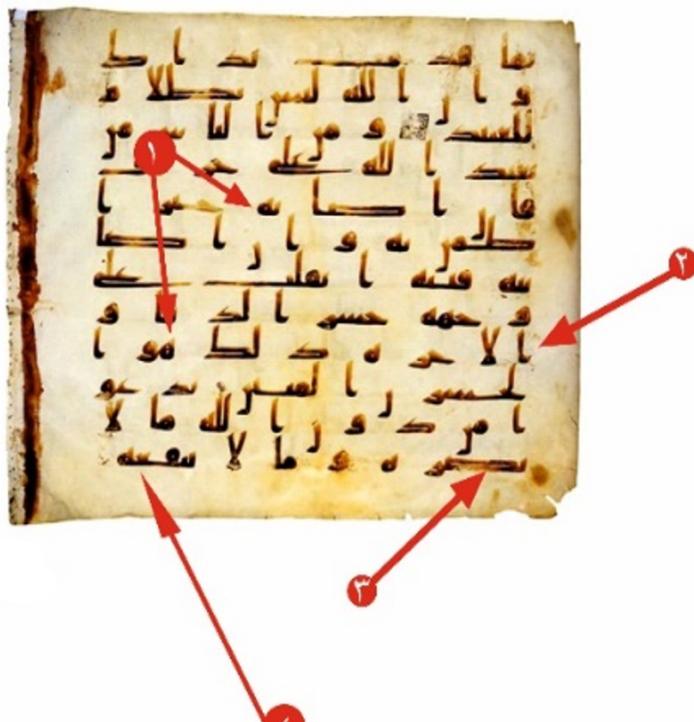
(و) توزيع حروف الكلمة الواحدة بين نهاية سطر سابق وبداية سطر لاحق (انظر: صورة رقم 2).

(ز) ترك كتابة الهمزة وإن كانت مفردة.

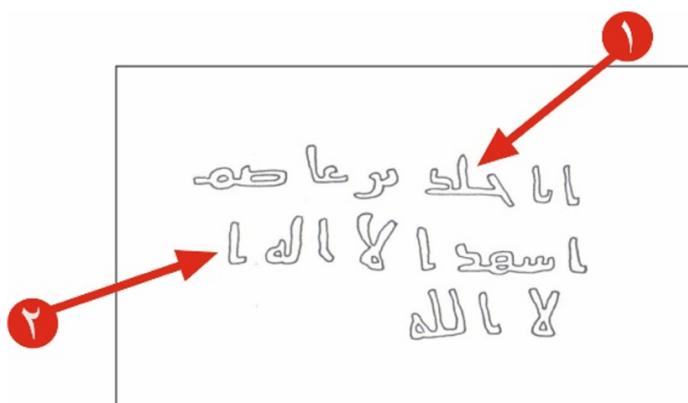
(ح) ترك كتابة ألف المد (انظر: صورة 19 / رقم 1).

(ط) أن أغلب صفحات المصاحف التي كُتبت في حقبة الخط المدني كانت كثيفة من حيث صغر المoomاش، وتقابـل المسافات بين السطور إلى درجة تلامس أطراف الحروف العالية، من مثل الألفات واللامات مع قاعدة السطر الذي فوقه، وكذا الحروف ذوات المقاطع المتـدليـة - ولا سيما القاف - تختـرق مسار الكتابة في السطر الذي هو أسفل منه.

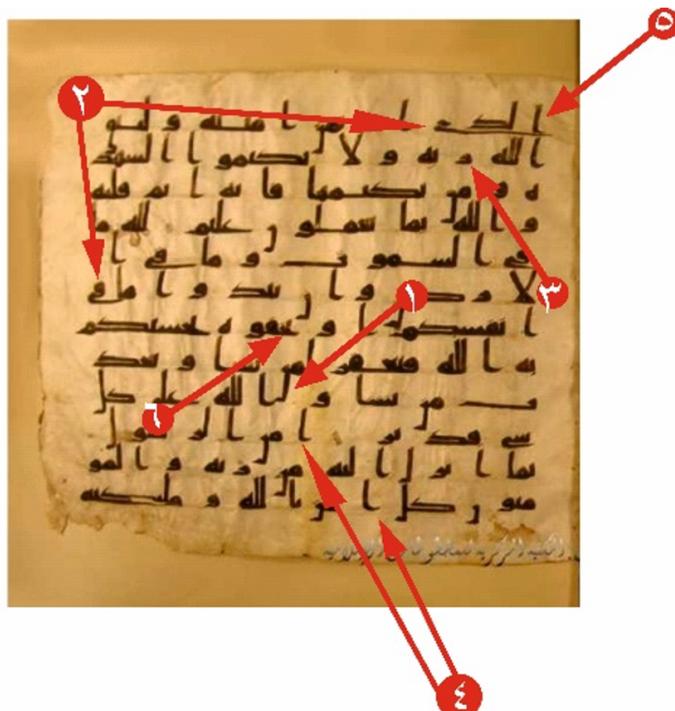
- (ي) أن الأقلام كانت ذوات رأس عريض، ولم تكن مشطوفة كما هي أقلام الخط التي جاءت فيما بعد، وذلك من زاوية ميل نهايات الامتدادات العمودية والأفقية كذلك، إذ إن هذه الزاوية التي تقترب أكثر من الوضع الأفقي يصعب رسمها بقلم ذي سِنٍ مشطوف.
- (ك) أن الأحرف الخمسة عندما تسبق الجيم أو إحدى أختيهما؛ لا تلتجم معها في نظام السطر (الكرسي)، بل يكون التحامها من الأعلى في الجزء المنحدر من رأس الجيم، (انظر: صورة 18 / رقم 6، صورة 20 / رقم 1).
- (ل) أن الأجزاء العمودية في بعض الأحرف تكون مائلة من الأعلى نحو اليمين (انظر: صورة 16 / رقم 5).
- (م) أن الألف المفردة عمود رأس، وأحياناً يكون مائلًا إلى اليمين من الأعلى، وينتهي من الأسفل بلمس خط الأساس متوجهًا بذيل مقوس مدَبَب إلى اليمين، ويكون هذا التقوس قصيراً أو طويلاً وفق الفراغ المتاح (انظر: صورة 18 / رقم 4).
- (ن) أن الأحرف الخمسة تُكتب من دون تتابع متماشٍ، إذ يُمْيز بينها بتعديل ارتفاع السن في المنتصف، وذلك لتسهيل قراءة الكلمة.
- (س) أن الياء المفردة أو الأخيرة تبدأ بجزء صاعد قصير، ثم تليه هابطة بذيل متوجه إلى اليمين أسفل الكلمة، وأحياناً تُكتب كما اليوم بتوجيه ذيل الياء إلى اليسار (انظر: صورة 18 / رقم 2).
- (ع) تكحيل بعض الحروف بسِنٍ القلم لصوغ أشكال هندسة منتظمة، من مثل ملء الزوايا، وتدوير الحروف المدورة.
- (ف) أن العين أو الغين (في الوسط) يُكتَبَان مثليَن على شكل (٧).
- (ص) أن القاف المفردة أو الأخيرة يُوصَل رأسُها بعنق ملتوٍ على شكل ياء متطرفة.
- (ق) أن رأس الراء أو الزاي يُرسم مثلًا صغيراً مطموساً من داخله (انظر: صورة 18 / رقم 3).
- (ر) ظهرت صور الاستمداد الأفقي البسيط والمقوس، وهو ما يعرف باسم (الكشيدة) (انظر: صورة 16 / رقم 3).
- (ش) أن علاقات بعض الحروف تُبْطَت تحت خط الأساس، وقد تصل إلى السطر التالي (انظر: صورة 18 / رقم 1).



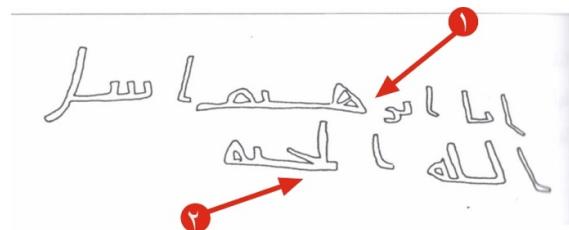
صورة (16)



صورة (17)



صورة (18)



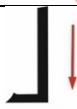
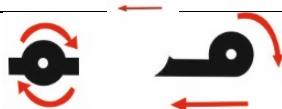
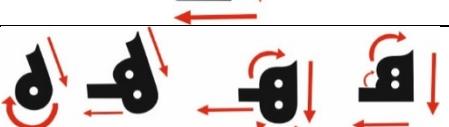
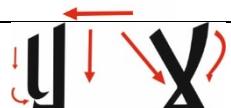
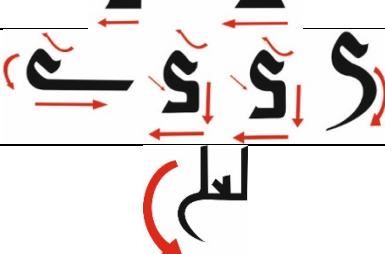
صورة (19)



صورة (20)

وفيما يأتي توضيح لصور الحروف المفرودة المتشابهة رسماً المختلفة صوتاً، وهي تسعه عشر حرفًا، مع بيان اتجاه حركة القلم في كل حرف:

الحرف	م.	صورة الحرف واتجاه الحركة فيه
الألف	1	
الباء وأختها	2	
الجيم وأختها	3	
الدال وأختها	4	
الراء وأختها	5	
السين وأختها	6	
الصاد وأختها	7	
الطاء وأختها	8	
العين وختها	9	
الفاء	10	
القاف	11	

الحرف	م.	صورةُ الحرفِ واتجاهُ الحركةِ فيه
الكاف	12	
اللام	13	
الياء	14	
النون	15	
الهاء	16	
الواو	17	
اللام ألف	18	
الياء	19	

جدول (1): صور الحروف المفردة المتشابهة رسمًا المختلفة صوتًا في الخط المدنى

2. قيمة التنااسب في الخط العربي

قيمة التنااسب من أهم القيم الفنية في جماليات الخط العربي، وهذه السمة صاحبة المجال الأوسع والأبرز في تلك الجماليات، إذ تتعلق ب الهندسة الحروف ومقاييسها الفنية، وعلاقة عرض الحرف بارتفاعه، وهو ما عُرف باسم "النسبة الفاضلة"، فهي القواعد والقوانين الخطية، وهي النظام الهندسي للحروف الأبجدية، وتصميمها تصميمًا هندسيًا واحدًا، من

مثل قياسات الحروف، وأبعادها، وأطوالها، وعرضها، ودقتها، والمسافات بينها، ومواعدها في الكلمة الواحدة، ونظام السطر الأفقي والعمودي.

ويعود تاريخ فكرة النسبة إلى ابن مقلة في بداية القرن الثالث الهجري، وهو من أطلق عليها اسم (النسبة الفاضلة)،¹ وتعُد نقطة البداية في مرحلة جديدة في تاريخ الخط اللين، فقد وضع ابن مقلة منهاجًا ذا قواعد ونسب معينة، وبنى تلك النسب على حرف الألف، وقسَّ كل الحروف عليهما، إذ جعل ثمانة الألف سبع نقاط، وقدر العرض بنقطة، ثم جعل طول الألف سبع نقاط،² فجعلها مقاييسًا أساسياً، هو دائرة قطرها سبع نقاط، وقسَّ سائر الحروف على تلك الدائرة كما في (شكل 1)، واستعار لهذا الخط - الذي تبلغ طول الألف فيه سبع نقاط - اسم "خط الثالث".



شكل (1): المقاييس الفنية التي وضعها ابن مقلة وُعرفت باسم "النسبة الفاضلة"

ولم تقف جهود ابن مقلة عند هذا، بل وضع مقاييس أخرى للحروف يبلغ طول الألف فيها أربع نقاط، وقسَّ أيضًا سائر الحروف على الدائرة التي يبلغ طول قطرها أربع نقاط، وسُمِّيَ هذا الخط باسم "الخط البديع".

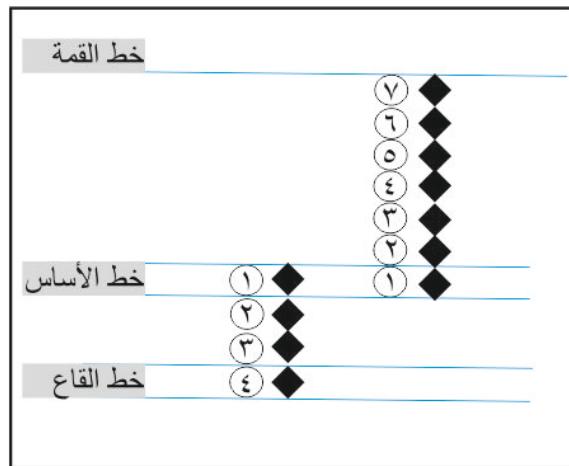
وبناء على فكرة النسبة الفاضلة التي شاع استعمالها منذ ابن مقلة، واستُعملت في تبيان التناوب الجمالي لكل الخطوط التي جاءت بعده حتى يومنا فيما ُعرف بمصطلح (سلم الحروف) بين مارسي الخط العربي؛ يورد الباحث صورًا لحروف الخط المدني، واضعًا المقاييس التناوبية لكل حرف منها بما يحقق القيمة الفنية الجمالية.

¹ انظر: القلقشندى، صُبَحُ الْأَعْشَى فِي صَنَاعَةِ الْإِنْشَا، تَحْقِيق: مُحَمَّدُ حَسِينُ شَمِسُ الدِّينِ (بِيْرُوْت: دَارُ الْكِتَابُ الْعُلُومِيَّةِ، 1987)، ج: 3-19؛ الْفَعْرُ، تَطْوِيرُ الْكِتَابَاتِ وَالنَّقْوَشِ فِي الْمَحَاجَزِ، ص: 77-78.

² انظر: مَرْزُوقُ، الْمَصْحَفُ الْشَّرِيفُ، ص: 30-28.

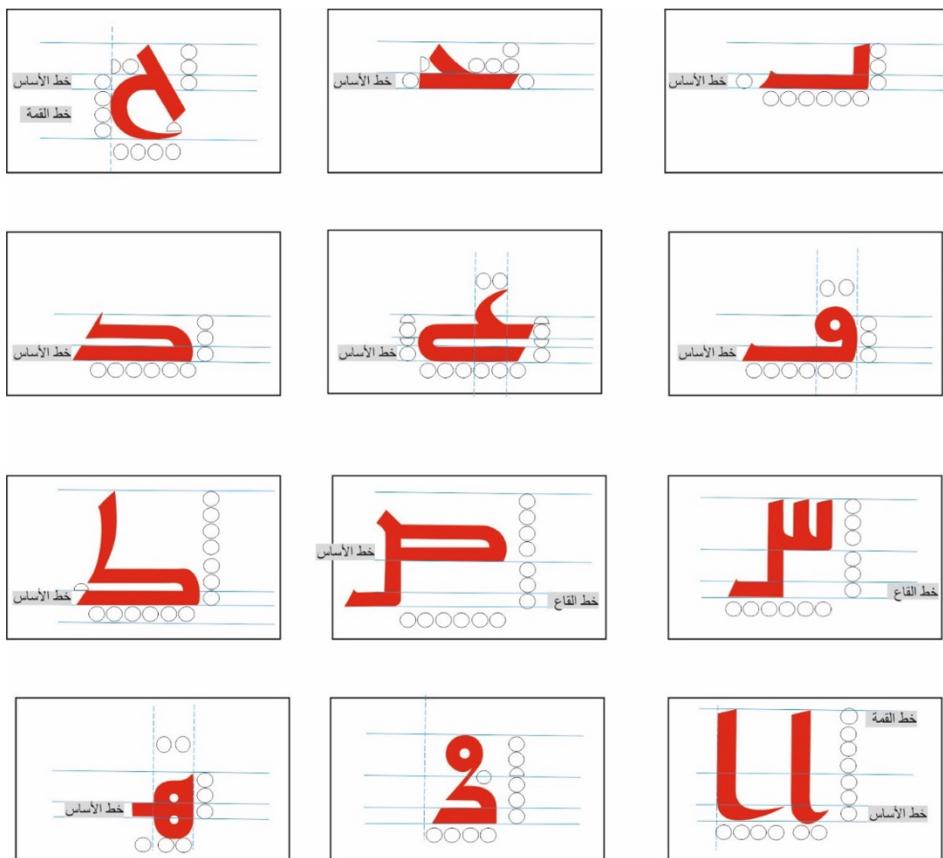
ولا بد من الإشارة إلى أنه يشترط لتحقيق الالتزام بالنسبة الجزئية لكل حرف في أجزاءه الرئيسية والعمودية؛ أن تكون له وحدة جزئية (ثابتة) تقدر بعرض القلم الذي يُكتب به، فلو افترضنا أن النقطة التي نكتبها بالقلم مقدارها (1 سم)، فإن كتابة حرف الألف مثلاً سيكون ارتفاعها من أسفل الأساس إلى القمة (7 سم)، أي سبع نقاط بعرض القلم الذي يُكتب به، وكذلك يجب إيقاع الأجزاء الأفقية من كل حرف على (خط الأساس) الذي يبقى مخصوصاً في نطاقه الجزء الأول بين خطين منفردين مزدوجين متوازيين، وترتفع الأجزاء فوق الأساس حتى يصل أعلىها إلى قمة الجزء السابع، على أن الأساس يمثل الجزء الأول الأسفل. و(خط القمة) هو الخط الأفقي الثاني الموازي خط الأساس الذي يرتفع ابتداءً من أسفل الأساس بمقدار سبع نقاط.

و(خط القاع) هو الخط الأفقي الثالث الموازي خط الأساس الذي يقع تحته بمقدار ثلاثة نقاط، كما في (شكل 2).



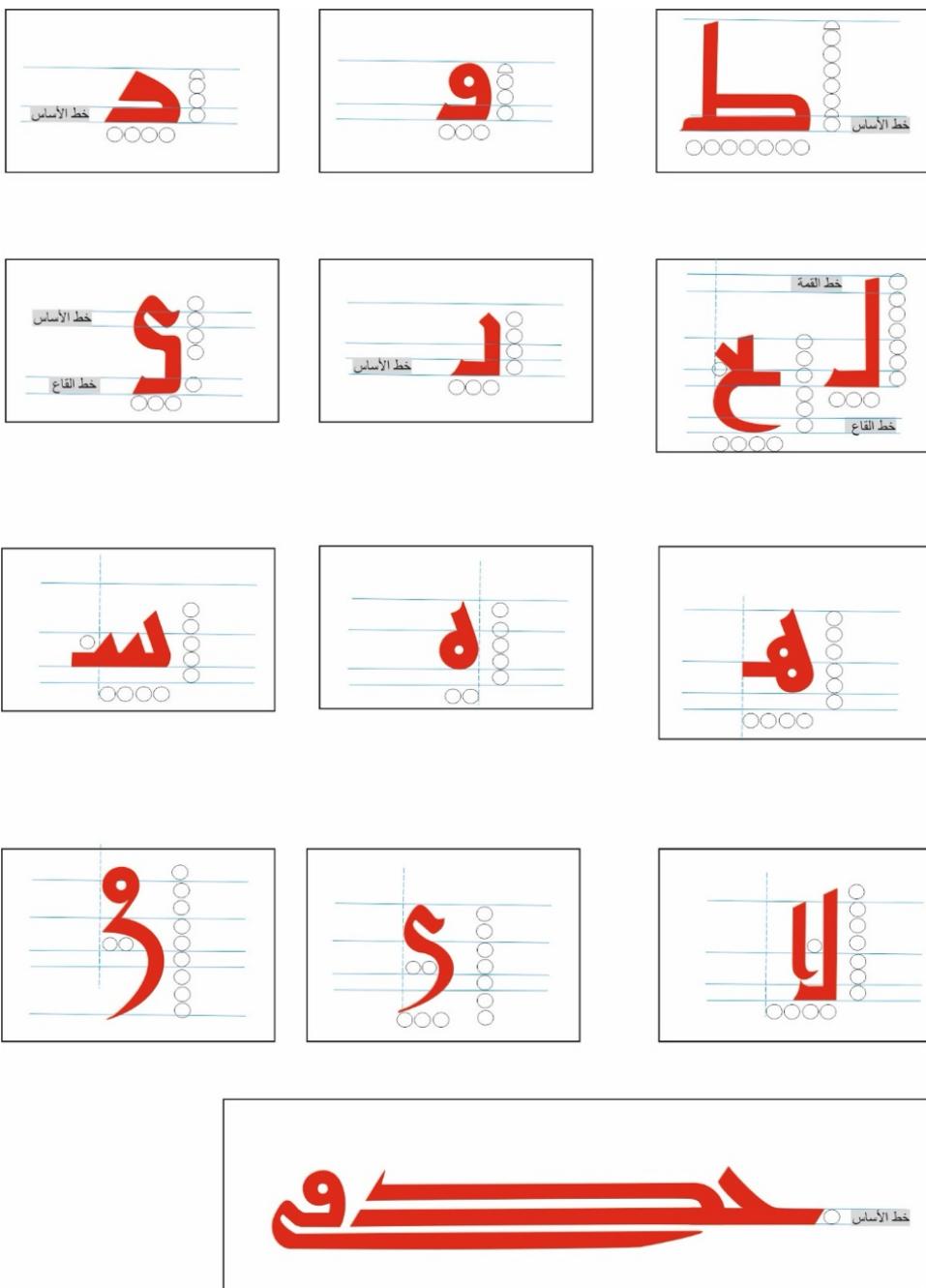
شكل (2): سلم الحروف

وعلى هذا التنظيم تمكّن الباحث من وضع أساسٍ جماليةٍ تناصية، لتناسب أجزاء الحرف الواحد، وكذلك لتناسب الحروف في السطر الواحد، وتوضح في (شكل 3).



شكل (3): الأسس الجمالية التناصية لأبجدية الخط العربي

ويشير الباحث إلى أنه يجوز جماليًا الاستمداد الأفقي للحروف، كما يتضح في الصورة الأخيرة من (شكل 4).



شكل (4): الأسس الجمالية التناصية لأبجدية الخط العربي

خاتمة

خلص البحث إلى أن الخط المد니 - بصورته اليابسة واللينة - هو الأصل الذي انبثقت منه جميع الخطوط العربية المعروفة لاحقاً، وأن الخط الكوفي لم يكن سوى تطوراً للخط المدني اليابس الذي انتقل من الحجاز إلى الكوفة، وليس أصلًا له، وقد بينَ البحث - استناداً إلى الشواهد التاريخية والمادية - أن الحجاز كان مركز الإشعاع الأول للكتابة العربية، وأنه سبق الكوفة والبصرة في تطوير الخطوط، وتوظيفها في كتابة القرآن الكريم والمراسلات الرسمية والنقوش التذكارية.

وقد ناقش البحث الادعاءات الاستشرافية التي روجت أن الخط الكوفي هو "أبو الخطوط العربية"، وأن أصله سرياني أو آرامي، وبينَ أنها لا تستند إلى دليل علمي، وأنها جاءت في سياق محاولات نزع الفضل عن العرب في تأسيس الفن الإسلامي، ولا سيما فن الخط العربي الذي عُدَّ درة الناج في الحضارة الإسلامية، ولكن اللافت أن كثيراً من المراجع العربية الحديثة اعتمدت تلك الرؤية من دون تمحیص، فأغفلت المكانة الحضارية والثقافية للحجاز في نشأة الخط العربي وتطوره.

وأظهر البحث علاقة الخط المدني بالخط النبطي من حيث البنية الشكلية للحروف واتجاهاتها، وهو ما يؤكد أن الكتابة العربية ولدت من رحم الكتابة النبطية، ثم تطورت في بيئة الحجاز، حتى بلغت مرحلة النضج في صدر الإسلام، إذ دلَّ تحليل المصاحف المبكرة، والبرديات، والنقوش الأثرية، على نظام كتابي متماسك يتميَّز بخصائص جمالية واضحة، من مثل التناسب، والاستمداد، وتكحيل الحروف، وتنوع أشكالها وفق مواقعها في الكلمة.

وتوصَّل الباحث عبر التحليل الجمالي إلى وضع نسبٍ دقيقة لأبجدية الخط المدني، تُعِين الخطاطين والمصممين على الإفادة من هذا الخط الأصيل في الأعمال الفنية المعاصرة، بما يضمن الجمع بين الأصالة والابتكار، فالخط المدني ليس وسيلة للكتابة فحسب، بل نظاماً فنيًّا هندسياً يمتاز بالتوازن والانسجام والإيقاع البصري، ويتمثل الأساس الجمالي الذي قامت عليه قواعد الخط العربي اللاحقة منذ ابن مقلة.

وتوَكَّدَ النَّتَائِجُ أَنَّ إِعادَةَ دراسَةِ الخطِّ المَدِينيِّ (الْحِجَازِيِّ) تُفْتَحَ آفَاقًا جَدِيدًا أَمَامَ الْبَاحِثِينَ وَالْخَطَاطِينَ لِإِحْيَاءِ جُذُورِ الْجَمَالِ الْعَرَبِيِّ الْأَوَّلِ، وَإِعادَةِ الاعْتِبَارِ إِلَى المَكَانَةِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْحِجَازِ فِي نَشَأَةِ الخطِّ الْعَرَبِيِّ، بِمَا يَضُعُ حَدًّا لِلرَّؤْيَاةِ الْأَحَادِيَّةِ الَّتِي حَصَرَتْ تَطْوُرَ الخطِّ فِي الْكُوْفَةِ، ثُمَّ إِنَّ إِحْيَاءَ دراسَةِ هَذَا التَّرَاثِ الْخَطِّيِّ الْأَصِيلِ يَسْهُمُ فِي تَعْزِيزِ الْمَوْيَةِ الْبَصَرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِثْرَاءِ الْمَارِسَاتِ الْفَنِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ بِمَرْجِعِيَّاتِ أَصِيلَةٍ مُسْتَمْدَةٍ مِنْ بَدَائِيَّاتِ الْوَحْيِ وَالْكِتَابَةِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن النديم، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان (بيروت: دار المعرفة، 1997).

ابن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأَكْبَر، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ط1، 1981).

ابن سعد، الطبقات الْكَبِيرِ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990).

ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ط2، 1375هـ).

أبو الحسن الندوبي، السيرة النبوية، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري (دمشق: دار ابن كثير، ط12، 2004).

أحمد وسام شاكر، "مصاحف صناعة"، مجلة الدراسات الدينية، العدد (1)، 2014.
أحمد وسام شاكر، "مصحف عثمان بدار الكتب المصرية: الأصول والتاريخ"، مكتبة القرآن
أونلاين، نُشر في 20 يناير 2022.

إسماعيل مخدوم، تاريخ المصحف العثماني في طشقند (طشقند: الإدارة الدينية، 1971).
إياد سالم صالح السامرائي، "المصاحف المخطوطة الألفية: التعريف بها وأهميتها والمحافظة
عليها"، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
الشريف، 2017(15)، 2017.

إيمان يحيى، "مخطوطات - مصحف طشقند"، أبجديات، نُشر في 2 يوليو 2012.
إيمان يحيى، "مخطوطات / مصحف القاهرة"، أبجديات، نُشر في 24 مايو 2012.
بهنام صادقي، محسن جودارزي، "طرس صناعة (1) وأصول القرآن"، ترجمة: حسام صبري،
مركز تفسير للدراسات القرآنية، لم يُذكر تاريخ النشر.

حسن قاسم حبس البياتي، **رحلة المصحف الشريف من الجريدة إلى التجليد** (بيروت: دار القلم، 1993).

حياة عبد الله حسين الكلابي، **النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية: من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري** (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2009).

خالد عبد الله، **"خصائص الخط الحجازي"**، التصميم الظباعي والخط العربي، نُشر في 17 ديسمبر 2017.

السيد محمد عبد الحي الكتاني، **التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية**، تحقيق: عبد الله الخالدي (بيروت: دار الأرقم، ط2).

عبد الله عبد الرحمن الخطيب، **"ترتيب سور المصحف الشريف بين العلماء المسلمين والمستشرقين: عرض ونقد"**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لم يذكر تاريخ النشر.

عبد الله فتني، **"توظيف الخط العربي في تصميمات جمالية مستحدثة"**، مجلة الفنون الجميلة - فنون معمارية، جامعة الإسكندرية، 3(1)، 2009.

علي الجندي، **تاريخ الأدب الجاهلي** (بيروت: مكتبة الجامعة العربية، ط2، 1966).
القلقشندى، **صبح الأعشى في صناعة الإنسنا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987).

مجموعة من الباحثين، **أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة** (الرياض: وزارة التربية والتعليم، 1425هـ).

مجموعة من الباحثين، **الخط العربي من خلال المخطوطات** (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1406هـ).

محمد حميد الله الحيدر، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (بيروت: دار النفائس، ط5، 1985).

محمد عبد العزيز مزروق، **الصحف الشريف: دراسة تاريخية وفنية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975).

محمد فهد الفعر، **تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري** (جدة: دار تحامة، 1405هـ).

مسلم بن الحاج، **المسند الصحيح المختصر**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1374هـ).

مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن** (القاهرة: دار وهبة، ط7، 1995).

ناصر بن علي الحارثي، **أحجار شاهدية غير منشورة من متحف الآثار والتراث بمكة** (الرياض: وزارة التربية والتعليم، ط1، 2007).

"النقوش الشاهدية في السعودية... مكة مكتبة العالم: أنفس الآثار تعود إلى بوآكير القرن الأول الهجري"، **الشرق الأوسط**، نُشر في 4 مارس 2020.

"ختم الرسول"، ويكيبيديا، نُشر في 29 سبتمبر 2020.

"خطوطات صناعة"، ويكيبيديا، نُشر في 16 سبتمبر 2010.

"خطوطة مصحف بمنجهام الجزء الأول من جزأين"، **دراسات وأبحاث إسلامية معاصرة**، لم يذكر تاريخ النشر.

"Colt Papyrus 60," *The Morgan Library & Museum*, no publishing date.

"P. Vindob. Inv. A. P. 519 - A Papyrus Being an Individual Debt Receipt, around 20 AH / 641 CE," *Islamic Awareness*, published on April 30, 2020.

"PERF No. 558 - One of the Earliest Bilingual Papyrus from 22 AH / 643 CE," *Islamic Awareness*, published on November 2, 2000.

"Qur'anic fragment on papyrus, probably a writing exercise, containing Surah 7 verses 10-25," *Leiden University Libraries, Digital Collections*, no publishing date.

References

Al-Qur'ān al-Karīm.

’Imān Yahyā, “[Makhtūtāt – Mushaf Tashqand](#),” *’Abjadiyyāt*, published on July 2, 2012.

’Imān Yahyā, “[Makhtūtāt / Mushaf al-Qāhira](#),” *’Abjadiyyāt*, published on May 24, 2012.

Abū al-Hasan al-Nadwī, *al-Sīrah al-Nabawiyah*, Sayyid ‘Abdulmājid al-Ghūrī (Ed.) (Damascus: Dār Ibn Kathīr, 12th Ed., 2004).

Aḥmad Wisām Shākir, “Maṣāḥif Ṣan‘ā,” *Majallah al-Dirāsāt al-Dīniyyah*, No. (1), 2014.

Aḥmad Wisām Shākir, “[Mushaf ‘Uthmān bi-Dār al-Kutub al-Misriyyah: al-Usūl wa-al-Tārīkh](#),” *Maktabah al-Qur'ān Online*.

Al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-Asḥā fī Ṣinā’ah al-’Inshā*, Muḥammad Ḥusyn Shamsuddīn (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-’Ilmiyyah, 1st Ed., 1987).

Al-Sayyid Muḥammad ‘Abdulḥy al-Kattānī, *al-Tarātīb al-Idāriyyah wal-’Amālāt wal-Ṣinā’āt wal-Matājir wal-Ḥālah al-’Ilmiyyah allatī kānat ’alā ’Ahd Ta’sīs al-Madāniyyah al-Islāmiyyah fī al-Madīnah al-Munawwarah al-’Ilmiyyah*, ‘Abdullāh al-Khālid (Ed.) (Beirut: Dār al-Arqam, 2nd Ed.).

Bahnām Ṣādiqī & Muhsin Jūdārzī, “[Tars San‘ā’ \(1\) wa-Usūl al-Qur’ān](#),” Ḥussām Ṣābrī (Trans.), *Markaz Tafsīr li-al-Dirāsāt al-Qur’āniyyah*, no publishing date.

Hasan Qāsim Ḥabash al-Bayātī, *Rihlat al-Muṣṭafā al-Sharīf min al-Jarīd ilā al-Tajlīd* (Beirut: Dār al-Qalam, 1993).

Hayāḥ ‘Abdullāh Ḥusyn al-Kilābī, *al-Nuqūsh al-Islāmiyyah ’alā Ṭarīq al-Ḥajj al-Šāmī bi-Shamāl Gharb al-Mamlakah al-’Arabiyyah al-Sa’ūdiyyah: min al-Qarn al-’Awwal ilā al-Qarn al-Khāmis al-Hijrī* (Riyadh: Maktabah al-Malik Fahd al-Wataniyyah, 2009).

Ibn al-Nadīm, *al-Fihrist*, Ibrāhīm Ramaḍān (Ed.) (Beirut: Dār al-Ma’rifah, 1997).

Ibn Hishām, *al-Sīra al-Nabawiyah*, Muṣṭafā al-Saqqā wa-Ākharīn (Eds.) (Cairo: Maṭba’ah ‘Īsa al-Bābī al-Ḥalabī, 2nd Ed., 1375H.).

Ibn Khaldūn, *al-‘Ibar wa-Dīwān al-Mubtada’ wal-Khabar fī Tārīkh al-‘Arab wal-Barbar wa-man ‘āsharuhum min Dhawī al-Sha’n al-Akbar*, Khalīl Shahāda (Ed.) (Beirut: Dār al-Fikr, 1st Ed., 1981).

Ibn Sa‘d, *al-Ṭabaqāt al-Kubrā*, Muḥammad ‘Abdulqādir ‘Aṭā (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1990).

Ismā‘īl Makhdūm, *Tārīkh al-Muṣḥaf al-‘Uthmānī fī Ṭashqand* (Tashkent: al-Idārah al-Dīniyyah, 1971).

Iyād Sālim Ṣāliḥ al-Samearā‘ī, “al-Maṣāḥif al-Makhtūṭah al-Alfiyyah: al-Ta‘rīf bihā wa-Ahammiyyatihā wal-Muḥafazah ‘alayhā”, *Majallaḥ al-Buḥūth wal-Dirāsāt al-Qur’āniyyah*, Mujamma‘ al-Malik Fahd li-Tibā‘ah al-Muṣḥaf al-Shārif, 10(15), 2017.

Khālid ‘Abdullāh, “Khasā’is al-Khatt al-Hijāzī”, *al-Taṣmīm al-Tibā‘ī wal-Khaṭṭ al-‘Arabī*, published on December 17, 2017.

Majmū‘ah min al-Bāḥithīn, *Aḥjār al-Ma’lāh al-Shāhidiyah bi-Makkah al-Mukarramah* (Riyadh: Ministry of Education, 1425H.).

Majmū‘ah min al-Bāḥithīn, *al-Khaṭṭ al-‘Arabī min khilāl al-Makhtūṭāt* (Riyadh: Markaz al-Malik Fyṣal lil-Buḥūth wal-Dirāsāt al-Islāmiyyah, 1406H.).

Mannā‘ al-Qaṭṭān, *Mabāḥith fī ‘Ulūm al-Qur’ān* (Cairo: Dār Wahbah, 7th Ed., 1995).

Muḥammad Fahd al-Fa‘r, *Taṭawwur al-Kitābāt wal-Nuqūsh fī al-Hijāz mundhu Fajr al-Islām hattā Muntaṣaf al-Qarn al-Sābi‘ al-Hijrī* (Jeddah: Dār Tihāmah, 1405H.).

Muḥammad Ḥamīdullāh al-Ḥaydar, *Majmū‘ah al-Wathā‘iq al-Siyāsiyyah lil-‘Ahd al-Nabawī wal-Khilāfah al-Rāshidah* (Beirut: Dār al-Nafā‘is, 5th Ed., 1985).

Muḥammad ‘Abdul‘azīz Marzūq, *al-Muṣḥaf al-Shārif: Dirāsah Tārīkhīyyah wa-Fannīyyah* (Cairo: al-Hay‘ah al-Miṣriyyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1975).

Muslim ibn al-Ḥajjāj, *al-Muṣnād al-Ṣahīh al-Mukhtaṣar*, Muḥammad Fu‘ād ‘Abdulbāqī (Ed.) (Cairo: Maṭba‘ah ‘Īsa al-Bābī al-Ḥalabī, 1st Ed., 1374H.).

Nāṣir ibn ‘Alī al-Ḥārithī, *Aḥjār Shāhidiyah Ghayr Manshūrah min Mathaf al-Āthār wal-Turāth bi-Makkah* (Riyadh: Ministry of Education, 1st Ed., 2007).

‘Abdullāh Futynī, “Tawzīf al-Khaṭṭ al-‘Arabī fī Taṣmīmāt Jamāliyah Mustahdathah”, *Majallah al-Funūn al-Jamīlah* - *Funūn Mi ‘māriyyah*, Jāmi‘ah al-Iskandariyyah, 3(1), 2009.

‘Abdullāh ‘Abdurrahmān al-Khaṭīb, “Tartīb Suwar al-Mushaf al-Sharīf bayna al-‘Ulamā’ al-Muslimīn wal-Mustashriqīn: ‘Ard wa-Naqd”, *Mu’assasah al-Furqān lil-Turāth al-Islāmī*, no publishing date.

‘Alī al-Jundī, *Tārīkh al-‘Adab al-Jāhilī* (Beirut: Maktabah al-Jāmi‘ah al-‘Arabiyyah, 2nd Ed., 1966).

“Al-Nuqūsh al-Shāhidiyah fī al-Sa‘ūdiyya... Makka Maktabah al-‘Ālam: Anfas al-Āthār Ta‘ūd ilā Bawākir al-Qarn al-Awwal al-Hijrī,” *al-Sharq al-Awsṭ*, published on March 4, 2020.

“Colt Papyrus 60,” *The Morgan Library & Museum*, no publishing date.

“Khatam al-Rasūl,” *Wikipedia*, published on September 29, 2020.

“Makhtūtāt Mushaf Birmingham: al-Juz’ al-Awwal min Juz’ ayn,” *Dirāsāt wa-Abhāth Islāmiyya Mu‘āṣira*, no publishing date.

“Makhtūtāt San‘ā’,” *Wikipedia*, published on September 16, 2010.

“P. Vindob. Inv. A. P. 519 - A Papyrus Being an Individual Debt Receipt, around 20 AH / 641 CE,” *Islamic Awareness*, published on April 30, 2020.

“PERF No. 558 - One of the Earliest Bilingual Papyrus from 22 AH / 643 CE,” *Islamic Awareness*, published on November 2, 2000.

“Qur’anic fragment on papyrus, probably a writing exercise, containing Surah 7 verses 10-25,” *Leiden University Libraries, Digital Collections*, no publishing date.



المنظومات التعليمية العربية ومكانتها في حماية اللغات المحلية وتعليمها قراءة في نماذج من المخطوطات العجمية في تمبكتو

عبد الكريم حمد*

مُستخلص

يخلل هذا البحث مخطوطين نادرتين محفوظين بالرقمين (2457، 27538) في معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، في تمبكتو، ويضم هذان المخطوطان منظومات تعليمية تُقابل فيها المفردات العربية بنظيراتها في لغة السونغاي، ضمن إطار شعرى ذي وظيفة تربوية ومعرفية، ومن ثم يُيرز البحث تجاوزَ الشعر العربي حدوده الجمالية ليصبح أداةً لنقل المعرف، وتوثيق اللغات المحلية، والإسهام في تعليمها، وبالمنهج الوصفي النصي يبيّن البحث هذا الاستعمال الإبداعي للنظم التعليمي العربي، وهو ما يكشف روح الانفتاح الثقافي للحضارة الإسلامية في إفريقيا، إذ أَدَّت اللغة العربية دوراً محورياً في حفظ اللغات المحلية وتعليمها، لا بوصفها لغة هيمنة، بل جسراً للتواصل والتفاهم وبناء المعرفة المشتركة.

مفاتيح البحث: المنظومات التعليمية، تعليم اللغات، المخطوطات العربية، المخطوطات العجمية، لغة السونغاي

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والعلوم اللسانية، جامعة يامبو ولوغيم، باكو، جمهورية مالي،
abdoulk41@yahoo.fr



Arabic Didactic Poetry and its Role in Preserving and Teaching Local Languages: A Study of Ajami Manuscript Models from Timbuktu

Abdoul Karim Hamadou*

Abstract

This study examines two rare manuscripts (No. 2457 and No. 27538) preserved at the Ahmed Baba Institute of Higher Studies and Islamic Research in Timbuktu. These manuscripts contain didactic poems in which Arabic words are matched with their Songhay equivalents in a poetic and pedagogical framework. The research highlights how Arabic poetry transcended its aesthetic function to become a vehicle for knowledge transmission, language documentation, and education. Using a descriptive and philological approach, the study sheds light on this creative use of Arabic didactic poetry and on the spirit of cultural openness that characterized Islamic civilization in Africa. The Arabic language, in this context, played a vital role in safeguarding and teaching local languages not as a tool of domination, but as a bridge fostering communication, mutual understanding, and shared knowledge.

Keywords: Didactic poetry, language teaching, Arabic manuscripts, Ajami manuscripts, Songhay language

* Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Languages and Linguistics, Yambo Ouologuem University, Bamako, Republic of Mali, abdoulk41@yahoo.fr.

مقدمة

تُعدُّ مدينة تمبكتو - الواقعة في شمالي جمهورية مالي، غربي إفريقيا - من أبرز المعالم الحضارية التي احتضنت عبر القرون تراثاً علمياً وثقافياً فريداً في نوعه، فقد تجاوزت مكانتها بوصفها محطةً تجاريةً للقوافل، إلى أن أصبحت مركز إشعاع فكريٍّ وعلميٍّ استقطب العلماء والطلبة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولا تزال مكتباتها الراخدة بالمخوططات تشهد على هذا التراث العلمي والمعرفي، إذ تضمُّآلاف الوثائق التي تمثل مصدراً ثميناً للبحث العلمي، لم يكشف النقاب إلَّا عن جزء يسير منها، وتمثل هذه المخطوطات في جوهرها شواهدَ حيَّةً على التفاعل الحضاري واللغوي العميق الذي ميَّز المنطقة وارتبط بتاريخها الثقافي الطويل.

وقد اضطلع الشعر العربي بدورٍ محوريٍّ في حفظ المعرف ونقلها عبر العصور، فكان وسيلةً تربوية وتعليمية إلى جانب قيمته الفنية والأدبية، وفي السياق الإفريقي اكتسب الشعر بعدها إضافياً، إذ تحول إلى أداةً مجُديَّةً في تعليم اللغات المحلية وتوثيقها، وبخاصة في البيئات التي غلبت عليها الشفوية وندر فيها التدوين المبكر، ومن ثم يبرز الدور الريادي لما يُعرف باسم "المخطوطات العجمية"، أي النصوص التي كُتبت بالحرف العربي وتضمَّنت لغاتٍ إفريقيَّةً محليةً عدَّةً، وتمثل هذه المخطوطات مجالاً خصباً لدراسة تطُور اللغات الإفريقية من حيث البنية والدلالة، ووظائفها التعليمية والدينية.

ومع كثرة دراسات الشعر العربي التعليمي، ظلَّ دوره في خدمة اللغات الإفريقية عبر المخطوطات العجمية - وبخاصة في تمبكتو - مجالاً لم ينل العناية الكافية، إذ استعملت المنظومات التعليمية العربية وسيلةً لدمج المفردات والتركيب المحلي، وتبينت ملامح من خصائص تلك اللغات داخل قالب شعرٍ عربيٍ يسهل حفظه واستيعابه، ويكشف هذا التفاعل بين العربية واللغات الإفريقية عن مستوى عميق من التواصل اللغوي والثقافي بين المجتمعات المحلية والفضاء العربي الإسلامي.

وانطلاقاً من هذه الفجوة البحثية، تتمحور الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في السؤال عن كيفية إسهام المنظومات التعليمية العربية في المخطوطات العجمية في حفظ اللغات المحلية وتعليمها، وبيان الأُساليب الشعرية التي اعتمدها مؤلفوها لتحقيق هذا الدور، وتتفرَّع عن هذه الإشكالية الرئيسة الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما الدور الذي تؤديه المنظومات التعليمية العربية في حفظ اللغات المحلية وتعليمها داخل المخطوطات العجمية في تمبكتو؟
 - كيف استعملت البنية الشعرية للمنظومة العربية لتضمين المفردات والتركيب المحلي وتشييدها لدى المتعلمين؟
 - ما طبيعة العلاقة بين العربية واللغات الإفريقية كما تجلّت في هذا النمط من الإنتاج الشعري التعليمي؟
- وبهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية المرتبطة بفهم دور المنظومات التعليمية العربية في المخطوطات العجمية، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:
- تحليل الدور الذي قامت به المنظومات التعليمية العربية في حفظ اللغات المحلية وتعليمها داخل المخطوطات العجمية في تمبكتو، وذلك عبر الكشف عن وظائفها التعليمية وألياتها في تشييدها المفردات والتركيب الإفريقي.
 - تبيّن الأساليب الشعرية التي اعتمدتها مؤلفو المنظومات التعليمية لإدماج المفردات والتركيب المحلي ضمن البنية الشعرية العربية، مع دراسة أثر هذا التوظيف في تسهيل الحفظ والفهم لدى المتعلمين.
 - استكشاف طبيعة العلاقة اللغوية والثقافية بين العربية واللغات الإفريقية التي تبرزها هذه المنظومات، وما تمثله من أنموذج لتفاعل الحضاري بين الفضاء العربي الإسلامي والمجتمعات الإفريقية المحلية.
- ويعتمد هذا البحث منهجاً وصفيّاً تحليلياً يرتكز على دراسة مجموعة من النصوص الشعرية التعليمية الواردة في المخطوطات العجمية في تمبكتو، وذلك عبر حصر النماذج ذات الصلة، وتحليل بنيتها الشعرية للكشف عن أساليب دمج المفردات والتركيب المحلي في القالب العربي، ودراسة محتواها اللغوي والتعليمي؛ لبيان كيفية إسهامها في حفظ اللغات الإفريقية وتعليمها، ومن ثم يقارن البحث النتائج مع الدراسات السابقة المتعلقة بالشعر التعليمي والمخطوطات العجمية والتفاعل اللغوي بين العربية واللغات الإفريقية؛ بهدف استخلاص طبيعة العلاقة اللغوية والثقافية بين الطرفين التي تبرزها هذه المنظومات.

- ويعتمد هذا البحث مصدرين رئيسيين من المخطوطات العجمية المحفوظة في تمبكتو:
- أحدهما مخطوط قصيدة تعليمية لأحمد مودي كيسوو، محفوظ في معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، في تمبكتو، ويمثل أنموذجاً لتوظيف الشعر العربي في خدمة متعلّمي السونغاي.
 - والآخر مخطوط مجھول المؤلّف، يشرح عدداً من المفردات السونغاوية، ويكشف عن التفاعل المبكر بين العربية واللغات الإفريقية في سياقات تعليمية.

وإلى جانب هذين المخطوطين، يستفيد البحث من عدّة دراسات سابقة تناولت الشعر التعليمي والتراث العجمي، من أبرزها أعمال خالد الحلبي في نشأة الشعر التعليمي، وكباً عمران في حضور الشعر العربي في التعليم غربياً إفريقياً، وطه علي خليفة في وظائف الشعر التعليمي في نيجيريا، إضافة إلى مقال جواد غلام علي زاده، وكبri روشنفر، ذي الرؤية التاريخية والتركيبية.

ويمثل كتاب "تراث مخطوطات اللغات الإفريقية بالحرف العربي: عجمي" لحلمي شعراوي الصادر عام (2017) مرجعاً أساسياً لفهم سياق الكتابة العجمية وتطورها في إفريقيا، وُتُّظْهَر مراجعة الدراسات السابقة أنَّ أغلبها رَكَّزَ على الجوانب التاريخية والأدبية من دون تحليل البعد اللساني التربوي للمنظومات التعليمية، وهو ما يسعى البحث إلى استدراكه عبر تحليل هذين المخطوطين، وفهم دلالتهما اللغوية والثقافية.

وتتجلى أهمية هذا البحث في سعيه إلى إعادة تقييم الشعر التعليمي العربي في غرب إفريقيا، عبر النظر إليه لا بوصفه نتاجاً أدبياً فحسب، بل بوصفه أداة تربوية وثقافية أساسية أسهمت في حفظ التراث اللغوي الإفريقي، وتدوين ملامحه المبكرة، أما قيمة البحث العلمية فتكمّن في إبراز الشعر العربي العجمي مصدراً معرفياً بديلاً لفهم آلية التفاعل بين العربية واللغات المحلية، والكشف عن دوره في التعليم والتنقيف في البيئات الإفريقية، ومن ثم يسهم هذا البحث في سدِّ فجوة بحثية تتعلق بغياب التحليل اللساني التربوي للمنظومات التعليمية، وبفتح آفاقاً جديدة لفهم العلاقة بين الهوية اللغوية والإبداع الشعري في السياق الإفريقي.

ويقتصر البحث على تحليل مجموعة محددة من المنظومات التعليمية العربية الواردة في المخطوطات العجمية في تمبكتو، مع التركيز وخاصة على المواد المكتوبة بلغة السونغاي، من دون التوسيع في اللغات الإفريقية الأخرى الحاضرة في التراث العجمي.

وتنحصر الحدود الموضوعية في دراسة النماذج التي تُظهر توظيفاً واضحاً للمفردات والتركيب داخل القالب الشعري العربي؛ بهدف الكشف عن آليات التفاعل بين اللغتين، وتقتصر الحدود اللغوية على تحليل الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية الممكن استنباطها مباشرة من تلك النصوص، من دون الخوض في مقارنات لهجية أو لغوية واسعة، أما زمنياً فيرتكز البحث على المخطوطات المتداولة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي الحقبة التي شهدت نشاطاً بارزاً للكتابة العجمية في غرب إفريقيا، ولا يشمل البحث التحقيق النصي الشامل للمخطوطات كلها، بل يعتمد على النسخ المتأحة والموثقة منها.

الإطار النظري

يعتبر الإطار النظري الأساس العلمي والمنهجي الذي يقوم عليه البحث، إذ يسعى إلى تأصيل المفاهيم المرتبطة بالشعر التعليمي ووظائفه في السياق الثقافي والتربوي، مع التركيز على دوره المزدوج في نقل المعرفة وحفظ اللغة، وانطلاقاً من فرادة المخطوطات العجمية في تمبكتو، التي تمثل تراثاً لغويّاً وتربيوياً غنيّاً، يتناول هذا المحور التحديات المفهومية لمصطلحات رئيسة، من مثل "الشعر التعليمي"، و"اللغة السونغاي"، فضلاً عن استعراض مصادر البيانات والدراسات السابقة التي اعتمد عليها البحث.

1. الشعر التعليمي: تعريفه، وتأريخه، وتطوره، واستعمالاته

يعتبر الشعر التعليمي - أو ما يعرف باسم "المنظومات التعليمية" - أحد الأجناس الأدبية التي وظفت قديماً بوصفه وسيلة مُجدية لنقل المعرفة وتبسيط العلوم في الأذهان، وهو يختلف عن الشعر الغنائي أو الملحمي في أنه يركز على تبليغ المعلومة وتيسير استيعابها، لا على الإمتاع أو التخييل.

ويعکن تعريف المنظومة التعليمية بأنّها نصٌّ شعريٌّ موجّهٌ لأغراض التعلم، يُصاغ في قالبٍ موزونٍ يسّهل عملية الحفظ والفهم، ويعتمد في الغالب على بحر الرجز؛ لما يمتاز به من بساطةٍ وإيقاعٍ متحركٍ، وتوظّف هذه المنظومات نقل العلوم والمفاهيم على نحو مختصرٍ واضحٍ، فنجد الأبيات أداؤًةً تربويةً تُعين المتعلّم على استيعاب المادة العلمية وترسيخها في الذاكرة.

ولعلَّ من أقدمَ من مثَّلَ هذا النمط الأدبي الشاعر الإغريقي هسيود، الذي وضع في مقابلة تقليدية مع هوميروس، فيبّنما كان الأول منشغلاً بالأسطورة والسرد البطولي؛ سحر الثاني شعره لتأصيل الحكم والمعارف الفلسفية والعملية، ويؤكّد جواد غلام علي زاده وكبرى روشنفکر أنَّ الشعر التعليمي أحد أنواع الشعر في الأدب العالمي، "وهو الذي يهدف إلى تعليم الناس ويشمل على المضامين الأخلاقية، أو الدينية، أو الفلسفية، أو التعليمية".¹

وقد أدرك القدماء أنَّ الشعر بما يحمله من إيقاعٍ وانتظامٍ يُعين على الحفظ والتذكرة، فاستعملوا النظم وسيلةً لتلقين الطلاب علوماً شتى، من الفلك والحساب إلى الفقه واللغة، ويعُدُّ القرن الثامن الميلادي مرحلةً محورية في نضج هذا الشكل الأدبي في الثقافة العربية الإسلامية، إذ بدأ تصنيف الشعر التعليمي وتوسيع استعماله في تدريس قواعد اللغة، والتجويد، والمنطق، والعقيدة، والفقه، والتصوّف.

وقد بينَ شوقي ضيف أنَّ أبرزَ مَنْ برع في هذا الفن من شعراء العصر العباسي الأول الشاعر أبان بن عبد الحميد، الذي نَظمَ كتاباً "كليلة ودمنة" في نحو أربعة عشر ألف بيتٍ، وعالج في نظمِه الأحكام الفقهية المتعلقة ببابي الصوم والزكاة، وسیرتی أردشير وأنوشروان، إضافةً إلى قصيدة عن مبدأ الخلق؛ ضمَّنَ فيها شيئاً من علم المنطق، ولم يتوقف هذا الفن عند أبان، بل واصل بعضُ الشعراء بعده تطويره وتنميته، وكان في طليعتهم علي بن الجهم، وابن المعتز، وابن دريد.²

¹ جواد غلام علي زاده، كبرى روشنفکر، "الشعر التعليمي: خصائصه ونشأته في الأدب العربي"، مجلة العلوم الإنسانية، (14)، 2007، ص.48.

² انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (القاهرة: دار المعرفة، ط1، 1960-1995)، ص.238.

ومن أبرز أغراض الشعر التعليمي تسهيل الدرس العلمي ويسير حفظه لدى المتعلمين، بفضل ما يتميز به الشعر من إيقاع وجمالية تعين على ترسيخ المعرف، وقد أسرهم هذا الفن في تشجيع الطلبة على حمل العلم والرغبة فيه، عبر صياغته في قوالب ممتعة لحفظ بسهولة وشُجُّدَتْ عند الحاجة، مما جعله مرغوباً ومفضلاً على غيره من الأساليب التعليمية.¹

وقد ساد استعمال بحر الرجز و قالب المزدوج في الشعر التعليمي، وهو قالب شعري يكرر فيه الشاعر قافيةً موحّدةً في كلٍّ شطرين، مما أضفى عليه طابعاً تربوياً بامتياز، وعبر هذا الشكل صيغت متون علمية اشتهرت في الكتاتيب والمدارس، وأسهمت في تثبيت العلوم بين الأجيال، من مثل "الفية ابن مالك" في النحو، و"متن الشاطبية: حرز الأمانى ووجه التهانى" في القراءات السبع.

أمّا من حيث الامتداد الزمني والجغرافي، فليس الشعر التعليمي حكراً على الحضارة العربية الإسلامية، بل سبقتها إليه حضارات أخرى، فقد أنتج الأدب اليوناني واللاتيني نماذج مشابهة، كما في "الجورجيك" لفرجيل، وقصائد بارمينيدس وزينوفون، ولكن تميّزت الثقافة الإسلامية بتطوره بوصفه مكوّناً أساسياً في المنظومة التعليمية، إذ صار جزءاً لا يتجزأ من أدوات نقل المعرفة الدينية واللغوية سواء بسواء.²

وفي غرب إفريقيا وجد هذا النوع من الشعر أرضًا خصبة للنمو، إذ اعتمد العلماء المحليون عليه لتعليم الفقه والعقيدة، ولتعليم اللغات، وهو المجال الذي يعني به هذا البحث، وبُعْدُ هذا التكيف المحلي للشعر التعليمي مؤشراً على عبقرية تربوية إفريقية مزجت بين العمق العلمي والأسلوب الفني المألف لدى المتعلمين.³

¹ انظر: كبيا عمران، *الشعر العربي في الغرب الإفريقي خلال القرن العشرين* (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2011)، ج 1: ص 251.

² See: G. Lote, *La Poésie didactique dans les littératures anciennes* (Paris: Presses Universitaires de France, 1996).

³ انظر: عمران، *الشعر العربي في الغرب الإفريقي خلال القرن العشرين*، ج 1: ص 251.

ويشهد المثلان المدروسان في هذا البحث أن اعتماد الشعر وسيلةً لتعليم اللغات لم يكن مخصوصاً على المراكز العلمية الكبيرة في المشرق والمغرب، بل تجاوزه إلى أعماق القراء الإفريقية، إذ اعتمد علماء منطقة منحني النيجر هذا الأسلوب، وطُوروا بما يناسب واقعهم الثقافي واللغوي، وقد عبر هؤلاء العلماء عن براعتهم الشعرية والتعليمية، عبر أعمالٍ منظومةٍ جمعت بين الوظيفة التربوية والابتكار الفني؛ كثيرون منها محفوظٌ اليوم في مكتبات المخطوطات في تمبكتو.¹

وهذه الأعمال مثلٌ حيٌ على التفاعل بين اللغة العربية واللغات المحلية، ولا سيما لغة السونغاي، عبر نُطِّ شعرٍ يجمع بين المفردات والتراكيب من اللغتين كليتهما، وإذا كان الشعر العربي الفارسي المعروف باسم "الملمعات" قد مثلَ أحد أشكال الشعر ثنائي اللغة في الشرق؛ فإن نظيره في الغرب الإفريقي اتخذ شكلاً مختلفاً تُدمج فيه العربية مع لغة محلية، لا لأغراض التزيين اللغطي فقط، بل كان أداةً تعليميةً مباشرةً.

وتشير عدة مخطوطات محفوظة في معهد أحمد بابا للدراسات والبحوث الإسلامية، في تمبكتو، إلى انتشار هذا النمط من الشعر، ولا سيما القصائد التي تهدف إلى تعليم لغة السونغاي للناطقين بالعربية، وغالباً ما تُتَّخذ هذه النصوص شكل معاجم منظومة، يورد فيها الشاعر الكلمة أو العبارة باللغة العربية، تليها ترجمتها أو شرحها بلغة السونغاي مكتوبة بالحرف العربي المنمط (العجمي).

وقد أشار الخليل التنجوي إلى أن الشعر التعليمي العربي لم يقتصر على العلوم الدينية واللغوية العربية، بل استعمل أيضاً أداةً لحفظ اللغات المحلية المهدّدة بالاندثار، ففي حديثه عن اللغة الصنهاجية (كلام أزناقة)، أوضح أنه لم يعد يتحدث بها إلاّ عددٌ قليلٌ من الناس لغةً ثانيةً إلى جانب الحسانية، كما أشار إلى أن لهجة (أزير) ما تزال بعض مفرداتها متداولة في (ودان)، وإن اندرت معظمها، ولحماية هذا التراث اللساني، لجأ بعض الباحثين إلى جمع ما

¹ See: A. Hamadou, *Enseignement bi-plurilingue dans les médersas au Mali : état des lieux et perspectives didactiques*. (Thèse de doctorat, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, 2021).

تبقى من مفردات هذه اللهجات وصياغتها في أبياتٍ شعريةٍ تعليميةٍ تحفظها من الضياع، وهذا يبرز بحلاة عصرية الشعر التعليمي العربي في التكيف مع السياقات المحلية، واستعماله وسيلةً مجده لتوثيق الموروث اللغوي وحفظه.¹

ويُظهر هذا الاستعمال المبكر للشعر التعليمي وعيًا مزدوجًا؛ فمن جهة نلاحظ قيمة الشعر بوصفه أداةً مجده في التعليم، ومن جهة أخرى نرى تقديرًا واضحًا لأهمية حفظ اللغة المحلية ونقلها عبر وسائل مألفة للمتكلّم المسلم، الذي اعتاد الحرف العربي بوصفه وسيلةً للعلم والدين، وهكذا يتحوّل الشعر التعليمي إلى جسرٍ لغويٍّ بين ثقافتين ولسانين، ويفتح آفاقًا جديدةً لفهم الدين والواقع معاً.

2. لغة السونغاي: الامتداد الجغرافي والبنية اللسانية والعلاقة باللغة العربية

لغة السونغاي إحدى اللغات الإفريقية العربية التي تنتهي - وفق تصنيف معظم الباحثين - إلى مجموعة اللغات النيلية الصحراوية، وتنتمي هذه اللغة بانتشارها الجغرافي الواسع، إذ تغطي منطقة مجرى نهر النيجر الأوسط، من بنين إلى مالي، مروًّا بالنيجر وبوركينا فاسو، وتنتشر بعض لهجاتها في المناطق الصحراوية جنوب الصحراء الكبرى، وبخاصة في النيجر ومالي وليبيا وجنوب الجزائر، وُسجّل أيضًا جماعات ناطقة بها في نيجيريا وغانا وبعض قرى السودان.²

وتحظى لغة السونغاي بوضع خاصٍ في كلٍّ من مالي والنيجر، إذ تعدُّ لغة وطنية معترفًا بها رسميًّا، ويُطلق عليها في النيجر اسم (زرمًا سونغاي)، أما في سائر الدول فتُستعمل لهجاتها من دون اعترافٍ رسميٍّ، مع حضورها الشعبي، ومن أبرز الحواضر التي تنتشر فيها هذه اللغة نيامي في النيجر، وغاو وتككتو في مالي، وهي مناطق لها وزنٌ تاريخيٌّ وثقافيٌّ معتبرٌ في غرب إفريقيا.³

¹ انظر: الخليل النحوي، بلاد شنقيط: المثارة والرباط (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987)، ص. 40.

² See: J. Heath, *A Grammar of Songhay: The Dialect of Gao* (Berkeley: University of California Press, 1999), pp.1-4.

³ See: Hamadou, *Enseignement bi-plurilingue dans les médersas au Mali*, p.112.

وتنقسم السونغاي إلى فرعين رئيسيين:

- أحدهما السونغاي الجنوبية، وتتضمن ست لهجاتٍ، من بينها لهجة تمبكتو، ولهجة غاو، ولهجة هومبوري، ولهجة كادو المنتشرة في تيلابيري وتيرا (النيجر)، وعلى الحدود الغربية لبوركينا فاسو، ولهجة زرما في دوسو ووالام، ولهجة الدندي في غايا (جنوبي غرب النيجر)، وشمالي بنين.
- الآخر السونغاي الشمالية، وتألف من لهجة كوارنجي في تابلبala (جنوبي غرب الجزائر)، ولهجة تاداكسيك في ميناكا (شمالي شرق مالي)، ولهجة تاغدال / تاروغ في طاوا (شمالي النيجر)، ولهجة تاساوا في إنغال (شمالي النيجر)، ولهجة إيمغديسي في أغاديز (شمالي النيجر).

ويرى الباحث اللغوي ملين سواد أنَّ لغات السونغاي الشمالية تعدُّ فرعاً ممِيزاً من السونغاي بسبب تأثيرها الشديد بالأمازيغية وبالعربية، لدرجة أنَّ لغاتها غالباً ما تُعدُّ لغات مختلطة، مما يمثل تحدياً للنماذج أحادية الأصل في تغيير اللغة، ويعُدُّ اختباراً لنظريات الاتصال اللغوي، ثم إنَّ توزيعها ومفرداتها يبرزان تاريخ الصحراء والساحل.¹

وتعُدُّ لغة السونغاي من اللغات الإفريقية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعربية، نتيجة لتفاعل الحضاري والديني العميق الذي ميَّز تاريخ غرب إفريقيا، وبخاصة بعد انتشار الإسلام في المنطقة، فقد كانت القوافل التجارية العابرة للصحراء، والمدارس القرآنية، والمساجد، والماركز العلمية المنتشرة في مدن مثل تمبكتو، وغاو، ونيامي، بمنزلة جسور ثقافيةٍ ولغويةٍ أسهمت في نقل المفردات والمفاهيم العربية إلى المجتمعات الناطقة بالسونغاي.

وقد بُرِزَ هذا التفاعل واضحًا في معجم السونغاي، إذ ضمَّ مئات المفردات ذات الأصل العربي، وبخاصة في الحالات المرتبطة بالدين من مثل (إسلام، صلاة، زكاة، صوم، حجج)، والتعليم من مثل (كتاب، فقيه، علم)، والمعاملات اليومية من مثل (ريال، تاجر، وقت)، وقد خضعت كثيُّر من هذه الكلمات لتغييراتٍ صوتيةٍ أو دلائلٍ تمشيًّا مع النظام النصي واللساني للغة السونغاي، مما يكشف عن عملية تفاعلٍ لغويٍّ ثقافيٍّ.²

¹ See: L. Souag, *Grammatical Contact in the Sahara: Arabic, Berber and Songhay in Tabelbala and Siwa* (PhD thesis., SOAS, University of London, 2011).

² See: Hamadou, *Enseignement bi-plurilingue dans les médersas au Mali*, p.112.

ومن أبرز أشكال هذا التأثير اعتماد الخط العربي في تدوين السونغاي، ضمن ما يُعرف بالأدب العجمي، وهو تقليد شائع في اللغات الإسلامية غير العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، إذ استعملت الحروف العربية في كتابة النصوص الفقهية والتعليمية والشعرية بلغة السونغاي، غالباً ما كانت هذه النصوص موجهة لتعليم مبادئ الدين واللغة للأطفال والشباب في الكتاتيب والمدارس المحلية، ويعُد هذا الاستعمال في الكتابة تعبيراً عن مكانة العربية لغة دين وعلم، ويكشف عن نوع من التفاعل الثقافي واللغوي العابر للغات والحدود. وكذلك يظهر التأثير بالعربية في التراكيب البلاغية والدلالية لبعض النصوص الشفوية والخطابية، ولا سيما الخطاب الدينية التي تتضمن عباراتٍ عربيةً، تُستعمل مباشرةً أو مدمجة ضمن بُنيٍّ لغوية سونغاوية، وهذا التداخل في الأساليب والمضامين يظهر تقاطع البعدين اللغوي والديني، ويؤكد أن العربية لم تكن لغة استعارة سطحية، بل لغة مسهمة في صوغ الوعي الجمعي والهوياتي.

القسم التطبيقي

يركز هذا القسم على الدراسة التطبيقية لمثلين من المخطوطات العجمية المحفوظة في مكتبات تمبكتو، بوصفهما مثيلين بارزين لتوظيف الشعر العربي التعليمي في حفظ لغة السونغاي، ويتضمن هذا التحليل وصفاً تفصيلياً لكل مخطوط، يتبعه استقراء الآليات التعليمية والشعرية التي وظفها المؤلفان لخدمة أغراضهم اللغوية.

1. وصف المخطوطين المختارين:

المخطوط الأول محفوظ برقم (27538)، ويتضمن منظومةً تعليميةً غير مؤرخة، ويُظهر التحليل المادي أنها مكونة من ورقتين تبلغ أبعاد كلٍّ منها (26.5 × 19.5 سم)، وقد كُتبت بالحبر البني، وبخطٍ ذي طابع سوداني، مما يبرز السمات المادية والخطية المميزة لمخطوطات غرب إفريقيا.

وتنسب المنظومة إلى أحمد مود كسوو، وتبدا القصيدة - كما المأثور في الأديبات الإسلامية التقليدية - بالبسملة، ثم بالصلة على النبي وآله وصحبه، وتنقل إلى (41) بيتاً سجج كل منها بنظام خاص، يورد مفردات بالعربية ويعقبها بما يُقابلها بالسونغاي مكتوبة بالحرف العربي، وتشمل هذه المفردات حقولاً دلاليةً واسعة تغطي مجالات الحياة اليومية والدين، من مثل الأسماء الحسنة، وأركان الإسلام، وأعضاء الجسم، والألوان، والحيوانات، وبالنظر في القصيدة نجد أنها تسعى إلى غرض تعليمي عملي يرتكز على تنمية رصيده لغويٍّ أساسيٍّ لدى المتعلم، ونقدم فيما يأتي النص المخطوط بعد نسخه وإخراجه للقراءة.

وفيما يأتي نص المخطوط الأول:¹

بسم الله الرحمن الرحيم

[و] صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ [و]	صَاحِبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا	يَا سَائِلِي عَنْ لِغَةِ السُّوْدَانِ	اللهُ يَرَكِّبُ دِيَ الرَّسُولِ
صَلَّاهُ جِنَعَرْ صَوْمَ حَوْمَى قَالُوا	تَكْبِيرَةَ كَبِيرَ عَلَى مِنْ صَلَّى	تَسِيمَ تَسِيمُ وَضَوْءَ الْأَوَّلِ	قَرَاءَةَ يَسَوْ كَذَا النِّدَاءِ
تَكْبِيرَةَ كَبِيرَ عَلَى مِنْ صَلَّى	تَسْلِيمَ سَلَّمَ غَارَأَيْ دُعَاءَ	فَطَرَةَ فَرِمَى هَكَذَا السَّحُورَ	فَطَرَةَ فَرِمَى هَكَذَا السَّحُورَ
قَالُوا حَسْرَى عَشَاءَ قَالُوا حَوْرَ	قَالُوا فُلَنْ جَمْلَةَ الْفُلَانِ	ثُمَّ الْفَدَاءَ عَنْهُمْ يَسِرُّكُسَيْ	ثُمَّ الْفَدَاءَ عَنْهُمْ يَسِرُّكُسَيْ
مَعَ سَرْكَارَ عَنْدَ بَعْضِ جَنْسِ	الْعَرَبُ لَأَرْمَ عَنْهُمْ تَوَارِقَ	قَالُوا مَوْسُوَ مَيْرَا جَمْلَةَ الصِّبَانِ	الْرَّجُلُ حَرْ كَذَاكَ قَلْتَ أَيْحَرْ
أَسْمَاؤُهُمْ غَابِبَ لَا تَوَانَ	الْدَارُ هُوَ قَالُوا السَّرِيرُ فَنْدُ	أَلْوَسُو مَيْرَا جَمْلَةَ الصِّبَانِ	الْدَارُ هُوَ قَالُوا السَّرِيرُ فَنْدُ
سُرْعُ كَذَاكَ سِيَتِ كُلُّ ضَيقَ			
كِبْسِ دَدْمَ بَاقِيَةَ الْعِيَدَانِ			
وَامْرَأَةَ وَيْ كَذَا جَرَى أَجْرَ			
الْبَحْرُ وَالْبَرُ عِسَا وَحُنْدُو			

¹ ترافق صورة المخطوط في الملحق (1).

جاء أَكاكذك جتنا يَرَّا
 بَرِ وَحْوَ وَفَرَكَ كْبُشْ غَارُ
 وقد بَلَى أَجْنَ كَذَا مُسْنَةَ
 الإِبْلُ يُو كَذَاكَ تَأْيَيَ النِّسَاعُمَ
 الْأَمُّ يَا كَذَا الفَرَاشَ دَارِ
 كُسُو وَثُو الْجَدُ كَاغَ عَنْدَهُمَ
 دَجَيَيْ دِجَ الْدِيَكَ وَالْمَرَأَةَ
 كُنْغَ وَنَائِيَ عَنْدَهُمَ أَمَانَةَ
 تَكْبَ تَغَ ذَاكَ مَتَهُمَ اقْتَفَيَ
 ثَامُ كَذَاكَ اسْمُ دُخْنَ حَيْنَ
 الْدِرْعَ تِلْبِ كَرْدَسُ بَرَاءَةَ
 الرِّجْلُ سِيَ كَذَاكَ ظَهَرَ بَنْدَ
 الْفَمُ مِي كَذَاكَ سِنَّ أَيْ حِينَيَ
 الْبَطْنَ عُدَّ ثَمَّ فَرْقَ بَينَ
 وَيُلْلُ أَيْ لَعَابُ شَعْرُ حَبْرَ
 وَالرَّبَطُ حَوْ كَذَاكَ غُرْبِيَ بَنْجَ
 وَالْعَنْكُبُوْتُ اسْمَهَا تَتَّأَلَّ
 صَحْرَاءَ غَنْجَ لَيْسَ فِيهَا أَسَارَ
 وَزِيدَ بَنْدِي كَذَا السَّحْبُ بُرَّ
 النَّارَ تَوْ كَذَاكَ احْظَرَ غَابَ
 وَكَلَ حَظَّيْرَةَ بَيَانَ بَنْعَيْ
 الْعُنْقَ جَنْدَ ثَمَّ صُدْغَ لَاحَدَرَ

وَصُفَقَةَ تَنْدَ أَثَافِي حَنْكَ
 الْفَرَسَ وَالْبَقَرَ وَالْحَمَارَ
 الْعِجْلَ يَأْوِ كَذَا حَنْدَيِ عِجْلَةَ
 حَنْسَنْ وَفِيَجَ ذَاكَ جُمْلَةَ الْغَنْمَ
 سِجَ وَجَهَارِ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 الْقَدْرَ وَالْقَدْحَ كَذَا أَسْمَأَهُمَ
 وَغَرْغَ هَاكَ عَنْدَهُمَ دَجَاجَةَ
 الْعَبْدَ بَنْ هَكَذَا وَالْأَمَّةَ
 الرَّمْحَ يَأْجَ عَنْدَهُمَ وَالسَّلَيفَ
 الشَّوْبَ دَرْبَ هَكَذَا النَّعْلَيْنَ
 الْأَرْرُ مُو كَذَا سَبَبَ دُرَّةَ
 الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ بَيْنَ وَغَنْدَ
 الْعَيْنُ مُو كَذَاكَ جَبْهَةَ تِينَ
 الْيَدَكَبَ هَاكَ أَنْفَ نِينَ
 لِسَانَ دِينَ أَيْ لِثَاثَ دِيرَ
 وَرَكْبَةَ كَجَ وَفَرَدَ كَنْجَ
 الْقَلْبُ بَنَ كَذَاكَ كِرْشُ تِيلَ
 مَعَازِلَ حَنْجَلَ وَبَلَدَ كَيْرَا
 الرَّزْقُ حَنْبَرَ هَاكَ خَوْفَ حَنْبُرَ
¹ الحَشَيشَ سُوبَ
 مَرْبَطَ الْخَيْلَ يَسْمَى كَنْعَيْ
 الْلِّحَيَةَ كَابِ عِدَازَ لَهَيْرَ

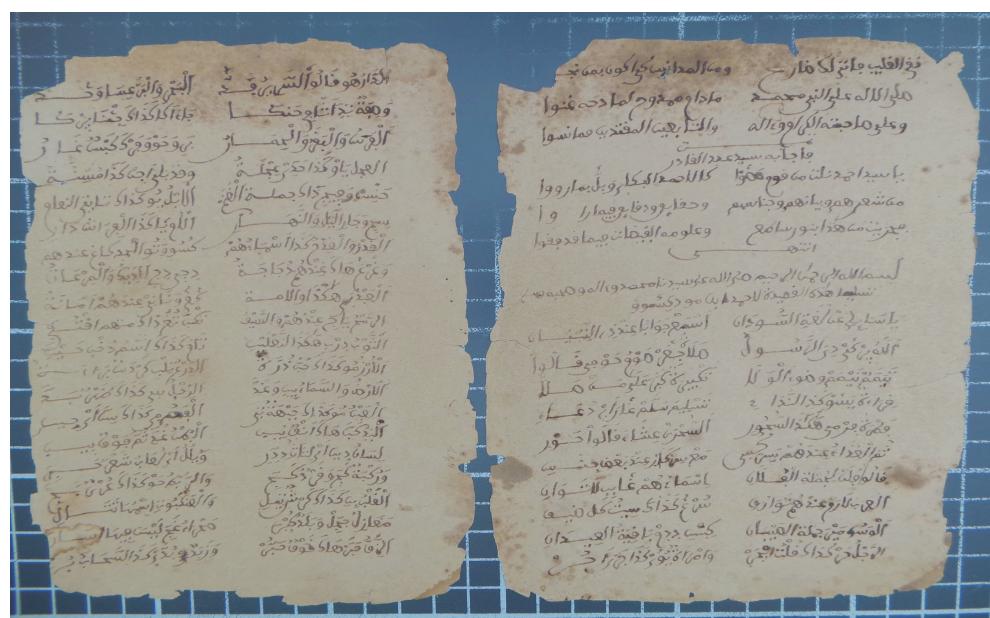
¹ أشرنا بعلامة الاستفهام إلى الكلمات التي لم تتمكن من قراءتها في المخطوطة، أو إلى احتمال سقوطها في النسخ أو بسبب خرم في الورقة.

رَوَاحَ وَيْمَ قَدْ غَدَوْتُ أَيْ بِيَا
وَأَبْكَمُ بِيَبْ دَئْوَ أَيْ أَعْمَى
وَجَمَنَ أَيْ قَسَمَ كَذَا سَبْعُ مَارِ
وَاسْمُ مُوسَى سِينِ الْمَاءِ حَرِ
سُودَاءِ أَيْ بِبِ وَحْمَرَةِ سِرَيِ
طَرِيقُ فُنْدُ شَمَّ سُوقُ يُوبِ
الْوَلَّ اسْمُ جُلَّةِ الْأَلْوَاحِ
عَلَى النَّبِيِّ الْمَصْطَفِيِّ الْعَلَّامِ

الرَّحْمُ حَتَّى وِي وَعَقَرَ تَفَرِي
إِنَاءَ كُلُّهَا حَيَّ يُسَمَّى
أَصْمَمَ أَيْ لَئُو شَكَى أَوْرِ
وَعِنْدَهُمْ سِكِينٌ اسْمُهُ حُرِ
وَالْحَبْرُ سِينِ شُمَّ يَضَاءُ كُرَيِ
مَسْجِدٌ حَنْغَرِيٌّ وَكُوْزُ حُوبِ
هَنَا اِنْتَهَتْ لِطَوْلِ اللَّوْحِ
ثُمَّ صَلَّةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ

هذه القصيدة لأحمد مود كسوو

تمَّت بحمد الله وحسن عونه، هذا قصيدة لأحمد بن مود كسوو المنسنغي نسباً ومسكناً.¹



صورة المخطوط الأول

¹ مينسنيغي بلدة تقع في بلدية هايبونغو، دائرة ديري، في منطقة تمبكتو (مالي).

والخطوطة الثاني محفوظ برقم (2457)، وهو أيضًا نظمٌ تعليميٌّ يحمل عنوان "قصيدة في شرح كلمات من لغة السونغاي"، مكتوب من ورقة واحدة غير مؤرخة، تبدأ بالحمدلة والصلة على النبي الهادي، ويصرح فيها المؤلف - الذي لم يذكر اسمه على الورقة - بأنَّ هدفه هو شرح بعض المفردات المستعملة لدى السودانيين، أي الناطقين بلغة السونغاي.

ويُظهر التحليل المادي تميُّز هذا الخطوطة بخصائص ماديَّة وخطيَّة محدَّدة؛ إذ كُتب بالحبر البني بخطِّ ذي طابع صحراويٍّ، مع وجود تعليقاتٍ على الهوامش، وبلغ عدد أسطر صفحتها ثلاثةً وعشرين سطراً، وتقدَّر أبعادها بنحو (19.5 × 26.5 سم).

ومن حيث المضمون التعليمي نلاحظ أنَّ هذه المنظومة ترتكز على تعابير وظيفية مباشرة تُستعمل في مواقف الحياة اليومية، من مثل: "اذهب إلى السوق"، و"اشترِ لحماً"، و"أشعل النار"، و"صلِّ"، و"اقرأ القرآن"، مما يعزِّز قيمتها بوصفها أداةً تعليميَّة تُسهم في اكتساب اللغة ضمن سياقاتٍ تواصلية حيَّة وحيوية.

وفيما يأتي نصُّ الخطوطة الثاني:¹

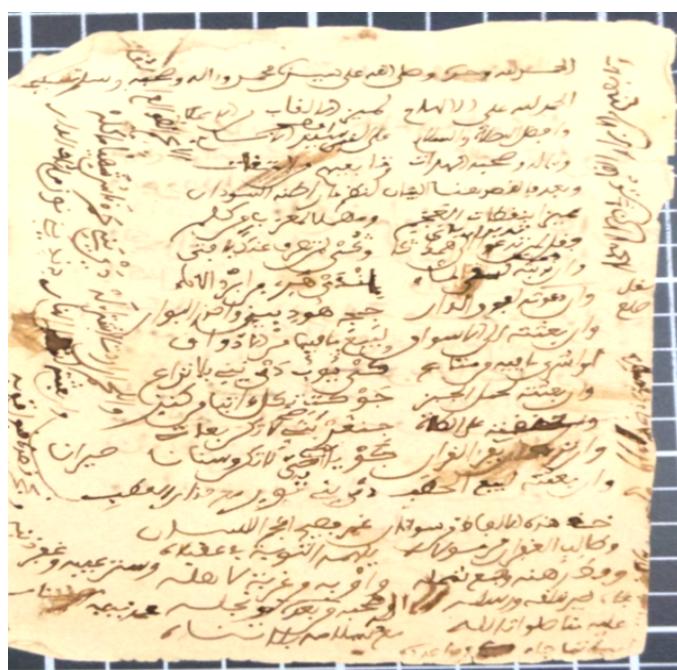
الحمدُ للهِ عَلَى الإلهامِ
وأفضلِ الصَّلاةِ والسلامِ
وآلهِ وصحبهِ الْمُهَدَّداتِ
وبعدُ فالقصدُ هنا البَيَانِ
مُيَرًا بِنقطَاتِ العَجَمِ
فقلُّ لِمَنْ تَرِيدُ أَنْ يَأْتِي إِلَى هَمَكَ
وإِنْ نَدْبَّهُ لِسَقِيَ المَاءِ
وإِنْ دَعَوْتَهُ لِفَوْقِ الْدَّارِ
وإِنْ بَعْثَّهُ إِلَى الْأَسْوَاقِ
أَوْ اشْرَى مَا فِيهِ مِنْ مَتَاعِ

لَمِيز؟؟ الْأَلْقَابِ مِنَ الْأَعْلَامِ
عَلَى النَّبِيِّ سِيدِ أَفْصَحِ الْأَنَامِ
وَتَابِعِيهِمْ مِنَ التُّلَّاتِ
لَنَظِمِ مَا رَأَطَنَهُ السُّودَانِ
وَمُهَمَّلًا لِمَعْرَبِ مِنْ كَلْمِ
وَكُنْيَةِ لِمَنْ تَصْرُفُ عَنَكَ يَا فَتِي
يَهَرِي مِنْ أَبْرَدِ الْإِنَاءِ
جِجِ هُودِيَنِي وَاحْذَرِ الْبَوَارِ
لَبِيعِ مَا فِيهَا مِنْ الْأَذْوَاقِ
كُنْ يُوبُ دَيْنِي يَنِي بِلَا نِزَاعِ

¹ ترَاجَعْ صورة الخطوطة في الملحق (2).

حُوكِتِ تَكُلَّ إِاتِيَا مِنْ كَبِرِ
دَيْ يَنِي حَمْ نَاسُ شَهِيَا مَأْكَلَه
دِنَدِ يَنِي نُونِي مِنْ أَفِ الدَّارِ
دَيْ يَنِي ثُورِ مِعْ حَذَارِ الْعَطَبِ
جَنْغُرْ بُنِيَّ لَا تَكُنْ بِعَانِي
كَسْوَ يَا أَخِي لَا تَكُنْ وَسَنَانَا
غَيْرِ فَصِيَحِ الْعِجَمِ الْلِسَانِ
يَلِهِمُهُ التَّوْبَةَ فِي عَقَبَاهِ
وَفَطِ (ك) رَهْنَهُ وَجْمَعِ شَمَلَهِ
وَنَجْحَ قَصَدَهُ قَبْوُلِ تَوْبَهِ
آلَهُ وَصَاحِبَهِ مِنْ بَعْدِهِ وَنَجَلَهِ
عَلِيهِ

وَإِنْ بَعْشَهَ لَهُمْ لِخُبْزِ
وَاللَّحْمِ إِنْ أَرَدْتَ اشْتَرِي لَهُ
وَإِنْ بَعْشَهَ لَشَعْلِ النَّارِ
وَإِنْ بَعْشَهَ لَبِيَعِ الْحَطَبِ
وَإِنْ حَضْضَتَهُ عَلَى الصَّلَةِ
وَإِنْ تَرْدَ أَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ
خَذْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ مِنْ سُوْدَانِ
وَطَالِبُ الْغَفَرَانِ مِنْ مَوْلَاهِ
وَأَوْبَهُ مِنْ غَرْبَةِ لَأَهْلِهِ
وَسَتْرِ عَيْهِ وَغَفَرْ ذَنْبَهِ
بِحَاهِ خَيْرِ خَلْقَهُ وَرَسَلِهِ
مِنْ سَلَامَهُ بِلَا تَنَاهِ



صورة المخطوط الثاني

2. تحليل البنية الشعرية للمنظومتين:

يظهر التحليل العروضي للمنظومتين أنَّ كاتبيهما الترما بالقوالب العروضية التقليدية، مما يؤكِّد فهماً عميقاً لوظيفة الشعر التعليمية التي تتجاوز التعبير الفني، ففي المخطوط الأول يتجلَّى هذا الالتزام واضحاً باستعمال بحر الرجز، بتفعييلته المتكررة (مستعملون مستعملون مستعملون).

يا سائلی عن لغة السودان	اسماع جواباً عن د ذي التبیان
O / O / O / O / O / O / O / O / O /	O / O / O / O / / O / O / O / O /
مستفعلن مستفعلن مستفعلن	مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ويُعرف هذا البحر بِمِرْوَنْتِهِ وبِسَاطَتِهِ الإِيْقَاعِيَّةِ، مَا يَجْعَلُهُ قَالِبًا مَثَلِيًّا لِلْحَفْظِ وَالتَّكْرَارِ، وَهَذِهِ الْخَصَائِصُ لَمْ تُخْتَرْ عَشوَائِيًّا؛ بَلْ كَانَتْ جَزْءًا مِنْ إِسْتَرَاتِيجِيَّةِ تَعْلِيمِيَّةٍ مُحَكَّمَةٍ تَهْدِي إِلَى تَسْهِيلِ اسْتِيعَابِ الْمَعْلُومَاتِ وَتَبْيَانِهَا فِي الْذَّاِكْرَةِ، وَبِخَاصَّةِ عِنْدِ التَّعَامِلِ مَعَ مَفَاهِيمَ جَدِيدَةِ أَوْ لِغَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ.

ومن الناحية التعليمية اختيار مؤلف هذه المنظومة المدخل المفرادي، إذ يقدّم قائمة من الكلمات بالعربية متبوّعة بمرايافتها بلغة السنونغاي.

جدول (1): التعبيرات الواردة بالعربية في المنظومة الأولى وما يقابلها في لغة السونغاي

الكلمة بالسونغاي (بالحرف اللاتيني)	المقابل بالسونغاي (بالحرف العجمي)	الكلمة بالعربية
Yerkoy	يركى	الله
Diya	دي	الرسول
Jingar	جنغر	صلادة
Hawme	حومى	صوم
Teemoum	تيم	تيم
Alwalā	أولا	وضوء
Kabbar	كير	تكبرة
ye cew	يسو	قراءة
Sallam	سلم	تسليم

الكلمة بالسونغاي (بالحرف اللاتيني)	المقابل بالسونغاي (بالحرف العجمي)	الكلمة بالعربية
Gara	غار	دعاء
Ferme	فرمي	فطرة
Assohorey	السحري	السحور
Hawre	حور	عشاء
Cirsakosy	بسركسي	الغداء
Cirkaare	سركار	الفطور
Fulan	فلن	الفلان
Gābibi	غابب	السودان
Lāram	لام	العرب
Surgu	سرغ	توارق
Siiti	سيت	ضيق
Alwasu mayra	الوسو ميرا	الصبيان
Cibsi	كبس	ذو الحجة
Dadam	ددم	محرم
Har	حر	الرجل
ay har	أيحر	قتلت
Way	وي	امرأة
Ağur	أجر	جري
Hu	هو	الدار
Fandu	فند	السرير
Isa	إسا	البحر
Hondu	هوند	البر
Tende	تند	صفة
Hankā	هنكا	أثافي
Akā	أكا	جاء
yer ka	يركا	جئنا

الكلمة بالسونغاي (بالحرف اللاتيني)	المقابل بالسونغاي (بالحرف العجمي)	الكلمة بالعربية
Bari	بر	الفرس
Haw	هو	البقر
Farka	فرك	الحمار
Gāru	غار	كبش
Yaw	ياو	العجل
Handay	هندی	عجلة
a jen	أجن	بلی
Jen	جن	مسنة
Hancin	هنسن	الغنم
Feeji	فيج	الخروف
Yo	يو	الإبل
Taytay	تایتای	النعام
Ciji	سیج	الليل
Jaari	جار	النهار
ŋaa	نيا	الأم
Daari	دار	الفراش
Kusu	كس	القدر
Tu	تو	القبح
Kaaga	کاغ	الجد
Gorgo	غرغ	دجاجة
Dijay	دجي	الديك
Diji	دج	المرأة
banja	بن	العبد
Kojo	کغ	الأمة
Naanay	ناني	أمانة
Yaaji	ياج	الرمح

الكلمة بالسونغاي (بالحروف اللاتيني)	المقابل بالسونغاي (بالحروف العجمي)	الكلمة بالعربية
Takuba	تكب	السيف
Derbe	درب	الثوب
Taamu	تام	التعلين
Hayni	حين	دخن
Moo	مو	الأرز
Tilbi	تلب	الدرع
Kardasu	كردس	براءة
Beene	بين	السماء
Ganda	غند	الأرض
Cee	سي	الرجل
Banda	بند	ظهر
Mo	مو	العين
tepe	تيبنج	جبهة
Mee	مي	الفم
hjne	حجنج	سن
Kamba	كتب	اليد
Niine	نين	أنف
Gunde	غundi	البطن
Beene	بيني	فوق
Deene	ديني	لسان
Dindira	دندر	لثاث
Yololo	يلل	يلل
Hambir	حنبر	شعر
Kanja	كنجا	ركبة
Nkanji	نكنج	قرد
Haw	هو	الربط

الكلمة بالسونغاي (بالحرف اللاتيني)	المقابل بالسونغاي (بالحرف العجمي)	الكلمة بالعربية
Banji	بنج	عربي
Bine	بني	القلب
Teeli	تيل	كرش
Tatali	تتال	العنكبوت
Henjel	حنجل	معازل
Koyra	كير	بلد
Ganji	غنج	صحراء
Asaara	أسار	ليس فيها
Hunbar	حنبر	الرق
Hanbur	حنبر	خوف
Bonday	بندي	زيد
Bure	بر	السحاب
Subu	سب	الحشيش
Taw	تو	التار
Gaabu	غاب	احظر
Kangay	كتنغي	مربط
Kali	كل	حظيرة
Bangay	بنغي	بيان
Kaabe	كاب	اللحية
Lahyr	لحير	عذار
Jinde	جند	العنق
Lahder	لادر	صدغ
Hintuway	حتوي؟	الرحم
Tatafiya	تنفي	عقر
Wayme	وبي	رواح
ay biya	أبيا	غدوات

الكلمة بالسونغاي (بالحرف اللاتيني)	المقابل بالسونغاي (بالحرف العجمي)	الكلمة بالعربية
Jiney	جني	إناء
Beebe	بيبي	أبكم
Danaw	دنو	أعمى
Lutu	لت	أصم
A wurru	أور	شكا
Jamne	جمن	قسم
Maaru	مار	سبع
Huri	حر	سكين
Siimi	سين	موسى
Siini	سين	الحبر
Hari	حر	الماء
Koray	كري	بيضاء
Bibi	بب	سوداء
Ciray	سري	حمرة
Jingaray	جنغرى	مسجد
Hoobu	هوب	كوز
Fondo	فند	طريق
Yoobu	يوب	سوق
Alwalaha	اللح	اللوح

تحتوي هذه المنظومة على قائمة تضم (125) كلمة من لغة السونغاي الجنوبية (لهجة تمبكتو)، ولم يتبعد المؤلف فيها ترتيباً محدداً في تنظيم المفردات، بل كانت القافية الشعرية هي التي وجهت اختيار الكلمات، وتغطي هذه القائمة المعجمية ثنائية اللغة مجموعةً متنوعةً من المقول المعجمية، فهي تتضمن:

- مفرداتٍ دينيَّةً (جينغار، هاومي، غارا، كبر، تيم، جينغراي، يركوي، ديا... إلخ).
- مفرداتٍ متعلقة بجسم الإنسان (ديني، تيني... إلخ).

- أسماء الحيوانات (باري، هاو، فاركا، غارو، ياو، هاندai، جين... إلخ).
- أسماء الألوان (سيراي، كوراي... إلخ).
- أسماء القبائل (فلان، لaram، سورغو، غابيبي... إلخ).

ويعكس المخطوط الثاني نمطًا شعريًا مماثلاً من حيث المدف التعليمي، وإن اتّسم بعض التنوّع من حيث البناء الإيقاعي، فقد اختار مؤلّفه أن ينسج أبياته على بحر الرجز بقالب المردوج نفسه، إذ تتفق القافية في كلّ بيتٍ، ويشير اختيار هذا الشكل الوزني إلى إدراكٍ واضحٍ من المؤلّف لأهمية الموسيقا الشعرية في العملية التربوية، وبخاصة في السياقات الشفوية التي تعتمد التلقين والتكرار والاستظهار، فالتحليل العروضي للبيت الأول يعطينا التفعيلات الآتية:

الحمد لله على الإله	لام من الأعلام	لميز الألقاء
//O//O / O / O / O / O / O	/O/O// O / O// /O / O/ O	
مستفعلن مستعلن مستفعلن	مستعلن مستعلن مستفعلن	مستفعلن

ويلاحظ في هذه القصيدة أنَّ التفعيلتين الأخيرتين في كلِّ شطر قد طرأ عليهما رُحاف يُسمى (الطيّ)، وهو حذف الحرف الساكن الثاني من التفعيلة، مما يحوّلها إلى (مستفعل)، وأصابت التفعيلة الثانية من الشطر الأول عِلَّةً تُسمى (القطع)، وهي حذف الحرف الأخير الساكن، مما أدى تغييرها إلى (مستعلن) بدلاً من (مستفعل).

بدأ مؤلّف القصيدة بمقدمة تتضمّن حمداً لله الهادي، وصلاتٍ على نبيه صَلَّى الله عليه وسلم، ثم أوضح أن عمله يهدف إلى شرح لغة السودانيين (السونغاي)، ويضيف أنَّ كلمات السونغاي مكتوبة بالحرف العجمي ومطبوعة بالشكل، في حين أنَّ الكلمات العربية تخلو من التشكيل، وابتداءً من البيت السادس يقدم المؤلّف التعبيرات الأكثر شيوعاً باللغة العربية وما يقابلها في لغة السونغاي، ويقدّم كلَّ تعبير بعبارة: "قل من تزيد أن تطلب منه...،" ويعقبها بما يقابلها بلغة السونغاي.

جدول (2): التعبيرات الواردة بالعربية في المنظومة الثانية وما يقابلها في لغة السونغاي

العبارات بالسونغاي	الحالات المراد التعبير عنها
Kā	قل لمن تريده أن تدعوه حاجة
Koy	قل لمن تريده أن تغادره
nay hari	إذا طلبت من أحدهم أن يحضر لك الماء، قل له:
jiji hu di beene	إذا أردت أن تقول لأحد هم أصعد إلى الطابق العلوي، قل له:
« koy yobu ma dey yene »	إذا أردت أن ترسل أحدهم إلى السوق ليشتري لك شيئاً، قل له:
« jaw kate takula »	إذا أردت أن تقول لأحد هم أحضر لي الخبز، قل له:
« day yene ham naaso »	إذا أردت أن يشتري لك اللحم
« dindi yene taw »	إذا أردت أن يُشعل لك النار
« dey yene tuuri »	إذا أردت أن تقول لأحد هم اشتري لي الخشب
« jingar »	إذا حثشت أحدهم على الصلاة
« cew »	إذا أردت أن يقرأ

المنظومات التعليمية في إفريقيا: وظيفة لغوية وتربيوية وثقافية متعددة الأبعاد

يقدم الاستعمال المنهجي للحرف العجمي - وهو نظام كتابة عربي مُكيف لتمثيل أصوات اللغات غير العربية - دليلاً مهماً جدًا على الوظيفة الصوتية للشعر في سياقاتٍ لغوية محددةٍ، ففي غياب وسائل التسجيل الصوتي الحديثة زمن إنتاج هذه النصوص، لم يكن الشعر واعٍ للتعبير الفني فحسب، بل تحول إلى أداءٍ لتوثيق النطق بدقة، ويشكّل اختيار الحرف العربي المعدل لتدوين أصوات لغة مثل السونغاي دليلاً على وعي لغوي متقدّم لدى المؤلفين الذين سعوا بجهدٍ واعٍ إلى حفظ البنية الصوتية للغة وتبنيتها في مواجهة التغييرات الزمنية أو التأثيرات الخارجية، وبهذا تصبح المنظومات أشبه بآرشيفات صوتية مشفرة تسمح للباحثين المعاصرين إعادة بناء النطق التاريخي بدقة عالية.

ويزداد هذا البعد التوثيقي عمّا حين النظر في البنية التعليمية للقصيدة، إذ يظهر الدمج المقصود بين الألفاظ العربية ونظائرها من السونغاي في البيت الشعري الواحد بوصفه

إستراتيجية تربوية تهدف إلى تعزيز التعلم ثنائي اللغة، فالقصيدة هنا لا تقتصر على وظيفتها جمالية، بل تُصمم بوظيفة تعليمية تُنشئ روابط دلالية بين لغتين مختلفتين داخل بنية شعرية واحدة، وهذا الدمج لا يخدم الترجمة فحسب، بل يفتح أمام المتعلم أفقاً لتكوين ذاكرة معجمية متشابكة، فيُستدعي معنى الكلمة في لغة عبر نظيرتها في الأخرى، وهكذا تتحول القصيدة إلى وسيلة مُجذبة لاكتساب اللغة وفهمها في بُعدين متوازيين.

ومن هذا المنظور التعليمي يبرز الشعر أيضاً بوصفه فضاءً حيوياً للتفاعل الثقافي واللغوي بين العربية والسوداني، فإن ما يظهر في هذه النصوص ليس محاولة لفرض لغة على أخرى، بل سعي لبناء جسر تفاعلي يحافظ على اللغتين كليهما ويعينهما، ويبدو جلياً أن المؤلفين لم يكونوا معنيين بإزاحة لغة لصالح أخرى، بل كانوا يستثمرون في تقاطع اللغتين لصياغة خطاب يُيرز تعايشاً لغويًّا وثقافياً، فالشعر هنا يُمارس وظيفة "الترميز المشترك"، إذ تُستعمل لغتان في آنٍ معًا للتعبير عن مفاهيم واحدة، مما يُيرز ثراء الهوية الثقافية وتعُدد النسيج الاجتماعي الذي أنتج هذه النصوص.

ولا تقف الوظيفة التربوية عند التعليم النظامي، بل تمتد إلى المجال الاجتماعي، إذ يتوجه الشعر إلى الإنسان العادي، ليغدو معجمًا وظيفيًّا ميسِّراً يساعد على التواصل في الحياة اليومية، فهذه النصوص لم تكن محصورة في المدارس أو حلقات العلم، بل صُمِّمت لتكون أدوات إرشاد لغوي وثقافي تُستعمل في المواقف الحياتية المختلفة، وإن مرونة هذه القصائد وقدرتها على أداء وظائف عدة تُظهر وعيًا اجتماعيًّا لدى المؤلفين بمكانة الشعر أداة للتمكن من اللغوي ونقل المعرفة، وبهذا يغدو الشعر العجمي مكوِّناً رئيساً من مكوِّنات الحياة الثقافية، يُسهم في بناء المعرفة وتعزيز التفاعل بين اللغة والواقع.

و عبر هذا التداخل بين التوثيق الصوتي، والتعلم ثنائي اللغة، والتعايش الثقافي، والوظيفة المجتمعية؛ يُيرز الشعر العجمي بوصفه أنموذجًا تراثيًّا متقدِّماً يجمع بين الإبداع الفني والأداء الوظيفي، وينحنا فهُمًا عميقًا للدور متعدد الأوجه الذي أدَّته النصوص الشعرية في بناء الهوية اللغوية والثقافية في المجتمعات الإفريقية الناطقة بالعربية والسوداني.

خاتمة

تكشف المخطوطات العجمية في تمبكتو عن وجهٍ خفيٍّ من وجوه التفاعل الثقافي واللغوي في غرب إفريقيا، إذ لم تكن العربية لغة دينٍ أو علمٍ فحسب، بل أداة تعليمٍ وتواصلٍ كُيّفت لخدمة الواقع المحلي، وقد أثبتت الشعر التعليمي، في هذا السياق، مرونته العالية بوصفه وسيطاً لغويًّا وثقافياً مكِّن الناطقين بالعربية من تعلم لغات محلية من مثل السونغاي، وكذا مكِّن المجتمعات المحلية من حفظ لغتها ضمن نسق تعليمي مألف ومقدس.

وقد أبرز تحليل المخطوطين المختارين قدرة علماء منطقة الساحل على توظيف بنية الشعر التعليمي الموروث من التراث العربي الإسلامي في صيغة جديدة تستجيب إلى حاجة المجتمع المحلي، فظهرت قصائد تجمع بين الدقة اللغوية والوظيفية التعليمية، وتحدم في آنٍ معًا هدفًا أوسع، هو حفظ الذاكرة اللغوية والهوية الثقافية للمجتمع.

ويُلاحظ في هذه المنظومات قدرٌ عالٌ من الإبداع في المزج بين العربية والسوغاي، وفي تقديم المفردات والتركيب ضمن سياقات حياتية عملية، مما يجعلها مصدراً لغويًّا ذات قيمة توثيقية حقيقة، لا يقلُّ مكانة عن المعاجم أو الكتب النحوية، ويمكن عدُّها شاهدًا على أن التعليم آنذاك لم يكن محصورًا في القاعات الرسمية، بل تجاوز ذلك إلى الممارسة اليومية، إذ تُصبح القصيدة وسيلة للعيش والتفاعل الاجتماعي، لا نصًا محفوظًا في كتاب فحسب.

ولا تقتصر مكانة هذا النوع من الشعر على قيمته التربوية، بل تمتدُّ إلى إسهامه في كتابة تاريخ اللغات الشفهية، بما يقدِّمه من بيانات صوتية ومعجمية في غياب التسجيل الصوتي والتلدوين الرسمي المبكر، لذا تُقلل هذه المخطوطات ثروة علمية تستحقُ مزيدًا من الدراسة والتحقيق بوصفها نصوصًا أدبية، وكذلك وثائق لغوية واجتماعية تبرز عبرية التفاعل الحضاري في غرب إفريقيا.

وفي ضوء ما سبق يدعو هذا البحث إلى مزيدٍ من الوعي بالمخطوطات التعليمية العجمية، سواء برقمتها وحفظها، أم بتحقيقها وتحليلها، بوصفها مورداً حيوياً لفهم تاريخ التعليم وتنوع اللغات في المنطقة، ويقترح البحث توسيع نطاق الدراسة لتشمل لغات محلية أخرى، من مثل الفولانية والطوارقية والولوفية، التي اطلعنا على تجارب شعرية مماثلة لها في خزائن المخطوطات، مما يمكن أن تُسهم في إعادة رسم الخريطة اللغوية والثقافية لإفريقيا الإسلامية وفق منظور جديد.

المصادر والمراجع

- أحمد مود كسوو، قصيدة في كلمات من لغة سونغاي، مخطوط محفوظ برقم (27538) (ت眉كتو: معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحث الإسلامي).
- جواد غلام علي زاده، كبرى روشنفکر، "الشعر التعليمي: خصائصه ونشأته في الأدب العربي"، مجلة العلوم الإنسانية، 2(14)، 2007.
- حلمي شعراوي، *تراث مخطوطات اللغات الإفريقية بالحرف العربي (عجمي)* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2017).
- خالد الحلبي، "الشعر التعليمي: بداياته، تطوره، سماته"، مجلة جامعة دمشق، 22(3-4)، 2006.
- الخليل النحوي، *بلاد شنقيط: المنارة والرباط* (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987).
- شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي* (القاهرة: دار المعارف، ط1، 1995-1960).
- طه علي خليفة أحمد، "الشعر التعليمي وسماته الفنية عند غير الناطقين باللغة العربية: نيجيريا نموذجاً"، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، 36(3)، 2017.
- كتاباً عمران، *الشعر العربي في الغرب الإفريقي خلال القرن العشرين* (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2011).
- مؤلف مجهول، *نظم بلغة سونغاي في البيان*، مخطوط محفوظ برقم (2457) (ت眉كتو: معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحث الإسلامي).
- G. Lote, *La Poésie didactique dans les littératures anciennes* (Paris: Presses Universitaires de France, 1996).
- A. Hamadou, *Enseignement bi-plurilingue dans les médersas au Mali : état des lieux et perspectives didactiques*. (Thèse de doctorat, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, 2021).
- J. Heath, *A Grammar of Songhay: The Dialect of Gao* (Berkeley: University of California Press, 1999).
- L. Souag, *Grammatical Contact in the Sahara: Arabic, Berber and Songhay in Tabelbala and Siwa* (PhD thesis., SOAS, University of London, 2011).

References

- A. Hamadou, *Enseignement bi-plurilingue dans les médersas au Mali : état des lieux et perspectives didactiques*. (Thèse de doctorat, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, 2021).
- Aḥmad Mūd Kassū, *Qaṣīdah fī Kalimāt min Lughah Sūnghāy*, makhtūṭ mahfūẓ bi-raqm (27538) (Timbuktu: Ma’had Aḥmad Bābā lil-Dirāsāt al-‘Ulyā wal-Baḥth al-Islāmī).
- Al-Khalīl al-Naḥwī, *Bilād Shinqīṭ: al-Manārah wal-Ribāṭ* (Tunis: al-Munazzamah al-‘Arabiyyah lil-Tarbiyah wal-Thaqāfah wal-‘Ulūm, 1987).
- G. Lote, *La Poésie didactique dans les littératures anciennes* (Paris: Presses Universitaires de France, 1996).
- Ḩilmī Sha’rāwī, *Turāth Makhtūṭāt al-Lughāt al-Ifrīqiyah bi-l-Harf al-‘Arabī* (‘Ajamī) (Cairo: al-Hay’ah al-Miṣriyyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 2017).
- J. Heath, *A Grammar of Songhay: The Dialect of Gao* (Berkeley: University of California Press, 1999).
- Jawād Ghulām ‘Alī Zāda, Kubrā Rawshan-Fikr, “al-Shi’r al-Ta’līmī: Khaṣā’iṣuhu wa-Nash’atuhu fī al-‘Adab al-‘Arabī,” *Majallah al-‘Ulūm al-Insāniyyah*, 2(14), 2007.
- Kabbā ‘Imrān, *al-Shi’r al-‘Arabī fī al-Gharb al-Ifrīqī Khilāl al-Qarn al-‘Ishrīn* (Rabat: al-Munazzamah al-Islāmiyyah lil-Tarbiyah wal-‘Ulūm wal-Thaqāfah, 2011).
- Khālid al-Ḥalabūnī, “al-Shi’r al-Ta’līmī: Bidāyātuhu, Taṭawwuruhu, Simātuhu,” *Majallah Jāmi’at Dimashq*, 22(3-4), 2006.
- L. Souag, *Grammatical Contact in the Sahara: Arabic, Berber and Songhay in Tabelbala and Siwa* (PhD thesis., SOAS, University of London, 2011).
- Mu’allif majhūl, *Naṣm bi-Lughah Sūnghāy fī al-Bayān*, makhtūṭ mahfūẓ bi-raqm (2457) (Timbuktu: Ma’had Aḥmad Bābā lil-Dirāsāt al-‘Ulyā wal-Baḥth al-Islāmī).
- Shawqī Ḏayf, *Tārīkh al-Adab al-‘Arabī* (Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 1st Ed., 1960-1995).
- Ṭāhā ‘Alī Khalīfah Aḥmad, “al-Shi’r al-Ta’līmī wa-Simātuhu al-Fanniyyah ‘inda Ghayr al-Nāṭiqīn bi-l-Lughah al-‘Arabiyyah: Nijīriyā Namūdhajan,” *Majallah al-Dirāsāt al-‘Arabiyyah*, Jāmi’ah al-Minyā, 36(3), 2017.



مسيرة المرأة في ميدان علوم اللغة العربية وآدابها

عبد الرزاق السعدي*

مُستَخَلَّص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مكانة المرأة في علوم اللغة العربية وآدابها، وتتبع حضورها العلمي عبر العصور، وتحليل طبيعة مشاركتها في الفروع اللغوية المختلفة، وقد اعتمد البحث المنهجين الوصفي والتاريخي لرصد جهود المرأة في ميادين النحو، والبلاغة، والعروض، والخط، والشعر، والنشر، والنقد، ومقارنتها بما ورد في المصادر من توثيق أعلام الرجال ورؤاد المدارس النحوية واللغوية والأدبية، وفي النتائج أنَّ للمرأة إسهاماً ملحوظاً في خدمة اللغة العربية قديماً وحديثاً، بما نقلته في شعرها من لغة العرب، وما قامت به من تعليمٍ وتألِيفٍ وإشرافٍ، وأيضاً لم تُسجَّل للمرأة في المصادر التراثية آراءً أو نظرياتٍ لغويةٍ تتمثل مذهبًا أو مدرسةً في اللغة، على خلاف ما نُسب إلى الرجال من تأسيسٍ وتقعيد، وقد دلَّ البحث على بروز المرأة في مجالات الأدب شعراً ونثراً ونقداً، وبخاصة في الرثاء، مع حضورٍ معاصرٍ متزايدٍ للمرأة في النشاط اللغوي في الجامعات والمؤسسات العلمية، ومن ثم يقترح البحث ضرورة تعزيز مشاركة المرأة في البحوث اللغوية، وتمكينها من الواقع العلمي، وتشجيعها على الإسهام في المؤتمرات والمحاجم اللغوية، بما يسهم في بناء وعيٍ لغويٍ متوازنٍ يبرز حقيقة مكانتها في الدرس اللغوي العربي.

مفاتيح البحث: علوم العربية، الدرس اللغوي، المرأة، الأدب العربي

* أستاذ الدراسات اللغوية العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، جامعة المعرف، جمهورية العراق، alhodhod_am@yahoo.com



The Trajectory of Women in the Field of Arabic Language and Literature

Abdul Razak Al Saadi*

Abstract

This study aims to uncover the status of women in the fields of Arabic language and literature, tracing their academic presence across different eras and analyzing the nature of their participation in various linguistic disciplines. The study employs both descriptive and historical methodologies to document women's contributions in areas such as grammar, rhetoric, prosody, calligraphy, poetry, prose, and criticism, and to compare these contributions with the documented achievements of male figures and pioneers of grammatical, linguistic, and literary schools. The findings indicate that women have made significant contributions to the service of the Arabic language, both historically and in contemporary times, as evidenced by their poetic expressions and their roles in teaching, writing, and supervision. However, the heritage sources do not record any linguistic opinions or theories attributed to women that represent a school or doctrine in the language, in contrast to the establishment and codification attributed to men. The study highlights the emergence of women in the fields of literature, both in poetry and prose, as well as criticism, particularly in elegy, along with a growing contemporary presence of women in linguistic activities within universities and scientific institutions. Consequently, the study suggests the necessity of enhancing women's participation in linguistic research, empowering them in academic positions, and encouraging their contributions to conferences and linguistic assemblies, thereby fostering a balanced linguistic awareness that highlights the true status of women in Arabic linguistic studies.

Keywords: Arabic studies, linguistics, women, Arabic literature

* Professor of Arabic Linguistic Studies and Islamic Law, Al-Maarif University, Iraq,
alhodhod_am@yahoo.com.

مقدمة

إن المرأة - شأنها شأن الرجل - آدمي كرمه الله تعالى بقوله: ((ولقد كرمنا بني آدم)) [الإسراء: 70]، ولهذا التكريم الإلهي مظاهر متعددة، ومسالك متعددة، ومفاهيم عدّة، يتقدّمها التكامل الإنساني لإقامة مسيرة الحياة واستمرارها، فالمرأة صنوا الرجل وعوّن له، وأحدّها مكمل الآخر في هذه المسيرة؛ علمًا، وثقافةً، وسياسةً، واقتصادًا، وقيادةً، وفكراً.

وقد جاء دين الله الخاتم - الإسلام - ليضع المرأة في مكانها الصحيح، بعد أن قاست الاضطهاد والتهميش المقيت في عهود ومجتمعات بعيدة من تعاليم الإسلام التي منحتها دورها المناسب الذي يعزّز وجودها الإنساني، ويحفظ لها كيانها، ويرفع مقامها، وبعصم حرمتها وكرامتها من عبث العابثين وإفساد المتمردين، وقد أقام الإسلام للمرأة عرشاً مصوّناً تنطلق منه نحو الخير والتنمية، ومسح عنها دموع الحزن والكآبة، وأعاد إليها شخصيتها، ومنحها سيادة القرار، وحقق لها ما تصبو إليه من عيش كريم.

والمرأة تكون أمّاً وبنّاً وزوجةً، وفي آنٍ معاً مفكّرةً، وعالمةً، وفقيةً، وأستاذةً، ومؤرخةً، وشاعرةً، ولغويةً، وسياسيةً، واقتصاديةً، ولها في ذلك كُلُّه دورٌ بارزٌ مؤثّرٌ، لذا اعتمد الإسلام حقوق المرأة لتنالها كاملةً غير منقوصٍ، وفي مقابل هذه الحقوق قرر عليها واجباتٍ تؤديها لتكتمل دورة الحياة.

ومن حقوق المرأة وواجباتها طلب العلم، والتسلّح بالثقافة، وإحراز أنواع من المعارف النافعة، فتغدو ذات وزنٍ علمي وثقافي، تمتلك به مفاتيح نور العلم؛ لتزيل ظلام الجهل وتبدّد عن القلوب أكثّتها، وتؤدي دورها العظيم في إعمار الأرض التي استعمرَ الله تعالى فيها عباده. وفي هذا البحث إطلاعٌ على فرعٍ من فروع العلم ودور المرأة فيه، وهو علوم اللغة العربية وأدابها، فإن حديثنا التاريخ عن مؤمناتٍ صالحاتٍ، ومحديّاتٍ، وعابداتٍ، وواعظاتٍ، وفقيهاتٍ، ورواياتٍ، وأديباتٍ، وشاعراتٍ، فإننا لم نقرأ أو نسمع بمصطلح النحويات، أو الصرفيات، أو البلاغيات، أو اللغويات، أو العروضيات، وما إلى ذلك من أوصاف تُنسبُ المرأة إلى هذه الفروع من علم اللغة العربية، وما علمناه من ذلك نجده منسوباً إلى النحوين، والصرفين، والبلغيين، واللغويين، والعروضيين، كما في مصادر اللغة.

ثم إنّا نجد فحول هذه الفروع اللغوية من الرجال الذين قرّروا القواعد، وساقوا الشواهد، وألّفوا الكتب، وطارت أسماؤهم وشهرتهم شرقاً وغرباً، وُنسبت إليهم النظريات والمذاهب والمدارس وخلّدهم التاريخ في ذلك، فهل معنى ذلك أن المرأة بمعزل عن هذه العلوم؟ أو أنها تجهل ما اعتمدته الرجال في هذه اللغة؟ أو أنها تُحيّت جانبًا عن الإبداع في اللغة تأليفًا، وتدريساً، ونظرياتٍ، وقواعد؟

هذه إشكالاتٌ تجحب الإجابة عنها لتكون الحقائق بين أيدينا جليةً عبر المتابعة الدقيقة الشاملة لما حصل في تاريخنا على مَرِّ العصور، وربما يأتي هذا البحث خطوة أولى ونواة في تصحیح ما شاع من مفاهیم، وإظهار ما خفي من معلومات عن المرأة ودورها في اللغة العربية، مؤملاً أن يتواصل البحث في هذا الصدد من الباحثين المخلصين؛ ليقرّروا المزيد منه، فإنّ فوق كلِّ ذي علمٍ علينا.

وإن إسهام المرأة في علوم اللغة العربية وآدابها ليتفاوت كمّا وكيفاً، منذ العصور التي سبقت الإسلام، مروراً بالعصور الإسلامية، ووصولاً إلى عصرنا الحاضر، فقد حدّثنا التاريخ وكتّب اللغة والتراجم عن نساء عالمات قدّمنَ عطاءً لغويّاً بألوانٍ مختلفةٍ، وأساليبٍ متنوعةٍ، وجهودٍ عدّةٍ، تتسم بالقوّة حيناً، وبالضعف حيناً آخر؛ نتيجة عواملٍ بيئية، أو ظروف اجتماعية، أو مقتضياتٍ سياسية، أو اقتصادية، أو أخلاقية.

ولا نخفي القول إنّ دور المرأة في علوم اللغة العربية وآدابها لا يزال دون الطموح المنشود الذي يفرضه الواجب الإنساني والشرعي عليها، ولا ننكر أيضاً تقدُّم الرجال في خدمة هذه اللغة وبروزهم في الجانب اللغوي إبداعاً، وتطویراً، وتأليفًا، وتدريساً، فإذا ما تركنا السنوات الأخيرة من عصرنا الحاضر، فإننا لا نجد للمرأة نشاطاً يُذكر في ذلك، فلا تأليف ولا مشاركة في المجامع أو المؤتمرات اللغوية إلّا النذر القليل، وهذه قضية ينبغي لها أن تُدرس بعمق وتأنّ، لإيجاد أفضل السبل التي تنمّي قدرات المرأة، وترتقي بها إلى مستوى عالٍ من الثقافة اللغوية والإنجاز اللغوي، وأما في السنوات المتأخرة من عصرنا الحالي فنلاحظ تغييرًا ملحوظاً لدى المرأة تجاه علوم اللغة العربية وآدابها، فهناك تأليفٌ، وتدريسٌ، ومحاضراتٌ في

الندوات والمؤتمرات والجامع اللغوية، وحصول على شهادات أولية وعليا في اللغة العربية وأدابها، وهذا يبشر بخير إذا ما أخذ بيده نحو التنمية والترشيد، ليكون الحفاظ على لغة القرآن جهدا مشتركة بين الفريقين؛ الرجال والنساء سواء بسواء، من دون أن يستأثر به فريق من دون آخر.

لذا يتناول هذا البحث إسهام المرأة وجهودها في الجانبين اللغوي والأدبي، ويقدم نماذج نسائية ملئها دوراً بارزاً في هذين الجانبين، من التدريس، والتأليف، والرواية، والنقد، والشعر، والنشر، والخط، وإنشاء المدارس والمراكم اللغوية، وما إلى ذلك من نشاطات تصب في خدمة اللغة العربية وأدابها.

إسهام المرأة في الجانب اللغوي

لم يذكر من كتبوا في تاريخ النحو والصرف ونشائهما، ولا من ترجموا للنحو؛ دور المرأة فيهما، ولم يتناولوا جهودها تناولاً واضحاً، ولم يتحدثوا عن رأيها في قضايا النحو والصرف، ولا عن وجودها عنصراً مؤثراً في المدارس النحوية المعروفة، بل إن كتب النحو والصرف ذاتها لم تنقل لنا من بين الآراء رأياً منسوباً إلى المرأة في النحو والصرف، فكل ما نقلته نجده منسوباً إلى العلماء الرجال من مدارس البصرة، والكوفة، وبغداد، والشام، ومصر، والأندلس، وغيرها، والأمر نفسه بالنسبة إلى فروع اللغة العربية الأخرى، من مثل البلاغة، وفقه اللغة، والعروض، وغيرها، فلا آراء للمرأة تذكر، ولا تأليف يُنسب إليها إلا النذر القليل الذي لا يمثل ظاهرة توأزي دور الرجال في هذه العلوم.

والباحث في عصرنا هذا حين يتناول شأن المرأة من الجوانب اللغوية؛ يجد عقبة لا يذللها إلا التنقيب في المصادر، والاستقصاء في بطون كتب التاريخ، في مدة زمنية غير يسيرة، لعله يظفر بمراده، ويدرك حاجته في بحثه، وقد حدثنا التاريخ عن نساء شاعرات وأديبات ونقدات، وكان فحول الشعراء من الرجال يحکمون إلى المرأة - كما سند ذكر ذلك في إسهام المرأة في الجانب الأدبي - ويدعنون إلى حكمتها في نقد شعرهم وإقرار المتقدم فيهم، ولا يمكن

أن تصل المرأة إلى هذا المستوى الرفيع من فصاحة البيان وبلاعنة الكلام وثقة الرجال بآحكامها، ما لم تكن مؤهلاتها الثقافية والعلمية مستندةً إلى معرفة واسعة بعلوم اللغة العربية، وإنما اعتبرى شعرها الوهنُ والضعفُ، وأصاب مكانتها الأدبية التراجع وفقدان الثقة بها، ويبدو أن أدب المرأة قد غطى على نقل أخبارها اللغوية، على أساس أن قواعد اللغة وسيلة يتوصل بها إلى جودة التعبير وحسن الأداء الذي يظهر للناس سعياً وقراءة، ويؤثر في مشاعرهم، في حين أن قواعد اللغة لا تلامس مشاعر الناس وهواجسهم، فلا يكتثون بنقلها عن المرأة.

وأيضاً كانت المرأة الباعثة الأولى على وضع قواعد اللغة العربية بعامة، وقواعد النحو والصرف بخاصة، فقد نقلت الروايات عن أبي الأسود الدؤلي أن ابنته قالت له في يوم شديد الحرّ: "يا أبتي ما أشدُّ الحرّ؟"، فقال لها: "إذا كانت الصقعة¹ من فوقكِ، والرضاة من تحتكِ"، فقالت: "إنما أردتُ أنَّ الحرَّ شديداً"، فقال لها: "فقولي إذن: ما أشدَّ الحرَّ!".²

وفي رواية أنه دخل منزله، فقالت له بعض بناته: "ما أحسنَ السماء؟"، قال: "أي نبَّيَّ، نجومُها"، فقالت: "إنِّي لم أردُ أَيَّ شَيْءٍ منها أَحْسَنُ؟ وإنِّي تعجبُ من حسنها"، فقال: "إذن فقولي: ما أحسنَ السماء!". فحيثئذٍ وضع كتاباً، قال حرب بن أبي الأسود الدؤلي: "أول باب رسمَ أبي من النحو بابُ التعجب"، وقيل: "أول باب رسم الفاعل، والمفعولُ، والمضافُ، وحروفُ الرفع والنصب والجر والجزم".³

وتشتت هذه الروايات أنه كان للمرأة حِسْنٌ لغويٌّ رفيعٌ تميّز فيه بين ما يكون سياقُ الكلام فيه استفهاماً، وبين ما يكون تعجبًا، إلا أن اختلاطها بين لا ينطق العربية فقدتها دقةً استعمال الحركات فيما هو استفهام أو تعجب، فاضطرر أبوها إلى أن يصوّب لها، ويضع نواةً للقواعد اللغوية.

¹ الصقعة، أبي الشمس.

² الفقاطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2004)، ج1:

ص.51

³ السابق نفسه.

ثم إن للمرأة فضلاً تشارك فيه الرجل في إرساء القواعد اللغوية والأحكام النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية، والاحتفاظ بثروة لغوية كبيرة عبر ما حفظته ونقلته من نصوص لغوية معتمدة من النثر أو الشعر، سواء كانت القائلة أم الرواية، فكم رأى ومذهب لغوي سطّرته كتب اللغة بالاعتماد على ما قالته المرأة بكلام عربي فصيح، أو نقلته عن العرب الذين يُحتجُّ بعريتهم لتفعيل القاعدة اللغوية، وبذلك ندرك دور المرأة في إثراء العلوم اللغوية وتطويرها.

1. إسهامها في صناعة الشواهد النحوية:

فيما يأتي نسوق أمثلةً من الأحكام اللغوية المبنية على شواهد عربية قدّمتها المرأة:

(أ) وجوب اللام بعد (لولا) والقسم، بناء على ما سمعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه - ذات ليلة وهو يطوف بالمدينة - من قول امرأة:¹

تَطَوَّلَ هَذَا اللَّيْلُ شَسْرِي كَوَاكِبُهُ
وَأَرْقَنِي أَنْ لَا ضَجْعَ أَلَعْبَهُ

فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءٌ عَيْرَهُ
لَرْعَزَعِ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَابِهُ

فدخول اللام على (زُعْرَع) واجب لاجتماع (لولا) مع القسم، ولو لم يكن القسم لجاز حذف اللام، كأن يقال: لو كان لي مال لأنفقته، ويجوز (أنفقته) من دون لام.

(ب) جواز تقديم اللقب على الاسم، بناء على قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:²

بِأَنَّ ذَا الْكَلْبِ عَمْرًا حَيْرُهُمْ حَسَبًا
بِبَطْنِ شِرْيَانَ يَعْوِي حَوْلَهُ الْذِيْبُ

فاللقب (ذا الكلب) - وهو نوع من أنواع العلم - تقدّم على الاسم (عمراً)، وهذا جائز، ولكنه قليل، إذ الأصل تقديم الاسم العلم على اللقب، تقول: جاء خالد زين العابدين، لا العكس.³

¹ من بحر الطويل، وكانت المرأة قد أغلقت عليها بابها، لأن زوجها ملتحق بالجيش، فسأل عمر رضي الله عنه: "كم تصرير المرأة عن زوجها؟، فقيل له: "أربعة أشهر"، فأمر لا يغيب أحد من الجيش عن زوجه أكثر من أربعة أشهر، وأكرم المرأة على صبرها.

انظر: ابن يعيش، *شرح المفصل* (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ج 9: ص 23.

² من بحر البسيط، و(بطن شريان) اسم مكان.

³ انظر: *شرح الأئمّة* على ألفية بن مالك (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1998)، ج 1: ص 110.

(ج) جواز الفعل غير الناسخ بعد (إن) المخففة، بناءً على ما قالته عاتكة بنت زيد بن

عمرو بن نفيل، زوج الزبير بن العوام رضي الله عنه:¹

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمْسُلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُفُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

فقد جاء الفعل (قتل) بعد (إن) مكسورة الهمزة مخففة التون، وهو فعل غير ناسخ،

وقول عاتكة هذا نادر يرى بعض النحويين أن لا قياس عليه، أما الأخفش والkovifion فيرون

أنه لا مانع من القياس عليه، فيقال: إنْ قام لَأَنَا، وإنْ قَعَدَ لَرَبِّي، والأصل أن يأتي بعدها فعل

ناسخ، كقوله تعالى: ((وَإِنْ كَانَتْ لِكَبِيرَةً)) [البقرة: 143].

(د) استعمال وزن (فعل) في غير النداء، بناءً على قول عمرة بنت عمران بن الحارث الراسبي:²

اللَّهُ أَيَّدَ عِمْرَانًا وَطَهَرَةً وَكَانَ عِمْرَانُ يَدْعُوُا اللَّهَ فِي السَّحْرِ

يَدْعُوهُ سِرًا وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ شَهَادَةً يَبَدِي مِلْحَادَةً عُذْرًا

استشهد به النحويون على جواز استعمال (فعل) الملزمه للنداء في غيره، لأنَّ

الشاعرة استعملت (عذر) صفة لـ(ملحادة)، وهو معدول عن (غادر)، وهذا استعمال

للضرورة، لأنَّه كان معرفةً بالنداء، فُنُقل إلى الصفة، فكان نكرة، فنُعمَّت به، وأصبح مثل

قولهم: مررت بِرَجُلٍ حُطَمٍ، وَمَا لِلْبَدِ.

¹ من بحر الكامل، قالته عاتكة بعدما قتلت زوجها الزبير، وقد قتله عمرو بن جرموز بعد منصرفه من وقعة الجمل.

انظر: ابن عييش، شرح المفصل، ج 8: ص 72-71؛ شرح الأشوعي على ألفية بن مالك، ج 1: ص 318.

² من بحر البسيط، قالته عمرة ترثي ابنها عمران أحد ثسالك الخوارج، وقد قُتل يوم دولاب، وللحادث مبالغة في (ملحد) من (الحد)، إذا جار ومال عن الحق، وعذر) على وزن (فعل)، صفة (ملحادة)، بمعنى (غادر).

انظر: السيوطي، هم الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1998)، ج 2: ص 46؛ الشنقيطي، الدرر اللوامع على هم الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1999)، ج 1: ص 390.

(ه) جواز قطع النعت أو إتباعه إذا تعدد، بناءً على قول الخزنق بنت هفان البكريي اليشكريي:¹

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَةُ الْجَزْرِ
النَّازِلُونَ يَكُلُّ مُعَرَّكَ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزِرِ

روي (النازلين، الطيبون)، وروي (النازلين، الطيبين)، وقد استشهد به النحويون على جواز قطع النعوت أو إتباعها منعوحاً إذا تعددت، وكان المنعوت معروفاً من دونها، فالمنعوت (قومي) فاعل (يَبْعَدَنْ)، والنعت (النازلون، الطيبون) - برفعهما على الإتباع، أو نصبهما على القطع - مفاعيل، بتقدير (أمدح، أذكر)، ويجوز رفع الأول ونصب الثاني، أو العكس. وللنحاة بهذه الأبيات استشهاد آخر، وهو جواز دخول نون التوكيد على الفعل المضارع إذا كان دعاءً، كما في قوله: "لَا يَبْعَدَنْ".²

واستشهاد ثالث على نصب (معاقد) بقولها: "الطيبون"، تشبّهها بالمفهول به؛ لأنّه معرفة بإضافته إلى (الأزير)، كما يقال: الحسَنُونَ أَوْجَهَ الْأَخِ.³

(و) جواز حذف ضمير المفعول من العامل الثاني في تنازع العامل، بناءً على قول عاتكة ابنت عبد المطلب:⁴

بِعَكَاظَ يُعْشِي النَّاظِرِ— إِنَّ إِذَا هُمْ لَمْحُوا شُعَاعَهُ

¹ من بحر الكامل، قالته هفان أخت طرقه بن العبد من أمه تفخر بقومها بني قيس، وتدعوا لهم بآلا يهلكوا، فهم سُمٌ على الأعداء، كرام ينحرنون الجزر للضييف، وقولها: "لَا يَبْعَدَنْ"، بفتح العين، أي لا يهلكن، وسم العداة أي قاهر الأعداء، وأفة العاهلة المهلكة، والجزر جمع الجزور من الإبل، والمعترك موضع القتال، ومعاقد الأزير كنایة عن العفة وعدم الخنا والزنا. انظر: شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ج 2: ص 326.

² انظر: المصدر السابق، ج 3: ص 112.

³ انظر: السيوطي، همع الموامع، ج 3: ص 125؛ الشنقيطي، الدرر اللوامع، ج 2: ص 369.

⁴ من مجموع الكامل، وعكاظ موضع قرب مكة كان سوقاً للعرب قبل الإسلام، و(يعشي) مضارع (أعشى)، يعني يضعف البصر، ومحوا أي نظروا بسرعة، وشعاعه لمعان ضوئه، والضمير فيه يعود إلى السلاح المتقدم ذكره في أبيات سابقة.

انظر: الأزهري، شرح التصريح على التوضيح على ألفية بن مالك، (بيروت: دار الفكر)، ج 1: ص 320؛ شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ج 1: ص 362؛ الشنقيطي، الدرر اللوامع، ج 2: ص 350-351.

تناول العاملان (يعشي، لحوا) المعمول (شعاعه)، وقد استدلّ به البصريون على أحقيّة إعمال الأول، لأن الشاعرة رفعت (شعاعه) على أنه فاعل (يعشي)، واستدلّوا على جواز حذف ضمير المفعول من العامل الثاني قياساً كما فعلت الشاعرة، والأصل (لحوا)، فتكون الجملة: يعشى شعاعه الناظرين إذا هم لحوا، ويرى آخرون أن حذف الضمير هنا ضرورة شعرية لا يقاس عليها.

2. إسهامها في علم العربية:

حفلت بعض المصادر التي ترجمت للغويين والنجويين بذكر بعض النساء اللواتي كان لهنّ إسهاماً واضحّاً في علم العربية، وفيما يأتي ذكر بعضهنّ:

(أ) **منية الكاتبة**، من نساء بغداد المشهورات بالفضل ورواية العلم، روت عن ابن الوشائة الأعرابي، و**منية** هذه جارية خلافة أم ولد المعتمد على الله، وروى عن **منية عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله البزار الأنباري**.¹

(ب) **عتبة أم الحمارس**، أعرابية دخلت حاضرة المدن، وروت اللغة.²

(ج) **عنيّة أم الهيّم**، أعرابية دخلت الحاضرة، وروت اللغة.³

(د) **فريّة أم البهلوان الأسدية**، أعرابية روت اللغة، صنفت "كتاب النوادر" و"كتاب المصادر"، وقد كتبهما السكري بخط يده.⁴

(ه) **جزلة الحرقية**، لغوية روت اللغة.⁵

(و) **ابنة الكُنْيَزِي**، امرأة نحوية كانت في الجانب الشرقي لبغداد، وكانت غاية في الفضل، ولها أحُّ غاية في الجهل، وكانت حسنة المعرفة بال نحو واللغة، ولها تصانيف صنفتها وتعُرَّفُ بها،

¹ الرواية هنا تعني رواية اللغة وقواعدها.

انظر: القفطي، إنباه الرواة، ج 3: ص 61؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (القاهرة: مطبعة الخانجي، 1349هـ)، ج 14: ص 441.

² انظر: القفطي، إنباه الرواة، ج 4: ص 120.

³ انظر: السابق نفسه.

⁴ انظر: السابق نفسه؛ ابن النديم، الفهرست، تحقيق: يوسف علي طويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1996)، ص 75.

⁵ انظر: القفطي، إنباه الرواة، ج 4: ص 120.

قال ابن نصر الكاتب: "ومن طرائف ما شاهدته أنها وأخاها اختصما في ميراث والدهما، فطال التنازع بينهما، وحضرما يوماً مجلس والدي، وزاد الكلامُ بينهما ونقض، واغتنأَ والدي منْ توسيع كلامهما، فَقَطَنَتْ المرأة لذلك فقالت: أَغَاظَ الشِّيخَ - أَيْدِهِ اللَّهُ - مَا يَرَا مِنِي وَمِنْ هَذَا الْأَخْ - أَصْلَحَهُ اللَّهُ -، فَقَالَ: كَلا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَكُنْ جَرِّي الدَّعْوَى، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ لِلإِيجَازِ، فَقَالَتْ: أَيْدِي اللَّهُ الشِّيخُ، لِي فِي ذِمَّتِهِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ دِينَارًا مُطَعِّيَّةً سَلَامِيَّةً، فَقَالَ لَهُ مَا الَّذِي تَقُولُ؟ فَقَالَ: أَمَّا لَهَا عِنْدِي اثْنَانِ... وَسَكَتَ، وَرَأَمَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَتْ أَخْتَهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ، فَقَالَ: بِاللَّهِ يَا سَيِّدِي كَيْفَ قَالَتْ؟ فَقَدْ وَاللَّهِ صَدَعَتْنَا، فَقَالَ لَهُ: فَضْولُكَ، قَلْ كَمَا تُحْسِنُ، وَضَعْلُكَ أَهْلُ الْمُجْلِسِ، وَصَارَ طَنِّزاً - أَيْ سُخْرِيَّةً - وَاندفَعَتْ الْخُصُومَةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ".¹

(ر) إشراق السويداء العروضية، أخذت النحو واللغة عن مولاها ابن غلبون القرطبي، سكتت بلنسية، وفاقت شيخها في كثير مما أخذته عنه، وأتقنت العروض، وحفظت كتابي "الكامل" للمبرد، و"النواذر" للقالي، وقرأ عليها داود بن نجاح، توفيت عام (450هـ).²

(ح) أمةُ الخالق بنت الزين عبد اللطيف بن صدقة القاهري، شيخة صالحة وكاتبة فاضلة، حفظت ألفية ابن مالك، وكتباً أخرى، توفيت عام (833هـ).³

(ط) أمَّةُ الواحد بنت الحسين بن إسماعيل المحاملي، عالمة فاضلة، وفقيقه في المذهب الشافعي، حفظت القرآن، وقرأت القراءات والنحو واللغة، وغيرها.⁴

(ي) زينب بنت أحمد بن الجمال محمد القرشية، من فواضل نساء عصرها، ولدت في مكة عام (812هـ)، وأجاز لها الجحد اللغوي، وابن طلوبغا، والعراقي، وعائشة بنت عبد الهادي، وتوفيت في مكة عام (863هـ).⁵

¹ انظر: المصدر السابق، ج 4: ص 147.

² انظر: عمر رضا كحال، *أعلام النساء في عالي العرب والإسلام* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 10، 1991)، ج 1: ص 71.

³ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 84؛ السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* (بيروت: دار مكتبة الحياة، ط 1، 1991)، ج 12: ص 9.

⁴ انظر: كحال، *أعلام النساء*، ج 1: ص 89.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 46.

3. إسهامها في البلاغة والفصاحة:

نبغ كثير من النساء في قوة البيان وفصاحة اللسان وبلاحة المنطق، وقد ضربن بسهم وافر في الفصاحة والبلاغة بأساليب متنوعة، وفيما يأتي ذكر بعض البلويات اللواتي سجلن في التاريخ في مدد زمنية متواصلة:

(أ) عائشة بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم.¹

(ب) أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم.²

(ج) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، كانت كاتبة ذات فصاحة وبلاحة، ولها خطب مشهورة وأشعار معروفة في رثاء أبيها.³

(د) خولة بنت ثعلبة، من ربات الفصاحة والبلاغة، وهي التي نزلت في حقها سورة المجادلة.⁴

(ه) أم البراء بنت صفوان بن هلال، كانت ذات لسان فصيح ومنطق مبين.⁵

(و) بكارة الهمالية، كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والشعر والنشر والخطابة، وقد خطبت في حرب صفين تناصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت خطبها حماسية حضّت فيها القوم على أن يخوضوا غمارات الحرب من دون خوف ولا وجّل.⁶

(ز) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، من ربات الفصاحة والبلاغة، قرعت بجوابها حجة الحجاج، وأفحّمته بكلام مبين، ومن كلامها: "أُفِّ للبخل لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طرِيقاً ما سلكته".⁷

(ح) جرّة بنت مُرَّة بن غالب التميميّة، من ربات الفصاحة والبلاغة.⁸

¹ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 47.

² انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 9.

³ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 274.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 382.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 122.

⁶ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 137.

⁷ المرجع السابق، ج 1: ص 150، 153.

⁸ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 191.

- (ط) الجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد، من ربات الفصاحة والبلاغة.¹
- (ي) أمُّ الخير بنت الحريش البارقية، من ربات الفصاحة والبلاغة.²
- (ك) زبيدة بنت جعفر بن المنصور، سيدة جليلة كانت لها يد طولى في الحضارة وال عمران، ومساعدة الأدباء والشعراء والأطباء، ذات فصاحة وبلاغة، تزوجها هارون الرشيد فولدت له الأمين، ولها رثاء في ولدتها هذا بعدما قتلت.³
- (ل) زينب بنت معيقب، من ربات الفصاحة والبلاغة، ولما مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد قيل: "مات اليوم أشعر الناس، وأعلم الناس، وخرجت النساء في جنازهما، وبكين على كثير عزة، وهن حول جنازته، فقال أبو جعفر محمد بن علي: أخرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها، فجعلوا يدفعون عنها النساء، وجعل محمد بن علي يضرهن بكلمه، ويقول: تتحين يا صواحبات يوسف، فقالت زينب بنت معيقب: يا بن رسول الله، لقد صدقت إنا لصواحبات يوسف، وقد كنا له خيراً منكم له، فقال لها لماذا؟ قالت: تؤمنني غضبك؟ قال: أنت آمنة من غضبي، فأيّيني، قالت: نحن دعوناه إلى اللذات، من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم، وأنتم معاشر الرجال أقيتموه في الجنة، وبعمموه بأجنس الأنثان، وحبستموه في السجن، فأيّاً كان به أحرّ وعليه أرأف؟ فقال محمد: الله درك! ولن تغالب امرأة إلا غلبت".⁴
- (م) معاذة بنت عبد الله العدوية، من ربات الفصاحة والبلاغة والتفقه في الدين والعبادة، وهي من أهل البصرة، تقوم الليل بالصلوة، توفيت عام (101هـ).⁵

¹ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 204.

² انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 389.

³ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 17.

⁴ المرجع السابق، ج 2: ص 115.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج 4: ص 60.

(ن) ابنة أبي حثمة، من ربّات الفصاحة والبلاغة، رثت عمر بن الخطاب، فقالت: "واعمرأه، أقام الأؤد، وأبرا العمد، وأمات الفتن، وأحيا السنن، خرج نقى الثوب بريئاً من العيب" ، حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يرحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبي حثمة، لقد ذهب بخيرها، ونجا من شرها، أما والله ما قالت، ولكن قولت".¹

(س) الصَّدُوقُ بنتُ حُلَيْسِ الْعَذْرِيَّةِ، من ربّات الفصاحة والبلاغة، وكانت تبدع في استعمال السجع في كلامها.²

4. إسهامها في العروض:

كان للمرأة مكانة مرموقة ومنزلة عالية في نظم الشعر وتأليف القصائد، مما جعلها تنشد شعرها مضاهية شعر الرجال، أو متقدمة عليهم أحياناً في دقة ضبط القواعد العروضية، حتى أصبحت المرأة مرجعاً في تدريس العروض والإبداع والتأليف فيه، وفيما يأتي ذكر بعضهن: (أ) مولاة ابن غلبون القرطبي، أديبة أندلسية كبيرة، أخذت عن مولاها النحو واللغة، وفاقتنه فيما، وبرعت في العروض، وأخذ عنها أبو داود سليمان بن نجاح علم العروض.³

(ب) لبني كاتبة المستنصر بالله الأموي، كاتبة وشاعرة وعالمة بالنحو، بصيرة بالحساب، ذات علم واسع بعلم العروض، كانت ذات خط جيد، ولها مشاركات علمية كثيرة.⁴

5. إسهامها في الخط العربي:

الخط العربي من فنون اللغة العربية، وقد ازدهر وتطور مع الحضارة الإسلامية، إذ أولى المسلمين الخط ورسم الحروف عنايةً بالغةً عبر عنانيتهم بتدوين القرآن الكريم، وللخط العربي أشكال وأنواع وتسميات كثيرة، وكان في جامع غرناطة ألفاً امرأة يعملن يومياً لنسخ المصاحف، وقد تحدث التاريخ عن نساء خطاطات كان لهن حضور واضح وجهود ملموسة في هذا الفن العربي الأصيل، وفيما يأتي ذكر لأشهر الخطاطات:

¹ المرجع السابق، ج 1: ص 247.

² انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 324.

³ انظر: المرجع السابق ج 3: ص 260.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 287.

- (أ) مزينة الكاتبة، كانت تكتب لل الخليفة الناصر لدين الله، لأنها كانت حاذقة من أخطٍ¹ الناس، توفيت عام (358هـ).
- (ب) صفية بنت عبد الله الرئي، أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط، توفيت عام (417هـ).²
- (ج) فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الشبلاوي، كاتبة جزلة، تجيد الخط، وتكتب الكتب الطوال، توفيت عام (427هـ).³
- (د) عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، شاعرة من شواعر المغرب في القرن السادس الهجري، ذات فصاحة وبلاغة، وكانت تجود الخط، وقد كتبت "يتيمة الدهر" للتعالي، في ثمانية عشر جزءاً.⁴
- (ه) سيدة بنت عبد الغني بن علي العبدري أم العلاء، أصلها من غرناطة، وقد وفدت إليها إلى تونس فولدت فيها، كانت عالمة حافظة للقرآن الكريم، اعتنى والدها بتربيتها ليوهلهما لتعليم النساء، وقد جودت الخط ونسخت بيدها وخطها مراراً كتاباً "إحياء علوم الدين" للغزالى، وغيره من المؤلفات الأدبية والأخلاقية، توفيت بتونس عام (647هـ).⁵
- (و) خديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادي، تعلمت الخط على جماعة وجودته، وكانت عالمة وكاتبة، روت كثيراً عن ابن الكتبى وقرأت النحو، وسمع عليها رسالة "السکوت"، توفيت عام (699هـ).⁶
- (ز) خديجة بنت عثمان بن محمد الهوري، كانت جيدة الخط والإنشاء، تكتب بخطها الإجازات، توفيت عام (734هـ).⁷

¹ انظر: المرجع السابق، ج4: ص49.

² انظر: المرجع السابق، ج2: ص340.

³ انظر: المرجع السابق، ج4: ص58.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج3: ص182.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج2: ص275.

⁶ انظر: المرجع السابق، ج1: ص345.

⁷ انظر: المرجع السابق، ج1: ص336.

(ح) صَارَةُ الْحَلِبِيَّةُ، أصلها من الشام، ووفدت على تونس، كانت ماهرة بالخط الجيد، وكانت تحفل الذهب بمعرفة وخبرة فتكتب به.¹

(ط) عابدة بنت محمد الجهنمية، شاعرة فاضلة، وخطاطة ماهرة، وأديبة فصيحة.²

(ي) فاطمة بنت الحسن بن علي الأقوع، كاتبة من أحسن الناس خطأً على طريقة ابن البواب، قال السمعاني: "وكان لها خط مليح حسن، وهي التي أهلت لكتابه كتاب المدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيز، ورحلت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندي، وكتب الناس على خطها، وقرأ عليها كثير من العلماء".³

(ك) أسماء عبرت بنت أحمد آغا، من خطاطات القسطنطينية، اشتهرت بخطها الجميل.⁴

(ل) بادشاه خاتون بنت محمد بن حميد تابنكو، كانت شاعرة ذات خط ياقوتي، وقد خطت يديها المصاحف، وقد ذكرها مستقيم زاده في كتابه "تذكرة الخطاطين".⁵

6. إسهامها في نشر اللغة العربية عبر الأوقاف العلمية:

قد تبرعَ نسوة في بناء المدارس، والوقف عليها، والإنفاق على طلبتها وأساتيذها، ومن ذلك ما يأتي:

(أ) عذراء بنت نور الدين شاهنشاه نجم الدين أيوب، من ربات البر والإحسان، أنشأت المدرسة العذراوية بدمشق لتدريس علوم العربية والشريعة، توفيت عام (593هـ).⁶

(ب) سُت الشام بنت أيوب، أخت الملك العادل، كانت عالمة تقية، شيدت مدرسة في العونية على الشرف الشمالي من دمشق، وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة، توفيت عام (616هـ).⁷

¹ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 319.

² انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 198.

³ المرجع السابق، ج 4: ص 41.

⁴ انظر: المرجع السابق ج 1: ص 57.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 107.

⁶ انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 259.

⁷ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 155.

(ج) صفية بنت الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب، أنشأت بمدينة حلب مدرسة الفردوس، وجعلتها تربة ورباطاً عام (633هـ)، وأوقفت عليها أوقافاً عظيمة، وصرفت مرتبات المدرسين فيها، توفيت بحلب عام (640هـ).¹

(د) زهرة بنت أبي بكر بن أيوب، أنشأت المدرسة العادلية الصغرى داخل باب الفرج شرقي القلعة في حلب عام (656هـ)، وأوقفت عليها قرى كثيرة.²

(ه) عزيزة الدين بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين، من ربات البر والإحسان، أنشأت بدمشق عام (610هـ) المدرسة المارданية، ودرس فيها جلة من العلماء.³

(و) عائشة زوج شجاع الدين بن الدماغ، من ربات البر والإحسان، أنشأت المدرسة الدماغية بدمشق (638هـ)، وجعلت فيها جملة من العظام المدرسين في العربية وعلوم الدين.⁴

(ز) ماء السماء بنت المظفر بن يوسف بن عمر الرسولي⁵، أميرة محسنة لها آثار كثيرة منها بناء المدرسة الواقفية في زيد أنفقت على إنشائها مبلغاً طائلاً ووقفت عليها أوقافاً كثيرة، توفيت في وادي زيد عام (724هـ).

(ح) زاهدة بنت محمد بن مبارك بن الخليفة المستعصم بالله العباسى، كانت من فواضل النساء، ولدت في بغداد عام (678هـ)، وجلب لها والدها الأساتذة، فتعلمت مع أخواتها، وحفظت دواوين شعرية كثيرة، وكانت دارها مأوى العلماء وندوة الشعراء والأدباء، وقد أنشأت مدرسة عظيمة في العمادية سمتها (المدرسة الزاهدية) لتدريس الدين واللغة العربية، توفيت عام (729هـ).⁶

¹ انظر: المرجع السابق، ج2: ص339.

² انظر: المرجع السابق، ج2: ص41.

³ انظر: المرجع السابق، ج3: ص382.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج3: ص136.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج3: ص3.

⁶ انظر: المرجع السابق، ج2: ص3.

(ط) سفرى بنت محمود البارودي، من ربات البر والإحسان، أنشأت المدرسة البارودية عام 1868هـ في باب الناظر بالقدس، وأوقفت عليها أوقافاً عظيمة.¹

(ي) زُمُرُد بنت جاوي خات الملائكة في دمشق، عالمة فاضلة، حفظت القرآن الكريم، وشيدت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق، ووقفت عليها أوقافاً كثيرة، ودرَّس فيها كبار علماء العربية والشريعة.²

7. إسهامها في صنوف من فنون اللغة العربية:

برعت بعض النساء في غير صنف من صنوف فنون اللغة العربية، ومن أولئك النساء:

(أ) أم الحسن بنت أبي جعفر الطنجالي، شاعرة وأديبة من أدبيات الأندلس وشاعراته، كانت تشارك في دروس اللغة العربية وبحوث القرآن.³

(ب) زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني، ولدت عام 624هـ بدمشق، قرأت كثيراً من علوم العربية، وقرأت كتب الأimalي، ولها إسهام في غريب اللغة، توفيت عام 688هـ.⁴

(ج) عائشة بنت أحمد القرطبي، كانت أدبية شاعرة، وعالمة بالفصاحة والبلاغة، ولم يكن من يعدها في زمانها من حرائر الأندلس علماً وفهمًا وأدبًا وشعرًا وفصاحة، وكانت ذات خط جميل تكتب به المصاحف، وكانت ت مدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، ومن شعرها ما ردَّت به على شاعر خطبها، فلم ترضَ به، فكتبت إليه قائلة:⁵

نَفْسِي مَنَاحًا طُولَ دَهْرِي مِنْ أَحَد
كُلُّا وَكُمْ عَلَقْتُ سَعِيَ عَنْ أَسْد

أَنَا لَبْوَةُ لَكِنْنَيْ لَا أَرْتَضِي
وَلَوْ أَنَّنِي أَخْتَارُ ذَلِكَ لَمْ أُجِبْ

¹ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 197.

² انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 37.

³ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 259.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 116.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 6.

(د) جارية عبد الله الكتاني، عالمة لا تلحن، معرفتها الدقيقة بالنحو واللغة والعرض والكتابة

¹ والخط، وكانت أدبية لم ير في زمانها مثلها، توفيت في القرن الخامس للهجرة.

(ه) نضار بنت محمد بن يوسف الأندلسي، وتكنى أم العز، ولدت عام (702هـ)، شاعرة

أدبية ومحثة فاضلة، أسمعها أبوها من العلماء، وحفظت مقدمة في النحو، ونظمت شعراً،

² ولها معرفة جيدة بقواعد الإعراب، وكان والدها يشني عليها، توفيت عام (730هـ).

(و) أسماء بنت عبد الله بن محمد المهروانية، كانت عالمة كاتبة، نالت إجازة علمية من ستة

³ وعشرين شيخاً، توفيت بدمشق عام (867هـ).

8. إسهامها في تدريس كبار العلماء اللغويين:

من اللافت أن بعض النساء تلمنذ لهن بعض أكابر العلماء اللغويين، ومن ذلك:

(أ) زينب بنت إسحاق النطري الرسعيي، لغوية شاعرة من شواعر الأندلس، أنسد لها الإمام

⁴ اللغوي أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري قوله:

بسـوـء وـلـكـيـ مـحـبـ هـاشـ	عـكـيـ وـتـيـ لـأـحـاـوـلـ ذـكـرـهـ
إـذـا ذـكـرـواـ فـيـ اللهـ لـوـمـهـ لـأـئـمـ	وـمـاـ يـعـرـيـنـيـ فـيـ عـلـيـ وـرـهـطـهـ
وـأـهـلـ النـهـىـ مـنـ عـرـبـ وـأـعـاـجـمـ	يـقـولـونـ مـاـ بـالـنـصـارـىـ تـحـبـهـمـ
سـرـىـ فـيـ قـلـوبـ الـخـلـقـ حـتـىـ الـبـهـائـ	فـقـلـتـ لـهـمـ إـنـيـ لـأـحـبـ وـحـبـهـمـ

(ب) عائشة السمرقندية، شاعرة لغوية من سمرقند، أخذت عنها ودرس عليها الزمخشري.⁵

¹ انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 235.

² انظر: المرجع السابق، ج 4: ص 177.

³ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 56.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 54.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 136.

إسهام المرأة في الجانب الأدبي

أوضحنا فيما مضى بإيجاز إسهام المرأة في الجانب اللغوي، ومدى إسهامها في تطوير اللغة العربية تعلماً وتعليمًا، وما حققته من إنجاز في مسيرة هذه اللغة عبر العصور القديمة، وهنا نذكر أيضًا إسهامها في الجانب الأدبي، وما لها من أثر فيه.

1. إسهامها في الشعر العربي:

إن كانت المصادر قد ضئلت بأخبار المرأة اللغوية، فإنها جادت بذكر شيء يسير عن أخبارها الأدبية، وفي مقدّمتها الشعر الذي روی عنها قليلاً، وبخاصة في الكتب الأولى التي جمعت الشعر العربي، من مثل "المفضليات" للمفضل الضبي، و"المؤتلف والمختلف" للأمدي، وغيرهما، ومع ذلك كانت المرأة في الشعر أوفر حظاً منها في فروع اللغة الأخرى، إذ المرأة شاعرة مجيدة طرقت أغراض الشعر في شعرها،¹ ومردّ قلة المروي عنها من الشعر إلى أمور، منها:²

- بساطة شعر النساء، أي إنه لم يتضمن من غريب اللغة الذي حرص العلماء على جمعه وحفظه والتباھي باستعماله، فشعر النساء كان فصيحاً حالياً من الألفاظ الوحشية والمفردات الغريبة، لذا لم يكن من حماسة لنقله.
- إثمار العرب الفحولة وشعرها على شعر الأنوثة، وقد وجد الرواة في شعر الرجال الرصانة والقوّة، فاحتفوا به.
- أن شعر النساء أتى موحدًّا لأغراض في القصيدة الواحدة، لا يتّنقل من غرض إلى غرض كما الحال في قصائد الرجال.
- أتيح للرجل الشاعر من الظروف الاجتماعية والأخلاقية ما لم يتح للمرأة، فالرجل يقول الشعر في المجالس والمحروق والأسواق الأدبية وأمام القبيلة، ولم يتح ذلك للشاعرة المرأة.
- ضياع كثير من شعر النساء كما ضاع كثير من شعر الرجال، وما بقي من شعر المرأة إلا القليل.

¹ انظر: محمد ركي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد (بيروت: دار النهضة العربية، 1986)، ص 179.

² انظر: عبد الحليم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين (عمان: دار أسماء، ط 1، 2001).

وقد حدثنا التاريخ عن شاعرات كبارات، خلدهن شعرهن المتن الذي احتكم إليه فحول الشعراء من الرجال، واستطاعت المرأة به أن تثبت وجودها المتميز في خضم الحركة الشعرية، وأمثلة ذلك كثيرة نذكرها فيما بعد.

ثم إن المرأة أسهمت في الأغراض الشعرية كلها، فلها شعر في السياسة، والحروب، والحماسة، والرثاء، والمديح، والغزل، وغيرها، ولكنها كانت تتميز في الرثاء أكثر من غيرها من الأغراض الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة المرأة التي تتصف بالرقابة والعاطفة القوية، فهي في الرثاء تعبر عن شجونها وألمها على المفقود من ذويها، وتبتكر الأساليب الرقيقة والمعانى المؤثرة، وفيما يأتي ذكر بعض النساء الشاعرات:

(أ) أميمة بنت عبد شمس، شاعرة من شواعر العرب، رثت ابن أخيها أبا سفيان بن أمية، ومن قتل من قومها في حروب الفجار من قريش.¹

(ب) بشينة بنت حبا العذرية، شاعرة من شواعر بني عذرة، وقد اشتهرت بأخبارها مع عشيقها جيل بن معمر العذري، وقالت شعراً فيه رقة ومتانة، ومنه رثاؤها لجميل، فحين سمعت بموته قالت:²

وَإِنْ سَلُوِيْ عَنْ جَمِيلِ لَسَاعَةً
مِنَ الدَّهْرِ مَا حَانَتْ وَلَا حَانَ حِينُهَا
سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بْنَ مَعْمَرٍ
إِذَا مِتَّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلِيُنْهَا

(ج) ثماضير بنت الشريد، شاعرة من شواعر العرب قبل الإسلام، وقد رثت ابنها قيس بن زهير في قصيدة مطلعها هذه الأبيات:³

كَانَ الْعَيْنَ خَالطَهَا قَذَاهَا
عَلَى وَلَدِ زَيْنِ النَّاسِ طَرَّا
لُزْنٌ وَاقِعٌ أَفْنَى كَرَاهَا
إِذَا مَا النَّارَ لَمْ تَرَ مَنْ صَلَّاهَا
وَلَا يَرْقَأُ مِنْ عَيْنِ بُكَاهَا

¹ انظر: كحالة، *أعلام النساء*، ج 1: ص 92.

² انظر: المراجع السابق، ج 1: ص 110.

³ انظر: المراجع السابق، ج 1: ص 176.

(د) حُزَانَةُ بُنْتُ خَالِدَ بْنَ جَعْفَرَ بْنَ قَرْطَ، شاعرة حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، ورثت من قتل من المسلمين وما قالته:¹

فَقَدْ سُرِعْتُ فِي نَا سِيَوْفُ الْأَعْاجِمِ
وَطَرْفٌ كُمِيَّتِ اللَّوْنِ صَافِي الدَّعَائِمِ
وَسَعْدٌ مُبِيْدُ الْجَيْشِ مُثْلِ الْغَمَائِمِ
لُبُوتُ لَدِي الْهَيْجَاءِ شَعْثُ الْجَمَاجِ
أَيَا عَيْنُ جُودِي بِالْدَمْوَعِ السَّوَاجِمِ
فَكُمِّ مِنْ حُسَامِ الْحَرُوبِ وَدَابِلِ
حُزْنًا عَلَى سَعْدٍ وَعُمَرُ وَمَالِكٍ
هُمْ فَتِيَّةُ غَرْ الْوَجْهِ أَعْزَةُ

(ه) الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريذ السلمية،² شاعرة صحابية، شهد لها رسول الله ﷺ بأنها أشعر الناس، حتى قيل لجرير: "من أشعر الناس؟"، قال: "أنا لولا الخنساء"، قيل: "لم فضلتك؟"، قال: لقوها:

أَبْقَى لَنَا ذَبَّا وَاسْتُوْصِلَ الرَّأْسُ
لَا يَفْسَدُنَا وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ
إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا يَفْنِي لَهُ عَجَبٌ
إِنَّ الْجَدِيدَنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا

قال بشار بن برد: "لم تقل المرأة شعراً قط إلا تبين فيه الضعف"، فلما ذكروا عنده الخنساء تراجع عن مقولته هذه، وقال في حقها: "تلك فوق الرجال".³

وقد أشادت النابغة بشعرها، وفضله على شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه، وعلى شعر غيره من شعراء عصرها، وشعرها متنوع الأغراض؛ رثاءً، و مدحًا، و فخرًا، و حماسةً، وما إلى ذلك، ومن مراثيها ما قالته في أخيها صخر:⁴

وَإِنَّ صَحْرًا لِمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا
كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
لِرَبِيَّةِ حَيْنٍ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
وَإِنَّ صَحْرًا لِمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا
وَإِنَّ صَحْرًا لِتَائِمٍ الْهُدَاءِ بِهِ
وَلَمْ تَرَهُ جَارٌ يَمْشِي بِسَاحِتِهَا

¹ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 351.

² انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 360.

³ انظر: الوائلي، موسوعة شاعرات العرب، ص 12.

⁴ انظر: ابن طيفور الخراساني، بلاغات النساء، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (القاهرة: دار الفضيلة، 1998)، ص 267-268.

(و) حفصة بنت الحاج الركونية، شاعرة أدبية من غرناطة بالأندلس، كانت رخيصة الشعر رقيقة النظم والنشر.¹

(ز) حفصة بنت حمدون، شاعرة أدبية من وادي الحجارة بالأندلس في القرن الرابع للهجرة،
كانت كثيرة الابتهاج واللهمان، مبدعة في نظم الشعر.²

(ح) حمدة بنت زياد بن عبد الله العوفي، شاعرة من شواعر الأندلس بوادي آش، تحلى بالأدب الجم، وتغزلت مع عفة وصيانته أخلاق، وعلمت النساء في منزلاها، وذاع صيتها، ولقيوها "خنساء المغرب"، وكان حب الأدب يحملها على مخالطة أهل الأدب، ومن شعرها:³

أَبَاحَ الدَّمْعُ أَسْرَارِي بِوَادِي
فَمِنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ
لَهُ فِي الْحَسْنِ أَسْرَارَ بِوَادِي

2. إسهامها في النشر العربي:

أجادت المرأة فن النثر العربي وأحسنت صياغته، حتى صاحت بعض النساء مقطوعاتٍ نثريةٍ في غاية من الجمال الأسلوبي والتركيب الفني والمعاني المادفة، وذلك باستعمالهن مستلزمات البلاغة وعناصر الفصاحة، وبذلك تكون المرأة قد حفظت للغة مفرادتها وتراكيبيها، والأمثلة على ذلك كثيرة، وحسبنا أن نذكر هنا بعضًا منها:

(أ) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهمَا التي بلغت الغاية القصوى من الفصاحة والبيان، مما حمل أهل اللغة على أن يقدّموها على من سواها من الرجال والنساء،⁴ قال موسى بن طلحة بن عبيد الله القرشي التميمي: "ما رأيت أحداً أفصح من عائشة رضي الله عنها"،⁵ وقال الأحنف بن قيس: "سمعت خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب،

¹ انظر: كحالة، *أعلام النساء*، ج 1: ص 267.

² انظر: المرجع السابق، ج1: ص272.

³ انظر : المجمع السابق، ج1: ص 292.

⁴ انظر: الخراساني، *بلاغات النساء*، ص35؛ محمد سعيد رمضان البوطي، *عائشة أم المؤمنين: أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات* (دمشق: مكتبة الفارابي، ط1، 1997).

⁵ التمذى، السنن، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2000)، الحديث (3884)، ج3: ص 576.

وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والخلفاء كلهم، وهلَّ جرًّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فِيمِ مخلوق أفحِم ولا أحسن منه من عائشة رضي الله عنها".¹

(ب) فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، فقد كان لها كلام بلغ لا يقل جودة عن كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(ج) أروى بنت الحارث بن عبد المطلب، رضي الله عنها.

(د) نائلة زوج عثمان بن عفان، رضي الله عنهما.

(ه) عائشة بنت عثمان بن عفان، رضي الله عنهما، وكان لها كلام بلغُ رفيعٍ بعد مقتل أبيها.

3. إسهامها في الأمثال:

الأمثال من أنواع النثر العربي، وللمرأة فيه إسهام بارز، وكان للمثل الذي وضعته المرأة أثرٌ في إقرار القواعد اللغوية، وقد اشتهرت بعض النساء بصياغة الأمثال والحكمة، فذهب كلامهنَ مثلاً ذائعاً يتمثّل به في المواقف جميعها، فجاءت أمثلةً معيّنةً عن روح العصر الذي يعيشن فيه، وتضمنت أمثلهنَ خلاصة تجاربهنَ في الحياة التي تناقلتها كتب اللغة، وفيما يأتي أمثلة ذلك:

(أ) حَدَّام بنت الرَّيَان، كانت تضرب الأمثال وتقول الشعر.²

(ب) رقاش بنت عمرو، من فواضل النساء في العرب كانت تقول الأمثال وتجيدها ومن أمثلها: "التجُّردُ لغير النكاح مُثْلَةٌ" ، و "خَلْعُ الدَّرِّ بِيدِ الرَّوْجِ".³

(ج) أسماء بنت عبد الله، من عُدْرَة، وهي أول من قالت: "لا مَحْبَأْ لعَطَرٍ بَعْدَ عَرْوَسٍ" ، وكان زوجها من بني عمها يقال له: "عروس" ، فماتت عنها، فتزوجها رجلٌ من غير قومها يقال له: "نُوفل" ، وكان بخيلاً دمِيماً، وقد طلب منها أن تتعطّرَ ، فقالت: "لا مَحْبَأْ لعَطَرٍ بَعْدَ عَرْوَسٍ" ، فذهب قولها هذا مثلاً يُضرب لمن لا يُدْخِرُ عنه نفيس.⁴

¹ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (بيروت: دار المعرفة، 1998)، الحديث (6792)، ج 5: ص 13.

² انظر: كحالة، أعلام النساء، ج 1: ص 252.

³ انظر: المرجع السابق، ج 1: ص 452.

⁴ انظر: الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج 2: ص 211.

(د) فاطمة بنت مُرِّ الخثعميَّة، وهي أول من قالت: "قد كان ذلك مرَّةً فاليوم لا"، وكانت قد قرأت الكتب، وأراد عبد المطلب أن يزوج ابنته عبد الله من آمنة بنت وهب، فمَرَّ على فاطمة وهي بحكة، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: "من أين أنت يا فتى؟"، فقال: "أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هشام"، فقالت: "هل لك أن تقع علىيَّ وأعطيك مئة من الإبل؟"، ولم يوافق، ومضى مع أبيه حتى زوجه آمنة، وظلَّ عندها يومه وليلته، ولكن نفسه دعنته إلى الإبل فيما بعد، فأتتها فلم ير منها حرصاً، فقال لها: "هل لك فيما قلت لي؟"، فقالت: "قد كان ذلك مرَّةً فاليوم لا".¹

(ه) ابنة الحُسْنِ الإيادية، اشتهرت بوضع أمثال كثيرة، منها: "أحسن من النار"، و"أخبِث من ذئب الغضى"، و"أخطف من قرَّىٰ"، و"فُرُّب الوسادة وطول السِّواد".²

4. إسهامها في النقد الأدبي والتحكيم:

حفلت كُتبُ الأدب والنقد بأخبار كثير من النساء اللواتي قدمنَ صوراً أدبيةً رفيعة، وبلغنَ مكانةً أدبيةً عالية المستوى أهلتهنَ إلى منصب التحكيم بين فحول الأدباء، ومقعد النقد الأدبي الهدف، وقد اشتهرت نساء في ذلك، نذكر منها:

(أ) أم جنديب امرأة امرئ القيس بن حجر، كانت عالمة بالشعر ونقده، إذ تنازع امرأة القيس مع علقة بن عبدة الفحل الشاعر المعروف، وارتضيا أن تكون أم جنديب حكماً بينهما، فقالت لهما: "قولا شعراً على رَوَى واحد، وقافية واحدة، تصفان فيه الخيل"، فقال امرأة القيس:

خَلِيلَيِّ مُرَّابِي عَلَىْ أُمِّ جَنْدِبِ
نَقْضِ لِبَانَاتِ الْقُوَّادِ الْمُعَذَّبِ

وقال علقة الفحل:

دَهَبَتِ مِنَ الْهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَدْهِبِ
وَلَمْ يَكُ حَفَّا كُلُّ هَذَا التَّجْنِبِ

فلما سمعت شعرهما حكمت لعلقة بالتفوق على امرأة القيس، فسألها زوجها امرأة القيس عن سبب ذلك؟ قالت: "لأنك قلت":

فَلِلْسَّوْطِ الْهُوَبُ وَلِلْسَّاقِ دَرَّةُ
وَلِلرَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

¹ انظر: المصدر السابق، ج 2: ص 105.

² الميدان، معجم الأمثال، ج 1: ص 227، 259، 261؛ ج 2: ص 93.

فقد جهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريتها، فأتعبته بساقك، أما علقمة فقال:

فَوَلَىٰ عَلَىٰ آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ
وَعَيْيَةُ شُوَبُوْبٍ مِّنَ الشَّدِّ مُلْهَبٍ

وَأَقْبَلَ يَهْوِي ثَانِيًّا مِّنْ عَنَانَةٍ
يُمْرُكَمِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمره، ولم يتعبه بزجر، ففرس ابن عبدة أجود من فرسك، زجرت وضررت وحركت ساقيك، وابن عبدة لم يصنع ما فعلت¹، فغضب من قولها وطلقها، وخلف عليها علقة.²

(ب) مريم بنت أبي يعقوب، أدبية من أدباء إشبيلية في الأندلس، اتخذت بيتها مقراً لدراسة الأدب ونقده، وجعلت من بيتها ندوة للأدباء.³

(ج) ليلى الأخيلية، الشاعرة المعروفة التي كثيرة ما ألحَّ عليها الشعراء أن تكون حكماً بينهم ونافقة لشعرهم، متظرين منها المفاضلة التي تَطْلُعُ بها عليهم⁴، ومن الشعراء الذين ارتصوا أن تكون حكماً بينهم حميد بن ثور الهلالي، والعجيج السلوبي، ومزاحم العقيلي، وأوس بن غلفاء المجمي، فقد حكموها في شعر وصفوا فيه القطا، فحكمت للعجبير السلوبي، وقالت:

أَلَا كُلُّ مَا قَالَ الرُّوَاةُ وَأَنْشَدُوا
بِهَا غَيْرَ مَا قَالَ السُّلُوْبِيَّ بِحَرْجٍ

فأثار حكمها هذا حفيظة حميد بن ثور الذي راح يهجوها فيما بعد، مما يدلُّ على اعتقاده بحكمها، وخطورة مكانتها النقدية.⁵

(د) دنانير مولاة محمد بن كنasse، في عصر الدولة العباسية، أدبية شاعرة، كان أهل الأدب يقصدونها للمذاكرة معها والمساجلة الشعرية.⁶

¹ انظر: الأصفهاني، الأغاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1997)، ج 21: ص 133، والأغوب اجتهاد الفرس في علوه حتى يثير الغبار، والدراة حتى الفرس على العدو، والأخرج من الخيل ما خالط بياضه سواده، والمذهب المسرع، يريد أن يستحدث جواده تارت بسوط وأخرى بساقه ومرة ثلاثة بالزجر.

² انظر: محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام (القاهرة: مكتبة الآداب)، ص 11.

³ انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج 16: ص 21.

⁴ انظر: مي يوسف خليف، الشعر النسائي في أدبنا القديم (القاهرة: مكتبة غريب، 1991)، ص 17.

⁵ انظر: كحالة، أعلام النساء، ج 1: ص 415.

(ه) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمها الرباب بنت امرئ القيس، كانت ذات مقام رفيع، تجلس الأجلة من قريش، ويجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتملون إليها فيما أنتجته قرائحهم، فتبين لهم الغث من السمين، وتناقش المخطئ مناقشة علمية حتى يقتنع بخطئه ويقر لها بالفضل وسعة الاطلاع وقوّة الحجّة.

5. إسهامها في الترجمة من العربية وإليها:

سجلت لنا المصادر التاريخية أسماء بعض النسوة المترجمات، ومنهن:

(أ) سلمى بنت محمد بن الجريري، أم الخير، قارئة مجودة وشاعرة وكاتبة، كانت على قيد الحياة عام (831هـ)، حفظت القرآن وقرأته بالقراءات العشر، وكتبت الخط الجيد، ونظمت الشعر باللغتين؛ العربية والفارسية.¹

(ب) زيغر خانم، أدبية من أدبيات الترك، بربعت في اللغة التركية، وأتقنت اللغة العربية مع لغات أخرى، مما سهل لها مسالك الترجمة.²

6. إسهامها في حفظ الشعراء:

ُعرف عن بعض النساء تشجيعهن للشعراء وحفظهم لقرض الشعر، فمن أولئك:

(أ) عائشة بنت الرشيد، من فواضل نساء عصرها، كانت تضع وسائل تنشط فيها الشعراء والأدباء، فخرج ذات يوم رسولها إلى الشعراء فقال لهم: "تقرئكم سيدتي السلام، وتقول: من أجاز هذا البيت منكم فله مئة دينار!"، فقالوا: "وما هو؟"، فأنسد:

أنيلِي نِوَالاً وَجُودِي لَنَا
فَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسِي التَّرْفُوه

فبدرهم مسلم بن الوليد، صريح الغواي، فقال:

هُوَيْتُ إِذَا انْقَطَعَتْ عُرْقُوه
وَإِنِّي لَكَالْمَدْلُو فِي حُبِّكُم

فأخرجت له مئة دينار.³

¹ انظر: المراجع السابق ج2: ص254.

² انظر: المراجع السابق، ج2: ص44.

³ انظر: المراجع السابق، ج3: ص133، 134.

إسهام المرأة المعاصرة في اللغة والأدب

أعني بالمعاصرة المرأة التي عاشت في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، أي المعازي للقرن التاسع عشر الميلادي وما بعده، إذ أذت المرأة دوراً مهماً تجاه اللغة العربية، وقدمت عطاءً يذكر لها، وإسهاماً في مجال اللغة والأدب؛ تأليقاً وتدريساً ونقداً، حتى أصبحت تنافس الرجل في مجال اللغة العربية، بل ربما تقدّمت خطوات معتبرة في ميدان البحث والتنظير لهذه اللغة، وفيما يأتي بعض مظاهر جهود المرأة وإسهامها في علوم اللغة العربية:

1. المرأة تحصل على الشهادات العليا في علوم اللغة العربية وأدابها: دخلت المرأة ميدان الدراسة، وأبدعت فيه، وتدّرّجت في مراحله، حتى نالت الشهادات العليا في علوم اللغة العربية وأدابها، من البكالوريوس إلى الماجستير إلى الدكتوراة، متخصصة في فن من فنون اللغة العربية، وأدلة ذلك كثيرة، إذ تشهد المؤسسات العلمية والجامعات في العالم إقبالاً كبيراً من الطالبات على الدراسة التخصصية باللغة العربية، وإعداد رسائل لغوية وأدبية في ذلك.

2. المرأة تتولى منصب التدريس: أصبحت المرأة مدرسةً للغة العربية في مراحل الدراسة جميعها، بعد أن كانت بعيدة من هذا الميدان لقرون مضت، ولها حضور واضح في العملية التدريسية في عصرنا الحاضر، وهي تقاسم الرجل في هذا التخصص.

3. المرأة تتولى مناصب علمية: تولت المرأة المناصب العلمية التي تخدم العلوم بعامة، واللغة العربية بخاصة، فقد أصبحت عميدة لكلية اللغة العربية، ورئيسة لأقسام اللغة العربية، ومشاركة في وضع مناهج اللغة العربية، ومشفرة على تنفيذ برامج تعليم اللغة العربية، وما إلى ذلك من مهام أخرى.

4. المرأة تؤلف في اللغة والأدب: أثرت المرأة المكتبة العربية بمؤلفاتها المتنوعة، وتخصصاتها المتعددة؛ صرفاً، ونحواً، وبلاغةً، ولغةً، وشعرًا، ونثرًا، ونقداً.¹

5. المرأة تكتب في الدوريات العلمية والثقافية: للمرأة إسهام واضح في كتابة المقالات العربية المتخصصة والبحوث العلمية، ونشرها في الدوريات العلمية المحكمة، والمجلات العامة، والصحف، مما جعل مشاركتها في خدمة علوم اللغة العربية مشاركة مؤثرة مهمة.

¹ انظر: عفيف عبد الرحمن، *الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري* (الرياض: دار العلوم، ط2، 1983).

6. المرأة ودواوين الشعر: دخلت المرأة المعاصرة مجال الشعر من أوسع أبوابه، فنظمت القصائد، وطرقت الأغراض الشعرية كلها، وألفت الدواوين الشعرية، وتأثرت بن سبّها من النساء الشاعرات في قرون ماضية.

7. المرأة وتحقيق المخطوطات: شاركت المرأة الرجل في تحقيق المخطوطات العربية، وكان لها دورٌ متميّزٌ في تصويب النصوص العربية، وتقديم الترجمة العربية إلى الجيل المعاصر وفق معايير علمية دقيقة تقتضيها طبيعة تحقيق المخطوطات.

8. المرأة والإشراف العلمي على الرسائل الجامعية والمناقشة: زاولت المرأة الإشراف العلمي على الرسائل الجامعية في الدراسات العليا، فقد أشرفـت على رسائل الماجستير والدكتوراه المتخصصة في اللغة والأدب، ولها متابعاً دقيقاً في تقويم تلك الرسائل، وشاركت المرأة في مناقشتها ومنحها الدرجة المناسبة لها.

9. المرأة ومجتمع اللغة العربية: قامت مجتمع اللغة العربية في أكثر من دولة عربية، وأبرزها في مصر والعراق وسوريا، وتضمُّ هذه الجامع في عضويتها كبار المتخصصين باللغة العربية وأدابها من الرجال، ولم يكن للمرأة دورٌ فيها يذكر، لا في عضويته ولا في نشاطاته، بل إن وجود المرأة كان مرفوضاً في تلك الجامع، فقد رفض مثلاً مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ الكاتبة الكبيرة الراحلة عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، والكاتبة نعمات أحمد فؤاد، حين تقدمتا بالترشيح لعضوية المجمع، ولكن الدكتورة وفاء كامل استطاعت أن تكون أول سيدة مصرية تتحدّث من على منصة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد خمسة وسبعين عاماً من إنشائه، وتلقي محاضرة عن مظاهر التغيير في الاستعمال اللغوي الحديث للغة العربية، وذلك ضمن فعاليات مؤتمر المجمع المنعقد في القاهرة، وكانت من قبل خبيرة بلجنة اللهجات بالجمع، وعضوًا مرسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام (2002)، وصرحت بأن المجمع اليوم في صدد مناقشة قرار ضمّ أعضاء من النساء، غير أنه لم يحرز تقدماً في هذا الاتجاه، إلا أن قرار ضمّ الخبرات شملها وشمل السيدة إقبال زكي، المديرة السابقة لإدارة المعاجم وتحقيق التراث.¹

¹ هذه المعلومة من الموقع الحاسوبي للجمعية الدولية للمترجمين العرب.

إن تراجع دور المرأة في مجتمع اللغة العربية، وعزوتها عن قبول النساء أعضاءً فيها؛ لا يزال ساري المفعول إلى يومنا هذا - حسب علمنا - بعد مرور عقود من الزمن على تأسيس هذه المجمعات التي تناوبَ على رئاستها وعضويتها الرجال فقط.

10. المرأة وإنشاء مراكز تعليم اللغة العربية: قليل عدد النساء المعاصرات اللواتي تبرعن لبناء مدارس أو مراكز لتعليم اللغة العربية، قياساً إلى المُحسنات في عصور الإسلام الماضية، ومن النساء المعاصرات اللواتي توجهن هذا التوجُّه؛ أم عباس باشا ابن عم إسماعيل باشا خديوي مصر،¹ كانت من ربات البر والإحسان، وقد شيدت عام (1284هـ) بناءً عُرف باسمها في شارع الصليبة الطولونية بمصر، وكان البناء غاية في الحسن والاتساع، ووقفت عليه أوقافاً كثيرة، ورُتّبت فيه معلمات يعلمون القراءة والكتابة والنحو والصرف وغيرها.

11. نساء لغويات وأديبيات معاصرات:

حربي بنا ونحن نتحدث عن إسهام المرأة في اللغة العربية؛ أن نذكر بعض النساء المعاصرات اللواتي كان لهنَّ جهودٌ واضحةٌ وإناتجٌ غزيرٌ في مجال اللغة وأدابها، سواء كنَّ عربيات أم أعمجيات، فمنهن:

(أ) زبيدة بنت أسعد بن إسماعيل القسطنطينية، من شاعرات الترك، ولدت بالقسطنطينية، وعاشت في كتف والدها الشيخ أسعد مفتى الدولة العثمانية، فقرأت القرآن والفقه واللغة العربية والأدب، ثم نظمت الشعر الفارسي والتركي والعربي، توفيت عام (1194هـ).²

(ب) زينب بنت علي بن حسين العاملية، شاعرة وأديبة من صيدا لبنان، تعلّمت القراءة والكتابة منذ سن العاشرة من عمرها، ثم تلقت الصرف والبيان والعروض والتاريخ والإنشاء والنحو، وتفرّغت لنظم الشعر فأجادت فيه وجمعت ديواناً كبيراً، ومن شعرها:

لِلشَّرِقِ فَضْلٌ فِي الْبَرِّيَّةِ إِنَّهُ يَأْتِي الْوَجُودَ بِكُلِّ حُسْنٍ مُعِجِّبٍ
وَالْغَرْبُ أَظْلَمُ مَا يَكُونُ لَأَنَّنَا نَشَقَّى بِفَرْقَةِ شَمْلَنَا فِي الْمَغْرِبِ

³ وألّقت روایات عدّة، وقد توفيت عام (1914).

¹ انظر: كحالة، *أعلام النساء*، ج 3: ص 228.

² انظر: المراجع السابق، ج 2: ص 17.

³ انظر: المراجع السابق، ج 2: ص 82.

(ج) زينب بنت محمد بن الحسن، أديبة وشاعرة مجيدة من شهارات باليمن، قرأت النحو والأصول والمنطق وعلوم النجوم، ونظمت أشعاراً كثيرة، ومن شعرها ما قالته حين طلبت كتاب القاموس إعارة:¹

مولاي موسى بالذى سمل السما
وبأمره في اليم القي موسى
جُدْلِي بعاريَة تكن مضمونَةٌ
وابعثْ إلى كتابك القاموسا

(د) سُتَيْتَةُ الطَّبَلَوِيَّة، أديبة من أدبيات مصر، بربعت في النحو والصرف والعروض، وأخذت عنها عائشة عصمت تيمور بعض العلوم العربية.²

(ه) عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور، شاعرة وناشرة، أخذت النحو والعروض على فاطمة الأزهري، فبرعت فيهما، درست الصرف والفارسية والخط والفقه، وقرأت القرآن، والكتب الأدبية، ودواوين الشعر، حتى أصبحت ذا ملكة لغوية فائقة، فأنشدت القصائد، وجمعت ثلاثة دواوين باللغات العربية والتركية والفارسية، ولها ترجمات من العربية وإليها، ومراسلات مع الشعراء والأدباء، توفيت بالقاهرة عام (1902).³

(و) خديجة عبد الرزاق الحديبي العراقي، عالمة فاضلة، ولغوية بارعة، لها باع طويل في تدريس اللغة العربية في جامعة بغداد وجامعات عربية، حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة عام (1964) بموضوع عن أبي حيان النحوي، ولها مؤلفات عددة في النحو والصرف، وأشرفت على عشرات رسائل الدكتوراه والماجستير، من مؤلفاتها "أبنية الصرف في كتاب سيبويه"، و"الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه"، و" موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث"، و"دراسات في كتاب سيبويه"، وغيرها، وقد شاركت زوجها الدكتور أحمد مطلوب في تحقيق كتاب "التبیان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" لابن الزمليکانی.⁴

¹ انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 106.

² انظر: المرجع السابق، ج 2: ص 175.

³ انظر: المرجع السابق، ج 3: ص 162.

⁴ انظر: عبد الرحمن، المجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر المجري، ص 118.

(ر) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، كاتبة وأديبة معروفة من مصر، لها جهودٌ في كثير من جامعات العالم العربي، ومؤلفات كثيرة، منها "لغتنا والحياة"، و"من أسرار العربية في البيان القرآني"، و"اللغة العربية وعلوم العصر".

(ح) أسماء حمصي، عالمة سورية لها جهود متميزة في خدمة اللغة العربية وعلومها، ومن إنتاجها بحث بعنوان "نظارات في اللغة والمجتمع"، نشرته مجلة المعلم العربي عام (1965)، ووضعت كتاباً فهرست فيه مخطوطات علوم اللغة العربية في المكتبة الظاهرية بدمشق، وكتاباً آخر مختصاً بمخطوطات النحو، وآخر بمخطوطات اللغة.¹

(ط) وجдан عبد الإله الصائغ، أديبة وناقدة من العراق، لها نشاطٌ ملحوظٌ في التأليف والتدرис لقضايا اللغة العربية، فقد درست في جامعات عراقية وعربية، ولها قصائد شعرية، حصلت على شهادة الدكتوراة من جامعة الموصل، ونالت جائزة إبداعات المرأة في الأدب من الشارقة، وجائزة العفيف الثقافية للأداب، من مؤلفاتها في الأدب والنقد كتاب "الصورة البيانية في شعر عمر أبي ريشة"، و"كتاب الصورة الاستعارية في الشعر الحديث"، وكتاب "عقود الجمان"، وكتاب "قيثارة سومر"، وغيرها من المؤلفات.

خاتمة

بعد هذا العرض لمسيرة المرأة في ميدان اللغة العربية وعلومها، وما أظهرته متابعة مصادر التراث والدراسات الحديثة من ملامح حضورها وغيابها؛ تبرز جملة من الحقائق التي أسهمت هذا البحث في الكشف عنها، وتوضيح مسارات مشاركة النساء في الدرس اللغوي عبر العصور، وباستقراء الجهود اللغوية والأدبية للمرأة، وموازتها بما حفظه التاريخ من إسهامات الرجال في هذا الحقل؛ تتضح معالم صورةٍ كانت في كثير من الأحيان منقوصة أو غير مكتملة، وفي ضوء ذلك جاءت النتائج الآتية لتضع بين يدي القارئ خلاصة ما توصل إليه البحث، يعقبها عددٌ من المقترنات التي تُسهم في تعزيز حضور المرأة وتمكينها في ميدان اللغة العربية وعلومها.

¹ انظر: المراجع السابق، ص 28، 466.

أولاً: النتائج

1. توصل البحث إلى أن للمرأة جهوداً واضحة في قضايا اللغة العربية قديماً وحديثاً، عبر ما نقلته في أشعارها من لغة عن العرب، وجهودها في التدريس والتأليف والإشراف على رسائل الدراسات العليا ومناقشتها.
2. أثبت البحث أن المرأة لم يبرز ذكرها في المصادر اللغوية، ولم تنقل عنها آراء تشكل مذهبًا نحوياً، أو مدرسة لغوية، أو رأياً بلاغياً.
3. ثبت أن المرأة أدبية تقول الشعر والنشر، وتتصدى للنقد الأدبي بكل جرأة وثقة بالنفس، وأنها قامت في مقام التحكيم بين الأدباء الرجال الذين ارتصوا حكماً في إنتاجهم الأدبي.
4. ثبت أن المرأة بزرت في الرثاء من الأغراض الشعرية، وأمّا الأغراض الأخرى فقد تناولتها في شعرها عند ثبوت الحاجة.
5. للمرأة المعاصرة إسهام في اللغة العربية؛ نشاطاً وتأليقاً وتدريساً، أكثر منها في العصور الماضية.

ثانياً: المقترنات

1. العناية الفائقة بتدريس المرأة العربية والملسلمة اللغة العربية، مما يؤهلها لنشر الثقافة العربية، تعليماً، وتأليقاً، وبحثاً، واستعمالاً، وذلك بافتتاح مراكز علمية متخصصة، ووضع منهج رصين لتدريس المرأة لغة القرآن والحديث النبوى.
2. تشجيع المرأة على إعداد البحوث اللغوية، والاشتراك في المؤتمرات والندوات المحلية والدولية، والكتابة في الصحف والدوريات العلمية.
3. العمل على إدخال العنصر النسوي في المجامع اللغوية باختيار من لها باع طويلاً في مسائل اللغة العربية وقضاياها.
4. إنشاء جمعيات للغة العربية خاصة بالمرأة، تعنى بالندوات النسائية والتشقيق اللغوي في صفو النساء.
5. وضع جوائز وشهادات مجانية للمبدعات في فروع اللغة، من خلال إنتاجهن اللغوي أو جهودهن اللغوية المتنوعة.

المصادر والمراجع

- ابن النديم، الفهرست، تحقيق: يوسف علي طويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996).
- ابن طيفور الخراساني، بلاغات النساء، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (القاهرة: دار الفضيلة، 1998).
- ابن يعيش، شرح المفصل (بيروت: عالم الكتب، د.ت).
- الأزهري، شرح التصريح على التوضيح على ألفية بن مالك، (بيروت: دار الفكر).
- الأشموني، شرحه على ألفية بن مالك (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998).
- الأصفهاني، الأغاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1997).
- الترمذى، السنن، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى (الرياض: مكتبة المعرفة، ط1، 2000).
- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (بيروت: دار المعرفة، 1998).
- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (القاهرة: مطبعة الخانجي، 1349هـ).
- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت: دار مكتبة الحياة، ط1، 1991).
- السيوطى، هم الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998).
- الشنقيطى، الدرر اللوامع على هم الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999).
- عبد الحليم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين (عمان: دار أسامة، ط1، 2001).
- عفيف عبد الرحمن، الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري (الرياض: دار العلوم، ط2، 1983).
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10، 1991).

القطفي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة
العصرية، ط1، 2004).

محمد بدر معبدى، أدب النساء في الجاهلية والإسلام (القاهرة: مكتبة الآداب).

محمد زكي العشماوى، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد (بيروت: دار النهضة العربية، 1986).

محمد سعيد رمضان البوطي، عائشة أم المؤمنين: أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات
(دمشق: مكتبة الفارابي، ط1، 1997).

مي يوسف خليف، الشعر النسائي في أدبنا القديم (القاهرة: مكتبة غريب، 1991).

الميداني، جمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

References

- Al-Asfahānī, *al-Aghānī* (Beirut: Dār Ihyā' al-Turāth al-‘Arabī, 2nd Ed., 1997).
- Al-Ashmūnī, *Sharḥuhu ‘alā Alfiyyat Ibn Mālik* (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1998).
- Al-Azharī, *Sharḥ al-Taṣrīḥ ‘alā al-Tawdīḥ ‘alā Alfiyyah Ibn Mālik* (Beirut: Dār al-Fikr).
- Al-Ḥākim al-Nysābūrī, *al-Mustadrak ‘alā al-Ṣahīḥayn* (Beirut: Dār al-Ma‘rifa, 1998).
- Al-Khaṭīb al-Baghdādī, *Tārīkh Baghdaḍ* (Cairo: Maṭba‘ah al-Khānjī, 1349H).
- Al-Maydānī, *Majma‘ al-Amthāl*, Muhammad Muhyiddīn ‘Abdulḥamīd (Bayrūt: Dār al-Ma‘rifa).
- Al-Qiftī, *Inbāh al-Ruwāt ‘alā Anbāh al-Nuḥāt*, Muhammad Abū al-Fadl Ibrāhīm (Ed.) (Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣriyyah, 1st Ed., 2004).
- Al-Sakhāwī, *al-Daw’ al-Lāmi‘ li-Ahl al-Qarn al-Tāsi‘* (Beirut: Dār Maktabah al-Hayāh, 1st Ed., 1991).
- Al-Shinqītī, *al-Durar al-Lawāmi‘ ‘alā Ham‘ al-Hawāmi‘ Sharḥ Jam‘ al-Jawāmi‘*, Muhammad Bāsil ‘Uyūnussūd (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1999).
- Al-Suyūtī, *Ham‘ al-Hawāmi‘ fī Sharḥ Jam‘ al-Jawāmi‘*, Ahmad Shamsuddīn (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1998).
- Al-Tirmidhī, *al-Sunan*, Muḥammad Nāṣiruddīn al-Albānī (Ed.) (Riyadh: Maktabah al-Ma‘ārif, 1st Ed., 2000).
- Ibn al-Nadīm, *al-Fihrist*, Yūsuf ‘Alī Ṭawīl (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1996).
- Ibn Ṭayfūr al-Khurāsānī, *Balāghāt al-Nisā‘*, ‘Abdulḥamīd Hindāwī (Cairo: Dār al-Faḍīlah, 1998).
- Ibn Ya‘īsh, *Sharḥ al-Mufaṣṣal* (Beirut: ‘Ālam al-Kutub).

May Yūsuf Khalīf, *al-Shi 'r al-Nisā' fī Adabinā al-Qadīm* (Cairo: Maktabah Gharīb, 1991).

Muhammad Badr Ma'bādī, *Adab al-Nisā' fī al-Jāhiliyya wal-Islām* (Cairo: Maktabah al-Ādāb).

Muhammad Sa'īd Ramadān al-Būtī, *'Ā'ishah Umm al-Mu'minīn: Ayyāmuhā wa-Sīratuhā al-Kāmilah fī Ṣafahāt* (Damascus: Maktabah al-Fārābī, 1st Ed., 1997).

Muhammad Zakī al-'Ashmāwī, *al-Ru'yah al-Mu'āṣirah fī al-Adab wal-Naqd* (Beirut: Dār al-Nahḍah al-'Arabiyyah, 1986).

'Abdulhalīm al-Wā'ilī, *Mawsū'ah Shā'irāt al-'Arab min al-Jāhiliyya ḥattā Nihāyat al-Qarn al-'Ishrīn* (Amman: Dār Usāma, 1st Ed., 2001).

'Afīf 'Abdurrahmān, *al-Juhūd al-Lughawiyah Khilāl al-Qarn al-Rābi'* *'Ashar al-Hijrī* (Riyadh: Dār al-'Ulūm, 2nd Ed., 1983).

'Umar Riḍā Kāhīlah, *A'lām al-Nisā' fī 'Ālamay al-'Arab wal-Islām* (Beirut: Mu'assasah al-Risālah, 10th Ed., 1991).



التجربة المريدية في خدمة اللغة العربية

قراءة تحليلية في العوامل والمعالم

عبد الأحمد لوح*

مُختَلِّص

يستعرض هذا البحث الدور الريادي للطريقة المريدية في خدمة اللغة العربية في السنغال، مبرزاً العوامل التي جعلت العربية جزءاً أساسياً من الهوية الروحية والعلمية للمريدين، فمنذ تأسيسها على يد الشيخ أحمد بامبا مباكي، أصبحت العربية وعاءً أساسياً لحمل مشروعه الإصلاحي، ووسيلةً مركبةً لتجديد فهم الدين ونشر تعاليمه، وذلك أن عناية الشيخ المؤسس بالعربية اعتمدت رؤية دينية وحضارية عميقة، جعلته يربط بين تعلم العربية وإحياء الدين نفسه، وهو ما تمثل في اختياراته اللغوية، وإبداعه الشعري والنشر الغير، وتأسيسه مؤسسات تعليمية جعلت علوم العربية جزءاً أساسياً من مناهجها، كما تخلّى أثره في مريديه الذين حافظوا على اللغة العربية بالتأليف، والشرح، والتدريس، والإبداع الأدبي، ويتوصّل البحث بالمنهج الوصفي ليخلص إلى أن المريدية قدّمت أنموذجاً فريداً في جعل العربية مشروعًا حضارياً متكاملاً، لا يقتصر على التعليم والدعوة، بل يمتد إلى بناء الهوية الثقافية والروحية، ويؤكد أنَّ دعم الجهود المريدية يسهم في ترسیخ مكانة العربية في السنغال وإفريقيا، ويعُدُّ جزءاً من مشروع أوسع لحماية اللغة العربية، وتعزيز مكانتها في النهضة الدينية والفكرية.

مفاتيح البحث: الطريقة المريدية، الإصلاح الديني، الهوية الثقافية، المناهج التعليمية

* مفتش التعليم العربي والإسلامي، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الشيخ أحمد الخديم، طوبى، جمهورية السنغال، abdlahadlo@yahoo.fr



The Muridi Experience in the Service of the Arabic Language: An Analytical Review of the Factors and Manifestations

Abdoulahad Lo*

Abstract

This study examines the pioneering role of the Muridi order in serving the Arabic language in Senegal, highlighting the factors that have made Arabic an integral component of the Murids' spiritual and scholarly identity. Since its establishment by Cheikh Ahmad Bamba Mbakke, Arabic has become a principal medium for carrying his reformist project and a central means for renewing the understanding of religion and disseminating its teachings. The founding cheikh's concern for Arabic was grounded in a profound religious and civilizational vision, through which he linked the learning of Arabic to the very revival of religion itself. This vision was manifested in his linguistic choices, his abundant poetic and prose production, and his establishment of educational institutions in which the Arabic sciences constituted a core part of the curriculum. His influence was further reflected in his disciples, who preserved and promoted Arabic through authorship, commentary, teaching, and literary creativity. Employing a descriptive methodology, the study concludes that the Muridi order has offered a distinctive model in transforming Arabic into a comprehensive civilizational project that goes beyond education and preaching to encompass the construction of cultural and spiritual identity. It also affirms that supporting Muridi efforts contributes to consolidating the status of Arabic in Senegal and across Africa and forms part of a broader project aimed at safeguarding the Arabic language and enhancing its role in religious and intellectual revival.

Keywords: *Muridi order, religious reform, cultural identity, educational curricula*

* Inspector of Arabic and Islamic Education, Dean of the Faculty of Islamic and Arabic Studies, Cheikh Ahmadoul Khadim University, Touba, Republic of Senegal, abdlahadlo@yahoo.fr.

مقدمة

السنغال من أبرز البلاد الإفريقية التي اضطلعت بدور رئيس في ترسیخ حضور اللغة العربية وعلومها في الفضاء الإفريقي، لما أنجبوه من علماء ومصلحين، ومؤسسات وطوائف دينية أسهمت في خدمة علوم العربية وثقافتها، منذ أن سطع نور الإسلام في مرابعها، في القرن الحادى عشر الميلادى.

وقد أدىت الطريقة المريدية - ذات النقل الديني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في السنغال وإفريقيا والعالم - دوراً مركزاً في هذا المجال الحيوى من ثقافة الأمة الإسلامية ولغتها القرآنية، منذ أن أسسها الشيخ أحمد بامبا مباكي،¹ وجعل بؤرة عنiatها بتحديد فهم الدين ومارسته في واقع حياة المسلمين، فكانت لغة الضاد من أفعل الوسائل التي اتخذها لأداء مهمته الإصلاحية.

والحق أنَّ اللغة العربية متغلبة في أعماق الدعوة المريدية واتجاهاتها ومنعطفاتها و هويتها وتراثها وملكيتها، وذلك أنها عند المريدية ليست لغة أدب فحسب، وإنما لغة علم وفکر وتربيَّة، ولغة دعوة ودبلوماسية، حفظت تعاليم الشيخ الخديم، وفکرَّه الصوفي، وأدبَّه،

¹ هو الشيخ أحمد بن محمد بن حبيب الله مباكي، مؤسس الطريقة المريدية في السنغال، ولد عام (1270هـ/1854م)، ودرس القرآن والعلوم الشرعية والعلقانية على أيدي مجموعة من أجيال العلماء السنغاليين والموريتانيين، لازم والده طيلة حياته، وكان خير معين له في التدريس ب مجالسه العلمية، وبعد وفاة والد، أُعلن دعوته التجديدية التي تسمى "المريدية" عام (1301هـ/1883م)، ثم أنشأ مجموعة من القرى والمراکز التربوية، من مثل دار السلام، وطوى، وغيرها، ثم احتمته السلطات الاستعمارية بالإعداد لشنِّنَّةِ المسلح، فاعتقلته، ونفتَّه إلى الغابون، وظلَّ في المنفى بين عامي (1895-1902)، ثم ظُفِيَ إلى موريتانيا من جديد ليقضي هنالك خمسَ سنتين بين عامي (1903-1907)، وعند إعادته إلى السنغال وضعه المستعمر تحت قيد الإقامة الجبرية مرتين؛ إحداهما بين عامي (1907-1912) في قرية تبَّين بمنطقة جولوف، والأخرى في مدينة جربل بين عامي (1912-1927)، ومع هذه القيود الثقيلة، نجحَ الشَّيخ في تربية مريديه وإصلاح مجتمعه عبر التربية والتعليم والتَّرَكِيَّة، واليوم بعد مرور قرن من رحيله، تعد طریقته الإصلاحية المريدية من أبرز الطرق الصوفية في السنغال وإفريقيا والعالم.

انظر سيرته وفکرَه في: محمد البشير مباكي، *منن الباقي القدیم* في سیرة الشیخ الخدیم، تحقیق: محمد شقرنون (الرباط: مطبعة المعرفة الجديدة، ط1، 2012)؛ محمد الأمین الدکانی جوب، *ارواه الندیم* من عذب حب الخدیم، تحقیق جمیع من المحققوین (الرباط: مطبعة المعرفة الجديدة، ط1، 2017).

وتاريخه، ومنهجه في التربية والإصلاح، علماً أن الحديث عن خدمة اللغة العربية لأي طائفة من الطوائف الإسلامية، هو في جوهره حديث عن حضور الإسلام ذاته وتجلياته في الواقع الثقافي والاجتماعي لل المسلمين، عرباً كانوا أم عجماً، وذلك أن هذه اللغة القرآنية ميراث ثقافي مشترك بين أهل القبلة بعامة، لما تحمله من طاقات إبداعية وروحية أهلتها لأن تكون وعاء لخاتمة الوحي والرسالة، فградت بذلك مظهراً من مظاهر الوحدة الفكرية والروحية لهذه الأمة المحمدية.

ومن هذا المنظور ظلت قلوب المسلمين من غير العرب معلقةً بحماية بيضة العربية وخدمتها بالدرس والتدريس، والبحث والتأليف، والشرح والتصنيف، والشعور والتفكير والتعبير، وآية ذلك تجد أقدام العجم راسخة، وأبواعهم طويلة في كثير من علوم العربية وغيرها، ففي النحو تجد سيبويه¹ جبراً راسخاً، وفي علم المعاجم يشار بالبنان إلى مجموعة من أعلام المسلمين ذوي الأصول العجمية، من مثل الجوهرى² صاحب "الصحيح"، والفيروز أبادى³ مؤلف "القاموس المحيط"، وغيرهم.

¹ هو عمرو بن عثمان بن قتيبة، إمام النحوة، ولد بقرية من قرى شيراز، يقال لها "البيضاء" من عمل فارس، حوالي عام (148هـ)، ثم قدم البصرة ليكتب الحديث، فلزم حلقة حماد بن سلمة، ثم انصرف عنه إلى ملازمته الخليل بن أحمد، وكانت له مكانة عنده، واحتل بمكانته مكانة عالمة البصرة من أمثال أبي حاتم، والأخفش بن مساعدة، ويونس بن حبيب، وقد أثارت مكانته غيرة الكسائي، وهو أحد نظرائه التحويين، فاحتال له في مجلس يحيى البرمكي في مناظرة باتت تُعرف بالمسألة الزنبوية، توفي في أعقابها بين عامي (180-183هـ)، وهو مؤلف "الكتاب" أول سفر مؤلف في علم النحو.

انظر: الزبيدي، طبقات التحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعرفة، ط2)، ج: 1: ص52.

² هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى، إمام اللغة، أحد من يُضرب به المثل في ضبط اللغة، وقد أخذ العربية عن أبي سعيد السيرافى وأبى علي الفارسي، دخل بلاد ربيعة ومضر في تطلب لسان العرب، ودار الشام والعراق، ثم عاد إلى خراسان، فأقام بنيسابور يدرس ويصنف، ويعلم الكتابة، وينسخ المصاحف، ويقال إنه مات مُتَرَدِّياً من سطح داره بنيسابور عام (393هـ).

انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرثوذك (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1985)، ج: 17: ص80.

³ هو محمد بن يعقوب، مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادى، ولد في شيراز، وتنقل بين العراق ومصر والشام قبل أن يستقر في زبيد في اليمن، وتولى فيها القضاء إلى أن توفي عام (817هـ).

انظر: إميل يعقوب، المعاجم العربية بدءاً منها وتطورها (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1985)، ص119.

وفي علم البلاغة يقف الإمام عبد القاهر الجرجاني¹ فارسًا للميدان، لا يشقُّ له غبار، ومعه جار الله الرمخشري،² والخطيب القرويبي،³ وغيرهم كثير في أقطار المعمورة وقاراها، قدِّمًا وحدِيًّا ممَّن نذروا أنفسهم لخدمة العربية بكلٍّ ما أوتوا من قوَّة وملكة. وفي السياق السنغالي كان للعلماء والأولياء فضل كبير في رعاية العربية ونشرها عبر التعليم والتأليف، غير أنَّ التجربة المريدية تتميَّز بفرادة واضحة، إذ جعلت من اللغة العربية محورًا للهوية الدينية الثقافية للمربيين، وأداة مركبة في مشروعها الإصلاحي والتربوي، ومن ثم تشير دراسة حضور العربية في التجربة المريدية تساؤلات رئيسة، من قبيل:

- ما العوامل التي تفسر عناية المريدية بخدمة العربية وتطويرها؟
- ما أبرز المعالم التي تمثِّل هذه العناية على المستويين الفردي والمؤسسي؟

إنَّ محاولة الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تمثِّل الإطار المنهجي الذي يبني عليه هذا البحث، إذ تنوَّع مادته في محورين رئيسين، يهدفان إلى تحليل العوامل المؤسِّسة لهذه العناية، واستقراء مظاهرها في الفكر والممارسة.

¹ هو أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، شيخ العربية، ولم يذكر المؤرخون شيئاً عن طفولته وأسرته ونشأته، وكثير من أمور حياته، وبتلخص ما جاء في مصادر ترجمته أنه أشعري، شافعي، نحوبي، بيانيٌّ متكلِّمٌ فقيه، مفتيٌّ، شاعر، من مؤلفاته "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، ويرجح أن وفاته كانت عام (471هـ).

انظر: الذهي، سير أعلام النبلاء، ج 18: ص432.

² هو أبو القاسم، محمود بن عمر الرمخشري، من علماء اللغة والتفسير والبلاغة، كان معتزلياً، حنفي المذهب، وقد برع في علوم اللغة العربية والبلاغة والتفسير، ولقب "جار الله" لملارمته مكة المكرمة، توفي في ليلة عرفة عام (538هـ). انظر: محمد أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الرمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية** (بيروت: دار الفكر العربي)، ص22 وما بعدها.

³ هو جلال الدين أبو المعالي، عبد الله بن محمد، ولد في الموصل، وفي دمشق عُرف بالفقه واللغة والبلاغة والقضاء والخطابة، وتُعد شهرة لقبه "الخطيب" إلى خطابته في الجامع الأموي بدمشق، ومن أهم كتبه "الإيضاح" و"تلخيص المفتاح"، وتوفي في دمشق عام (739هـ).

انظر: الخطيب القرويبي، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2002)، ص.8.

العوامل المفسرة عنابة المريدين بخدمة اللغة العربية

تعيش العناية باللغة العربية في المنظومة المريدية امتداداً طبيعياً للعنابة التي أولاها مؤسس الطريقة، الشيخ أحمد بامبا مباكي، لهذه اللغة المقدسة، إذ أدرك أنَّ محبة العربية هي في جوهرها محبة للإسلام نفسه، لما بينهما من ارتباط وثيق على مستوى المرجعية والقيم، فالعربية في الوعي المريدي ليست مجرد وسيلة تواصل، بل لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي الأداة التي حملت الوحي وبلغت الرسالة، مما جعلها محوراً رئيساً في مشروع الشيخ الإصلاحي والدعوي.

وقد عبرَ الشيخ الخديم عن هذه الرؤية بقوله:¹

كتني الكتابُ والحديثُ والأدبُ لا جمَعٌ فضَّةٌ ولا جمَعٌ ذَهَبٌ

وقوله:²

بخدمَةِ الكِتابِ والْحَدِيثِ يَبْثُتُ لَا بِذَهَبٍ مُورُوثٌ

فعنایته بالعربیة لم تکن غایةً أدیبیةً صرفاً، وإنما وسیلةً لترسیخ الدین وتجدید فهمه في واقع المسلمين، وهو ما بز بوضوح عند مريديه الذين ساروا على نھجه واعتنوا بما عني به، وجعلوا من خدمة العربیة جزءاً من رسالتهم الروحیة والعلمیة، وعند النظر في مظاهر هذه العناية، يمكن تفسیرها عبر جملة عوامل، هي:

1. تنویه الشيخ الخديم بمکانة العربیة في الإسلام وفي دعوته:

ما من لغة إلا تحتاج في تعمیلها إلى كبار المفكّرين المصلحين والعلماء المتعمّقين في المعرفة، الذين قطعوا شوطاً بعيداً في إتقان الصناعتين؛ الكتابة والشعر، والشيخ أحمد بامبا - في رأينا - ينتمي إلى هذه الدائرة من علماء الأمة، وذلك أنه كان واعياً بأنَّ النهضة الدينية والفكرية

¹ الشيخ أحمد بامبا مباكي، من قصيدة "فتح المکرم في أمداح المکرم"، دیوان سعادات المريدين في أمداح خیر المسلمين (طبوی: مطبعة ومکتبة الشيخ الخديم، د.ط، د.ت)، ص 183.

² المراجع السابق، ص 195.

لا يمكن أن تتحقق إلا عبر استعادة الصلة الوثيقة بلغة القرآن الكريم، لذلك نجد أن دعوته إلى تعلم العربية تستند إلى رؤية دينية عميقة ترى في فقه اللغة طرifice إلى فقه الدين، وهو في ذلك يستأنس بما روي عن عمر بن الخطاب عليهما السلام: "تعلّموا العربية فإنّها من دينكم، وتعلّموا الفرائض فإنّها من دينكم" ،¹ ويرى أنَّ أباً حفص عليهما السلام كتب إلى أبي موسى الأشعري عليهما السلام: "أما بعد، فتفقّهوا في السنة، وتفقّهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنّه عربي" .²

ولا شكَّ في أنَّ كلام الفاروق عليهما السلام يعني أنَّ فقه اللغة العربية مما يعين على فقه تعاليم الإسلام، "لم يزل الخلفاء الراشدون بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحثُّونَ على تعلم العربية وحفظها والرِّعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، والخليل المخصوص..." .³ وهذه المقدمة الدينية للعربية تؤكّد أنَّ ما سَمَّاه ابن خلدون "علوم اللسان العربي" ،⁴ "معرفتها ضرورية على أهل الشريعة؛ إذ مأخذ الأحكام الشرعية كُلُّها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونَقَلُّها من الصحابة والتابعين عرب، وشُرُّع مشكلاتها من لغاتهم، فلا بدَّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان ملنَّ أراد علم الشريعة".⁵

وقد تبلورت هذه الصبغة الدينية للعربية قبل عصر ابن خلدون، فيما أثاره أبو إسحاق الزجاجي من تساؤلات وتقريرات منهجية تؤكّد ارتباط لغة الضاد وعلومها بفهم الإسلام ومصادره التشريعية.⁶

¹ ابن تيمية، *اقتضاء الصراط المستقيم لخلافة أصحاب الجحيم*، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل (جدة: دار إشبيلية، ط 2، 1998)، ج 1: ص 527 وما بعدها.

² السابق نفسه.

³ القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنسا*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1987)، ج 1: ص 205.

⁴ جعلها أربعة؛ هي اللغة، والنحو، والبيان، والأدب.

⁵ ابن خلدون، *المقدمة*، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (دمشق: دار البلخي، ط 1، 2024)، ج 2: ص 367.

⁶ انظر: الزجاجي، *الإيضاح في علل النحو*، تحقيق: مازن المبارك (بيروت: دار النفائس، ط 5، 1986)، ص 41.

ولست أشكُ أبداً في أنَّ الشيخ الخديم اعتنق هذه النظرة الدينية إلى العربية، على مكانته في حماية بيضة الدين، إذ قال في منظومته "مواهب القدس" مقتبساً بيت ابن بونا:¹

العالم الحائز جمَّ الفضلِ
وابن بونا الفحلِ
وربَّ كفرٍ ناشئٍ مسبِّبٍ
عن جهلِ شخصٍ بلسانِ العربِ

فجهل اللغة العربية - من منظور الشيخ - أحد أسباب الانحراف عن جادة الدين، والوقوع في الكفر المستعاد بالله منه، والأدلة والشاهد على هذه الحقيقة مبثوثة في التراث الإسلامي، ومن ذلك قصة الأعرابي الذي قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب رض، فأخطأ في إعراب آية، ثم رفع أمره إلى الخليفة، فقال الأعرابي: "يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة لا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: إِنَّ اللَّهَ بِرِيَءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ، فقلت: أو قد بريء الله تعالى من رسوله؟! إن يكن الله تعالى بريء من رسوله، فأنا بريء منه"، فقال عمر رض: "ليست هكذا يا أعرابي"، فقال: "كيف هي يا أمير المؤمنين؟"، فقال: ((إِنَّ اللَّهَ بِرِيَءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ))، فقال الأعرابي: "أنا والله أبدأ من بريء الله رسوله منهم"، فأمر رض لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة العربية.³

ومن أجل هذه المكانة الدينية أظهر الشيخ عناية خاصة بالعربية، وبخاصة في سياق مقاومته الغزو الثقافي الوافد من المستعمر الفرنسي، إذ نجد في كتاباته دعاء يقول فيه: "اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حُلْ بِيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ مَنْ لَمْ يَجِيَّنِي، وَاشْهِدْ لِي بِأَنِّي أَتَعْلَمُ وَأَعْلَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَبِأَنِّي لَا أَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ بِحُرُوفِ الْمَصَارِيِّ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ" ، ويقول في مقدمة قصيدة أخرى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، اشْتَرَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ خَلِيلَهُ حَبِيبَهُ كَاتِبَهُ هَذِهِ الْحُرُوفِ التَّعْلُمُ بِغَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ، بِالْتَّعْلُمِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ غَيْرُ لِسَانِ الْعَرَبِ فِي التَّعْلُمِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ التَّعْلُمَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَنَدَبَهُ لَهُ، وَأَبَاحَهُ لَهُ...".⁴

¹ الشيخ أحمد بامبا مباكي، من قصيدة "مواهب القدس في نثر نظم شيخنا السنوسي"، ديوان العلوم الدينية، جمع وعناية: الرابطة الخديمية للباحثين والدارسين (بيروت: دار الأمان، ط1، 2019)، ص.81.

² اسم الكتاب "وسيلة السعادة في نشر ما تضمنه الشهادة: منظومة في علم التوحيد وما يجب الإيمان به" ، للشيخ المختار ابن بونا.

³ الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي (عمان: مكتبة المنار، ط3، 1985)، ص.19.

⁴ الشيخ أحمد بامبا مباكي، ديوان القصائد المقيدة بالأيات القرآنية (طوبى: مكتبة ومطبعة الشيخ الخديم، 1395هـ)، ص.126.

وكان قلبه ينفر من لغة القوات الفرنسية المحتلة، وهو القائل:¹

العربي وظفرت بالحسان
لسانى احتمى عن اللّغة
والحقيقة التي تجلّت من هذه النصوص مجتمعة أنَّ الشيخ أحمد بامبا لم يكن يساوي
بالعربية لغة، بل خصَّ كتاباته لخدمتها، وما يؤكِّد ذلك قوله:²

رفعت خطبي إلى تعريفِ العربيةِ بلا تحريرِ
ولا شكَّ في أنَّ هذا الإكبار للعربية إنما يرجع إلى اصطباغها بالإسلام وقيمه التي
كان الوجود الاستعماري يهُدُّها، ويسعى إلى إحلال قيم الحضارة الغربية محلها، ولذلك نرى
في كتابات الشيخ أحمد بامبا نصوصاً تكشف عن إيمان عميق لديه بأنَّ العربية ليست لغةً
فحسب، بل عقيدة وهوية ودرُّ واقٍ من الغزو الثقافي، فيقول:³

العربيةُ غدتْ لي جنةً عن العدا وجنَّةً للجنةِ
ويقول أيضاً:⁴

قراءةُ القرآنِ صارتْ جنةً عن العنا وجنَّةً للجنةِ
ويقول كذلك:⁵

محمدُ وسيليٌ وحُنْتِي عن الأذى إلى دُخولي جَنْتِي
ولنلمس في النصوص السابقة أمراً عجيباً؛ أنه يقرن العربية بما يقرن به القرآن ومحمدًا
ﷺ، وفي ذلك ما فيه من الإعظام والإكبار للعربية في هذا العامل الأول.

¹ المرجع السابق، ص.70.

² المرجع السابق، ص.277.

³ المرجع السابق، ص.334.

⁴ المرجع السابق، ص.587.

⁵ الشيخ أحمد بامبا مباكي، من "قصيدة مطرزة بحروف أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق"، ديوان القصائد المطرزة بغير الآيات القرآنية (طوبى: مكتبة ومطبعة الشيخ الخديم، ط.2، 1985).

2. اختيار الشیخ المؤسس العربیة لغةً ثقافیةً وتریویةً

لم يكن اختيار الشیخ احمد بامبا اللغة العربیة تفضیلاً لغویًّا فحسب، بل كان قراراً إستراتيجیاً ذا بعدٍ دینیٍّ وحضاریٍّ، إذ كان بإمكانه أن يعتمد اللووفیة - لغة قومه - لغة علمیةً، ولكنه اختار العربیة لإنتاج مؤلفاته وإبداعاته الفکریة والأدیبة؛ من توحید، وفقه، وتصوّف، وأدب، وتریة، وأخلاقٍ، وقد مثلَ هذا التوجّه في قوله:¹

جاورث ربی بلسان العرب بلا نهاية وطابت قری

وأضفت الطابع العربی على تسمیة كلٍّ ما یمُت بصلة إلى بيته الروحیة والاجتماعیة، مع أنه كان بالإمكان أن تكون هذه المسمایات إسلامیة لا عربیة، ولكنه أرادها إسلامیة وعربیة، في إشارة رمزیة إلى وحدة الدين واللغة في رؤیته، فقد سمى بالعربیة مثلاً:

- **أولاده ذکوراً وإناثاً:** محمد المصطفی، محمد الأمین، محمد الفاضل، محمد البشیر، محمد المرتضی، عبد الله، عبد الأحد، عبد الصمد، عبد القادر، صالح، وفاطمة، عبد القدوس، عبد الرحمن، عائشة الكبرى، عائشة الصغری، وخدیجة، ومیمونة الكبرى، ومیمونة الصغری، ومؤمنة، مسلمة، ومحسنة، وآمنة، وسالمة، فهؤلاء وغيرهم من أولاده يحملون أسماء عربیة، وقد كان بإمكانه أن يختار لهم أسماء إفریقیة لا تتعارض مع العقیدة الإسلامیة.

- **مساکنه وقری المريدين:** طوبی، ودار السلام، ودار القدوس، ودار المنن، ودار الرحمن، ودار العلیم الخبر، والبقة المبارکة، ودار المعطی، وحسن المآب، ودار الكريم، ودار الخدیم، والتّنعیم... إلخ، وكلُّها في محیط مدينة طوبی، العاصمة المريدية. وما نستله من تجربة الشیخ الخدیم، أن تمسّکه بالعربیة على هذا النحو رسالة موجّهة إلى المريدين، توضیح مكانة اللغة العربیة، وتنبیههم على أن دراستها واجبة، وأن التعمق فيها ضروري لفهم فکرہ الإصلاحی، فاختیار الشیخ للغة العربیة، على مکانته العلمیة والدينیة والأدیبة، خدمة جلیلة للعربیة، ونوع من الدعوة الضمنیة إليها، وهذه الدعوة قد

¹ بامبا مباکی، من قصيدة "جاورت الله بكتابه إلى دخولي جنته"، دیوان القصائد المقیدة بالأیات القرآنیة، ص 47.

استجاب لها المريدون في عصره ومن لحقه، فأكثروا على تراثه المدون بالعربية دراسةً وتدريساً، وشرحاً وكتابةً، شعراً ونثراً، ثم بلغوا ذلك إلى غيرهم بشتى الوسائل الممكنة، كل ذلك اقتداءً بالشيخ قائد الطريقة، على شاكلة قول لبيد بن ربيعة العامري:¹

مِنْ مَعْشَرِ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

إذن تحولت العناية بالعربية في الطريقة المريدية إلى ممارسة علمية وتربيوية مستمرة، جعلت من العربية لغة العلم والتربية والهوية في آنٍ معًا، وهذه الجهود المخلصة في التعامل مع لغة الضاد وتبلیغها ونشرها في أوساط المريدين؛ مؤشراتٌ وشواهدٌ من واقع حياة المريدية.

من شواهد خدمة المريدية اللغة العربية

أثرت العوامل المفترضة عناية المريدية باللغة العربية آثاراً علميةً وثقافيةً جليلةً، أسهمت في ترسیخ مكانة هذه اللغة في المجتمع السنغالي، وجعلت من الطريقة المريدية أنموذجًا فريداً في الجمع بين الدعوة الدينية وخدمة اللسان العربي، وتمثل هذه الآثار في مجموعة من الشواهد العملية والمعالم الواقعية التي يمكن تصنيفها في المجالات الآتية:

1. موقف مؤسس الطريقة المريدية:

بعدُ الشیخ أَحْمَد بَامْبَا مِبَاكِي - مؤسس الطريقة المريدية - من أبرز رواد الإصلاح اللغوي والأدبي في منطقة إفريقيا الغربية، ومن الشواهد الدالة على ذلك:

(أ) الالتزام بالجودة العالية في خطابه الأدبي:

اشتهر الشیخ أَحْمَد بَامْبَا بحرصه الشديد على الجودة الأدبية والبيانية في خطاباته وشعره، بل كان يلحُّ في أدبه على إظهار نعمة الله عليه في البلاغة والبيان وفصاحة اللسان في استعمال العربية، يقول، رضي الله عنه:²

سَلَبَ لِي نُورَ الْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ مَعَ الْمَعَانِي اللَّهُ رَبُّنَا الْبَدِيعِ

¹ دیوان لبید بن ربيعة العامري، تحقیق: حمدو طمّاس (بیروت: دار المعرفة، ط1، 2004)، ص116.

² بامبا مباكی، دیوان القصائد المقيدة بالآيات القرآنية، ص191.

ويقول أيضًا:¹

أَزْمَانَ خَدْمَتِي النَّبِيُّ الْعَرَبِ
مَلَكِي نُورَ لِسَانِ الْعَرَبِ

وهذه الملكة الأدبية الحارقة ليست وليدة المصادفة، وإنما ثمرة لاجتهاده في توظيف الأدوات البلاغية والفنية التي تمنح الخطاب الأدبي بعدها جمالاً مؤثراً؛ ولذلك نراه يكثّر من ذكر النزوميات، والجناس، والنحو، والعرض، وغيرها مما يولّد الجمال والنكهة والتأثير في الشعر والأدب، كقوله:²

بَارِكْ لِيَ اللَّهُمَّ فِي لُرُومَيِّ
وَرِيْ جَنَاسِيِّ بِذِي الْحِيْزُومِيِّ
وَقُولَهُ أَيْضًا:³

لَمْ تَنْخُ حَنْوَيْ وَلَا عَرْوَضِيِّ
وَلَا بَيَانِيْ آفَةُ الْقَرِيْضِ
وَقُولَهُ كَذَلِكَ:⁴

زِنْتُ لَهُ قَصَائِدَ الْأَمْدَاحِ
وَقَتَ افْتَقَارِيْ لَامْتَلَا أَقْدَاحِيِّ
وَقُولَهُ آخِرُهُ هو:⁵

زِنْتُ لَهُ أَبْكَارَ أَمْدَاحِ لَدَىِ
مَنْ جَهَلُوا شَأْنِي وَصَفَا الْخَلْدَ
لَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ الْخَدِيمُ يَرِيْ أَنْ تَفْوُقَهُ فِي الشِّعْرِ وَالْبَيَانِ نَعْمَةٌ إِلَهِيَّةٌ تَسْتَوْجِبُ الشَّكْرَ،
فَقَالَ مُتَحَدِّثًا بِنَعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ:⁶

يَقُوْدُ لِي النَّحْوُ مَعَ الْعَرْوَضِ
مَا أَعْجَزَ الْعَرَبَ فِي الْقَرِيْضِ

¹ بامبا مبакي، من "قصيدة مطرزة بحروف بألف وسين وشين وميم وسين وشين"، ديوان القصائد المطرزة بغیر الآيات القرآنية، ص127.

² الشیخ أَحمد بامبا مبакي، دیوان الفیوضات الربانیة، ص134.

³ بامبا مبакي، دیوان القصائد المقيدة بالآيات القرآنية، ص152.

⁴ المرجع السابق، ص140.

⁵ المرجع السابق، ص164.

⁶ بامبا مبакي، من "قصيدة مطرزة بحروف بألف وميم وسين وشين وميم وسين وشين"، ديوان القصائد المطرزة بغیر الآيات القرآنية، ص128.

وقد شهد له معاصره ومن بعدهم بهذا التميز، ومن أبرزهم الشاعر الموريتاني المفلق محمد الفاضل بن أحمد دليل العقوبي،¹ الذي قال مادحًا الشيخ ومشيرًا إلى تفوقه الأدبي:²

والجُودُ والسخاءُ عندَ الْكَرْبَلَاءِ	النَّحْوُ وَاللُّغَةُ عِلْمُ الْعَرَبِ
أَحْمَدُ بْنُ بَنْبُونَ عَلَى الْرَّتْبِ	شِيمَتُهُمْ، فَجَاءَهُمْ ذُو الْرَّتْبِ
فَسَلَبَ الْجَمِيعَ أَيَّ سَلَبَ	نَجْلُ حَبِيبِ اللَّهِ ذُو التَّأْدُبِ
إِلَّا عَشِيرَةُ النَّبِيِّ الْأَنْجَبَ	مِنْهُمْ فَصَارُوا مَعَهُ كَالْخَشَبِ
أَفِيَحْلُ لَكَ ظُلْمُ الْعَرَبِ	أَحْمَدُ بْنُ بَنْبُونَ يَا أَخَا التَّقْرُبِ
وَأَخْذِ جَوْدُهُمْ بَغْيَ وَدَبِّ؟	بَا أَخْذِ نَحْوَهُمْ وَأَخْذِ الْأَدَبِ

ومن الواضح البين أنَّ هذا التفُّوق الفني المشهود أثَّرَ في المريدين، فصاروا يتذَوَّقون البيان العربي في شعر الشيخ الخديم، ويقتبسون من فَهَّ في نثرهم، مما رَسَخَ حضور العربية في ثقافتهم الأدبية والروحية.

(ب) إدراج علوم العربية ضمن المقررات التعليمية إلى جانب المواد الشرعية:
من أقوى الشواهد على العناية الفائقة التي توليهها الطريقة المريدية لخدمة اللغة العربية، المكانة
المحورية التي تتبوأها علوم العربية في المقررات التعليمية للمؤسسات التعليمية المريدية، وذلك
منذ عهد المؤسس إلى يوم الناس هذا، فهي جزء لا يتجزأ من تكوين المريد علمياً وروحياً.

وعلاوة عن ذلك عرض الشيخ أحمد بamba مبакي في كتاباته التربوية وصفاً دقيناً لمكونات المقررات الدراسية في معاهده الدراسية، فجعل لعلوم العربية فيها مكانة مرموقة تتبيّن في قوله يخاطب الشبان، بعد أن ذكر العلوم الشرعية؛ من توحيدٍ، وفقهٍ، وتصوّفٍ:³

وبعدها لا بد من آلات البحث في الحديث والآيات
كالنحو والعرض والبيان
ولغة العرب والمعاني

¹ هو ابن أخت الزعيم القادرى الموريتانى الشيخ سعد أبيه.

² جمع من الشعراء الموريتانيين، دواوين شعراء أهل الزوايا الموريتانيين في مزايا الشيخ الخديم (طوي: مكتبة ومطبعة الشيخ الخديم)، ص. 401.

³ باميا مياكي، *ديوان العلوم الدينية*، ص 538 وما بعدها.

ويظهر من هذه الأبيات أن علوم الآلة (المواد اللغوية) تتعالى جنباً إلى جنب مع علوم الغاية (المواد الشرعية) في مقررات المعاهد الميدانية، بل تتلاقي أحياناً عند الميدان التسميات الواصفة للمجالين، فتذكّر العلوم الشرعية واللغة العربية مندرجة فيها، كما تذكّر علوم العربية فتدرج فيها العلوم الشرعية.

وبعيد وفاة الشيخ أحمد الخديم، وجّه العلامة الشيخ مبакي بوسو¹ أحد الميدان المقربين إليه، رسالة إلى الحاكم العام لمنطقة إفريقيا الغربية التابعة لفرنسا، وهو آنذاك السيد جيل بريفيه (Jules Brévié)²، وفحوى الرسالة أنَّ الشيخ أحمد بامبا - عند وفاته عام (1927) - "لم يبق له من حوائج الدنيا إلا ثلث، ألا وهي المسجد الجامع... ورحلة الحج... ومدرسة تكون رحلة السنغال إليها في العلوم العربية شرعاًيتها وآلاتها"³، وهذا هنا جعل الحاج مبакي بوسو العلوم العربية شقين؛ العلوم الشرعية، والعلوم العربية، أي إن العلوم العربية هي التي تحضن العلوم الشرعية، وتعالى عن المقررات التعليمية بمعاهد الميدان وفق تصوّر المؤسّس وما طبّقه في حياته.

ويتضح من تحليل هذه النصوص أنَّ الشيخ أحمد بامبا كان ينظر إلى علوم اللغة العربية على أنها أدوات أساسية لفهم النصوص الدينية واستنباط معانيها، وهو ما يبرز عمق وعيه التربوي والمعرفي، وقد ظل هذا التصوّر حاضراً في المناهج التعليمية للمؤسسات الميدانية حتى اليوم.

(ج) تأليف الكتب باللغة العربية:

خلف الشيخ مؤلفات غزيرة باللغة العربية، شملت مختلف العلوم الإسلامية، من مثل العقيدة، والتصوّف، والفقه، واللغة، والأدب، وتكشف هذه المؤلفات عن عنایته العميقه بتربية جيل من العلماء والأدباء الذين يجعلون العربية وثقافتها محور هويتهم الفكرية.

¹ عالم متبحر في عدة فنون علمية من فقه ولغة وأدب وفلك، وهو ابن خال الشيخ الخديم، وابن عمته، وكان من أوائل من بايعوا الشيخ، ولازموه طويلاً، مؤدياً دور التعليم والتربية والقضاء والإفتاء إلى أن توفي عام (1945).

² كان حاكماً عاماً لمنطقة غرب إفريقيا بين عامي (1931-1936).

³ الحاج مبакي بوسو، رسالة مخطوطة.

ومن جهة أخرى، من الصعب حصر ما أنتجه الشيخ الخديم باللغة العربية في العقيدة، والتصوّف، والفقه، والمذاهب، والقرآنات، والفيوضات الربانية، وغيرها من الفتاوى، والوصايا، والحكم، والمراسلات، والكرامات، وقد أَلَفَ في مجال اللغة العربية مؤلفات عالية الجودة، من أبرزها:

- منظمته "سعادة الطلاب".

- شرحه على "نَزَهَةِ الظَّرِيفِ" للعلامة إدِيْجِ الْكَمْلِيِّ.

ولهذه المؤلفات أثر بارز في تكوين النخب من يجمعون بين الإيمان والبيان.

(د) تكوين الأطر المثقفة ورعاية النخبة العلمية:

الحقُّ أن العناية بالعربية لم تكن من أجل التسلية الأدبية المُؤْفَّقة، وإنما من أجل المقاومة الثقافية، والتربيّة على القيم، ومن أجل ذلك نجد أن الشيخ الخديم قد أنشأ مؤسسات تعليمية لتكوين نخب وأطر مثقفة ثقافة علمية وأدبية تصاحب دعوته الإصلاحية، من حيث الالتزام، والترويج، والنشر، والتبلیغ عن علمٍ وبنیةٍ، ويضيق المقام عن ذكر جميع المدارس التي أشرف الشيخ على إنشائها في حياته، نختار منها نماذج تمثّل المدارس الأخرى، على شاكلة مدرسة أخيه الشيخ إبراهيم فاط مباكي التي نجحت في تأليف النخب في أوقات الغيبة البحريّة والبرية للشيخ أحمد بامبا، ومن تخرج في هذه المدرسة من علماء المريدية وأدبائها:

- العالمة الأديب الشيخ مختار بنت لوح.¹

- الشيخ مور فالو سي.²

- الشيخ إمبانجي نجاي.³

¹ أحد مريدي الشيخ أحمد بامبا مباكي، ولد عام (1875)، وباع الشيخ أحمد الخديم أوائل عام (1895)، ولازمه ابتداء من عام (1903)، وتوفي عام (1949).

² من مريدي الشيخ أحمد بامبا مباكي، الذين بايعوه قبيل نفيه إلى الغابون، فبقي متربّاً متعلّماً عند الشيخ إبراهيم فاط مباكي، ثم لازم الشيخ الخديم بعد عودته من الغيبة البحريّة، وقد توفي عام (1950).

³ من مريدي الشيخ أحمد بامبا مباكي، ولد عام (1874)، وباع الشيخ الخديم قبيل نفيه إلى الغابون، فبقي متربّاً متعلّماً عند الشيخ إبراهيم فاط مباكي، ثم لازم الشيخ الخديم بعد عودته من الغيبة البحريّة، وقد توفي عام (1956).

- الخليفة الأول للمریدین الشیخ محمد المصطفی مبکی ابن الشیخ احمد بامبا.
- الخليفة الثاني الشیخ محمد الفاضل مبکی ابن الشیخ احمد بامبا.
- والأخیران کلاهما شاعر مفلق، وأدیب متقن،¹ وغير هؤلاء کثیر، وقل مثل ذلك في مدرسة غیدی بوسو عند العالمة الشیخ الحاج مبکی بوسو الذي أله نخبة من علماء المريدية، سواء أکانوا من أولاده، أم من أولاد ذوی القری، ويمكن أن نذكر منهم أبناءه الثلاثة الذين عاصروا الشیخ الخدیم، واختلطوا به في أواخر أيامه، وهم:
 - الشیخ محمد بوسو.
 - الشیخ مولای علی بوسو.
 - الشیخ حسن بوسو.

ونحو هذا تجده عند مدرسة الشیخ مام مور جار مبکی،² الشیقیق الأکبر للشیخ احمد الخدیم، الذي خرج کثیراً من علماء المريدية الذين أخلصوا للعربية بموافقتهم الجلیلۃ.

2. مواقف علماء المريدية في خدمة اللغة العربية:

على غرار المؤسس حمل علماء المريدية مشعل العربية على الصعید الفردي والمؤسسی، ويمكن قراءة هذه المواقف عبر عدة مجالات؛ موقف المؤسسات التعليمية، وموقف الكتاب المؤلفین، وموقف الشعراء المبدعين.

(أ) موقف أصحاب المؤسسات التعليمية:

من أجل نشر اللغة العربية وتعزيز مكانتها في البلاد ولدى العباد، وفي سياق العناية بمهمة التربية وبالمقاومة الثقافية، عنيت الطائفة المريدية بإنشاء مؤسسات تعليمية مولدة ذاتیاً تولّت تمثیل عنایة الشیخ بالعربية والدين ونقله إلى واقع معيش، وذلك عبر النماذج التعليمية المختلفة المتاحة في كل عصر، وعلاوة عن المدارس القرآنية، أنشئت مجالس ذات تأثير بالغ كما في:

¹ انظر إنتاجهما الأدبي في: أکادیمیة الشیخ محمد المصطفی إمباکی لدراسة التراث المريدي، الشیخ محمد المصطفی إمباکی: النموذج الأمثل (الرباط: مطبعة المعرفة الجديدة، ط1، 2014)؛ اللجنة الثقافية التابعة لدائرة أحفاد الشیخ محمد الفاضل، حدائق الفضائل في سیرة الشیخ محمد الفاضل (بیروت: دار الفکر، ط1، 2023).

² هو محمد بن حبیب الله، الشیقیق الأکبر مؤسس الطریقة المريدية، الشیخ احمد الخدیم، وهو من علماء بلاد السنغال العاملین المجهودین، وهو من مریدی الشیخ والمقریین إلیه، توفي عام (1921).

- مدرسة الشيخ محمد الأمين جوب الدغاني، أمين سر الشيخ وكاتب سيرته.¹
- مدرسة الشيخ محمد ديم² في جربيل.
- مدرسة الشيخ محمود مباكي كوسو.³
- مدرسة الشيخ حبيب الله مباكي⁴ التي كانت تشبه جامعة تخرج العلماء، وتكون القادة من مشايخ المريدية وعلمائها.
- دار المعارف الإسلامية في المسجد الجامع في مدينة طوبى، التي أدّت دوراً بارزاً في تكوين الأطر المريدية بالعربية.
- مجالس الشيخ صالح مباكي⁵ ولا سيما مجالس خلقوم.
- مدرسة الشيخ عبد الرحمن عبد القدوس.⁶
- معاهد الأزهر.⁷

¹ من المريدين الذين يابعوا الشيخ الخديم قبل إقامته في موريتانيا، ومن ثم لازم الشيخ وتولى أمانة سره، وكان أديئاً بارعاً بدليل أنه كتب سيرة ذاتية تُعدُّ من أكبر مصادر حياة الشيخ الخديم.

² من العلماء المقربين إلى الشيخ الخديم من المريدين، وبخاصة في مرحلة جربيل، حيث تولى تعليم نخبة من علماء المريدية، في عهد المؤسس وفيما بعده.

³ هو ابن العالمة الشيخ إبراهيم فاط مباكي، أخي الشيخ الخديم، وبعد تكوين قوي في مجلس والده، انخرط في سلك التربية والتعليم، وكان له مجلس تعليمه في قرية كوسو، حيث جمع صفوته من علماء الطريقة المريدية.

⁴ كان في مرحلة شبابه عندما توفي الشيخ الخديم عام (1927)، ولكنه كان من المتفوقين في الدراسة والتحصيل، ويعُدُ مجلسه التعليمي في طوبى مركزاً تخرج فيه عدد من علماء الطريقة.

⁵ هو ابن الشيخ أحمد بامبا مباكي، وخامس خلفائه، ولد عام (1915)، وتولى الخلافة بعد وفاة أخيه الشيخ عبد القادر مباكي عام (1990)، وتوفي في (28 ديسمبر 2007).

⁶ من علماء الطريقة المريدية الذين كرّسوا حياتهم للعبادة والتربية والتعليم، ولعله من أوائل من اكتشفوا فوائد التعليم عن بعد، فقد كان يسجل دروسه المتعلقة بالمتون والمقررات، والمشروحة باللغة المحلية، فينشرها الناس ويستفيد منها قطاع عريض من المتعلمين، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساء، توفي عام (2022).

⁷ أنشأها الشيخ محمد المرتضى مباكي، ابن الشيخ أحمد بامبا عام (1974)، وأطلق عليها اسم "الأزهر"، وقد أدت شبكة هذه المعاهد المنتشرة داخل السنغال وخارجها - وما زالت تؤدي - دوراً عظيماً في تكوين الأطر والنخب السنغالية في الخمسين سنة الماضية، بل تطورت مؤسسة الأزهر، فأصبحت تمتلك جامعة كبيرة تتبعها فروع في بعض المدن السنغالية، ألا وهي جامعة الشيخ أحمد بامبا مباكي التي أنشأها فضيلة الشيخ مام مور مباكي، ابن الشيخ محمد المرتضى، بُعيد وفاة والده، رضي الله عنه.

- مدارس الشيخ أحمد مباكي.¹

وغيرها من المدارس والجالس الحديثة المنتشرة في آفاق السنغال ومدحها، ناهيك عن جامعة الشيخ أحمد بامبا،² وجمعية الشيخ أحمد الخديم بمكوناته كلها.³ ففي هذه المؤسسات جميعها نجد للمواد والمصنفات اللغوية التي تكون الأطر المتفقة، مكانة رئيسة ضمن المقررات جنبا إلى جنب مع المواد الشرعية، ومن ذلك:

- "مقدمة الآجرمية".⁴- "متلهمة الآجرمية".⁵

¹ مؤسسة تعليمية واسعة الانتشار وعظيمة الأدوار، أنشأها الشيخ أحمد بامبا مباكي، ابن الشيخ محمد المصطفى، ابن الشيخ أحمد بامبا مباكي، وذلك عام (1959)، وهي أول مؤسسة تعليمية عصرية في رحاب الطريقة الميدانية، ثم إنها نجحت في تكوين عدة أطر متفقة في السنغال منذ نشأتها إلى اليوم.

² جامعة أنشأها الشيخ مام مور مباكي، ابن الشيخ محمد المرتضى مباكي منذ عام (2008)، وتنشر فروعها ومراكزها الجامعية في المدن السنغالية؛ طوبى، وداكار، وبامباي، وسان لوبي، وتجمع بين التعليم الشرعي والتعليم العصري، وخصصت لكل مركّز جامعيّ برتاجاً يتلاءم مع الظروف البيئية والحقائق الاجتماعية والمهنية للمكان، حيث ينخّص مركّز دكار في مجالات شتى، منها الكهروميكانيكي، والإدارة المعلوماتية، وإدارة المؤسسات والأعمال، والمحاسبة، وينخّص مركّز بامبي في مجال التنمية الريفية، أمّا مركّز طوبى (صوري) فيحتضن كلية العلوم الدينية والإنسانية والحضارات، وينخّص مركّز سان لويس في تقنية صناعة الأغذية والصيّد وتربيّة الأحياء المائية.

³ مجمع الشيخ أحمد الخديم، أنشأه الخليفة الحالي للميدانية الشيخ محمد المتقى مباكي، حفظه الله ورعاه، فور تسلمه مقايد الخلافة، وجعله أنموذجاً مصرياً لما سيكون عليه النظام التربوي الميداني الذي يبدأ من القاعدة إلى القمة، إذ يضم معهداً فرائياً، وجالس علمية، ومركز تكوين مهني، وجامعة بها كليات عدة ومتعددة، افتتحت عام (2023) بكلية ومعهد تطور سريعاً إلى كلية، ثم توسيع الكليات وتضيّع حالياً بالإضافة إلى المعهد القرآني وقسم الجالس الكليات التخصصات الآتية:

- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقسميها.

- كلية العلوم والمهن الصحية.

- كلية العلوم الزراعية، وهي تجسيد لمكانة الزراعة في الميدانية وفي السنغال بعامة.

- كلية المهن والتقانة، لتطوير بعض المهن مواكبة للعصر والتطور.

- معهد اللغات ومهن الكتاب.

- مركز التكوين المهني.

وهذا المزج بين الأصالة والمعاصرة هو الذي أتاح القيمة الإضافية، والجودة والنوعية لهذا النظام.

⁴ متن في النحو، ألفه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود الصنهاجي، المعروف بابن آجروم المتوفى سنة (723هـ).

⁵ كتاب في النحو ألفه العالمة الشيخ محمد بن محمد الرعبي المالكي المكي، المعروف بالخطاب المتوفى سنة (954هـ).

- "سعادة الطالب".¹
- "ملحة الإعراب".²
- "نزهة الطريف".³
- "لامية الأفعال".⁴
- "الاحمرار".⁵
- "ألفية ابن مالك".⁶
- "قصورة ابن دريد".⁷
- "دالية اليوسي".⁸
- "مقامات الحريري".⁹
- "أشعار الشعراء الستة الجاهليين".¹⁰
- "مبين الإشكال".¹⁰

¹ منظومة في النحو ألفها الشيخ أحمد بامبا مباكي، وعقد بها منشور الآجرورية، وأصبحت من أهم المراجع اللغوية في المؤسسات التعليمية المريدية، شرحتها شعيب تياو، وسمى الشرح "فتح الوهاب في شرح سعادة الطالب"، وقد طبع بمطبعة المعارف الجديدة في الرباط عام (2009)، ثم صدرت الطبعة الثانية من دار الأمان في الرباط أيضاً عام (2022)، ضمن سلسلة منشورات الرابطة الخديوية للباحثين والدارسين.

² منظومة في النحو، ألفها أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان، الحريري البصري المتوفى سنة (516هـ).

³ "نزهة الطريف وبغية المولع بالتصريف"، منظومة في الصرف ألفها العالمة الشيخ إدريس الكُمكيلي، وشرحتها الشيخ أحمد بامبا مباكي، من تحقيق شعيب تياو، وقد طُبعت بمطبعة المعارف الجديدة في الرباط عام (2023)، ضمن سلسلة منشورات الرابطة الخديوية للباحثين والدارسين.

⁴ منظومة في علم الصرف، ألفها أبو عبد الله محمد بن عبد ابن مالك الأندلسي المتوفى عام (672هـ).

⁵ كتاب في النحو من تأليف المختار بن محمد سعيد المعروف بالمختار ابن بونا الجكنى المتوفى عام (1220هـ).

⁶ كتاب في النحو يدرس في المستويات العليا بالمؤسسات المريدية، ألفه أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالط الطائي الأندلسي الجياني المشهور بابن مالك، المتوفى عام (672هـ).

⁷ قصيدة تُشتهر بقافيتها، وهي من إبداع ابن دريد الأردي المتوفى عام (321هـ).

⁸ قصيدة معروفة بقافيتها الدالية، من تأليف الإمام أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى عام (1102هـ).

⁹ مختارات من الشعر جمعها العالمة يوسف بن سليمان بالأعلم الشتتمري، المتوفى عام (476هـ).

¹⁰ منظومة في العروض، من مقررات المجالس التعليمية، ألفها العالمة السنغالي الأديب الأريب القاضي مجحثٌ كل، المتوفى عام (1902).

- "من الخزرجية".¹
- "الجوهر المكون في صدف الثلاثة الفنون".²
- "عقود الجمان في علم المعاني والبيان".³

وغيرها من المقررات التي شكلت أساساً متيناً لتكوين النخب والعلماء، ولا شك في أن هذه المؤسسات تولت تخرج العلماء والأدباء والشعراء عبر الأجيال المختلفة.

(ب) موقف الكتاب المؤلفين:

يعد المريدون من أعزز الطوائف الدينية في السنغال إنتاجاً بالعربية شعراً ونثراً، فقد ألفوا باللغة العربية في مختلف فنون العلم قدماً وحديثاً، في العقيدة والفقه والتصوف، والسير والترجم، والتفسير وعلوم القرآن، والفلك والمواقيت والرياضيات.

ومن أمثلة ما صنفوه في السير والترجم:

- "سعادة الطالب"، للعلامة الحاج مباكي بوسو.
- "من الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم"، للشيخ محمد البشير.
- "إرواء النديم من عذب حب الخديم"، للشيخ محمد الأمين جوب الدغاني.
- "النفحات المسكية في السيرة البكية"، للشيخ محمد عبد الله بن عبد الرحمن العلوي الشنقيطي.
- "النهج القويم في سيرة الشيخ الخديم"، للشيخ محمد محمود نيانغ.
- "المريدية: الحقيقة والواقع وآفاق المستقبل"، للشيخ مرتضى مباكي شيخ فاط فال.⁴
- "إزاحة السدف عن بعض علماء وُلَفَّ"، للشيخ إمفال فال.

أضاف إلى ذلك ما ترجموا إلى العربية من مواعظ الشيخ ونقاشه، كما هي الحال عند الشيخ مختار بن لوح، والشيخ سرين سلٌّ صاحب "جوامع الكلم" فيما ورد عن العبد الخديم

¹ "الخزرجية" أو (الرامزة)، منظومة في العروض لأبي محمد ضياء الدين عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي المتوفى عام (626هـ).

² منظومة في علوم البلاغة للشيخ عبد الرحمن بن صغير الأخضرى، المتوفى عام (953هـ) أو (983هـ).

³ منظومة في علوم البلاغة ألفها جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى عام (911هـ).

⁴ هذه الكتب كلها مطبوعة ومتدولة.

من علوم وحكم" ، إلى ما صنفوه في أدب الرحلات، كما في "قصة رحلة الحج" للشيخ محمد الفاضل،¹ و"قصة رحلة الشيخ أحمد مباكي غايندي فاطمة" الذي حرره الشيخ عباس بوسو،² بالإضافة إلى ما ألف في صميم اللغة العربية، على غرار الكتاب الذي ألفه الشيخ محمد ديم،³ باللوفية، وسماه "تسهيل الصعب في إعراب سعادة الطلاق" ، وكتاب ألفه السيدشيخ مريم نجاي شرحاً على الخزرية، وسماه "البيت المفرد في شرح القصيدة الخزرية (الرامنة) لأبي محمد ضياء الدين عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي" ، وأرسل الكتاب إلى بعض ذويه في إيطاليا بعرض طباعته،⁴ فضلاً عما قام به المريدون من شرح بعض المتون بالعربية، وهو مجال واسع نضرب فيه المثل بكتاب "مورد القفار في شرح تردد الصغار" ، للشيخ محمد بن الشيخ عثمان كبيبي المشهور بسريرن ديمبا كبيبي،⁵ طبع ونشر في تونس عام (1951)، إلى ما صنفه رؤاد مدرسة غيدي باللغة العربية في الرياضيات والفلك والمواريث.⁶ ولا شك في أن حركة التأليف بالعربية في المريدية باتت اليوم أنشط وأكثر من أي وقت مضى، وذلك هو المجال الثاني مما تميز المريدون في الكتابة، وأما المجال الثالث فهو موقف الشعراء المبدعين.

(ج) موقف الشعراء المبدعين:

ما أبدعه المريدون في الشعر إنتاج غير متميّز إلى حدٍ أنك تتساءل عما إذا كان ما تراه شعراء الطريقة، أم طريقة الشعراء؟! علماً أن الشعر أرقى أشكال التعبير الأدبي، يقول ابن رشيق: "والشعر مزلا العقول، وذلك أن أحداً ما صنعه قط فنكتمه ولو كان رديئاً، وإنما ذلك لسروره به، وإكباره إياه، وهذه زيادة في فضل الشعر، وتنبيه على قدره وحسن موقعه من كل

¹ انظر: حدائق الفضائل في سيرة الشيخ محمد الفاضل، ص.89.

² أحد المريدين من ذوي قرابة الشيخ الخديم.

³ أسلفنا الحديث عنه.

⁴ رسالة صوتية مسجلة في واتساب بتاريخ 10 يونيو 2025.

⁵ أحد علماء الطريقة المريدية من عاصروا الشيخ الخديم، وبايوعه.

⁶ انظر: الشيخ سيدى بوسو مولاي (جمع وإعداد)، مجموعة من كتابات العالمة الحاج مباكي بوسو، نسخة إلكترونية.

نفس" ،¹ وهذا العمل الأدبي الأصعب هو ما اختاره كثير من علماء المريدية من بين أشكال التعبير الأدبي ، سواء في عصر الشيخ المؤسس ، أم في العصور اللاحقة ، فلم يزل الشعر أداته الكبرى للتعبير عن المشاعر ، من مثل الفرح والحزن ، عند التهئة والتعزية ، وعند إنشاء القرى ، وعند حلول بلاء ، وعند ارتفاع كربة ، وعند الشكر ، وعند الشكوى ، وعند الضيافة؛ الضيف والمضيف ، وعند التوسيع في صلة القرابة الدينية ، وبهذا الأسلوب أيضاً كان أعيان الطريقة يتلقون التهاني والتعازي ، والمدائح من الطوائف الأخرى .

أي إنَّ الشعر بضاعة رائجة في الطريقة ، فالشيخ شاعر ، وأبناءه البررة شعراً بالأغلبية من مثل الشيخ محمد المصطفى ، والشيخ محمد الفاضل ، والشيخ محمد الأمين ، والشيخ محمد البشير ، والشيخ عبد الأحد .

ومن مريديه الأقارب من الشعراء مام جيرن إبراهيم مبакي ، وإن كان مقللاً ، وأخوه من أبيه سرين شيخ تيورو مبакي ، وأخوه الأصغر من جهة الأب سرين مصمب مبакي ، وال الحاج مبакي بوسو ، وأبناءه الثلاثة؛ محمد ، ومولاي علي ، وحسن ، وسرين مصمب كنِّ بوسو ، وابنه سرين مختار كنِّ بوسو ، والشيخ مور رقية بوسو ، وسرين بلَّ بوسو ، وسرين دام بوسو مبَرَّ ، وغيرهم من المريدين الذين خلُقُوا تراثاً شعريًّا ضخماً ومتنوًّا تتمثل في دواوين مطبوعة:

- "ديوان الشعراء السنغاليين في مدح الشيخ الخديم".²

- "ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري".³

- "دواوين شعراء أهل الزوايا الموريتانيين في مزايا الشيخ الخديم".⁴

والجدير ذكره أن تلك الدواوين المطبوعة غيض من فيض من إنتاج المريدين ، فهناك كمية وفيرة من الدواوين المخطوطة التي تحتوي عليها صناديق التبرُّك ، ولنضرب مثلاً طائفـة

¹ ابن رشيق ، العمدة في محسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد محبى الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجليل ، ط5 ، 1981) ، ج 1: ص 117.

² ديوان مطبوع في طبعة محلية.

³ ديوان مطبوع في طبعة دولية محققة.

⁴ ديوان مطبوع في طبعة محلية.

من الشعراء الذين لم تظهر أشعارهم كلها في الدواوين المطبوعة، من مثل الشيخ أحمد جو بجهه،¹ وال حاج مباكي بوسو وأبنائه الثلاثة، والشيخ مختار بن لوح، وابنه الشيخ محمد لوح مختار، والشيخ محمود لوح، والشيخ مور فالو سي، والشيخ إيماسين أم جينغ،² والشيخ مامز ساسُم جه،³ ناهيك عن شعراء الولوفية الذين تأثروا بالعربية في شكل القصيدة وصورتها، وهم سرين مبي جخت، وسرین موسى كاه، وسرین مور كيري، والشيخ سامبا جار إمي، والغريب أنَّ هؤلاء جميعاً كانوا أيضاً شعراء بالعربية، بل إنَّ سرين إمي جخت يتتفوق من حيث كمية شعره العربي، على مَنْ سوى الشيخ إبراهيم جوب المشعري من شعراء المريدية. أمَّا ما أَلَفَهُ المريدون نثراً بالعربية فلا تسع له هذه المقالة، وإنما نحيل القارئ إلى ورقتنا في أعمال ندوة (17 صفر 1446هـ)، المخصصة للضيوف الشناقطة في طوبى، بعنوان "المريدية وتراثها العلمي بعد مئة سنة من رحيل مؤسِّسها".⁴

وهكذا يمكن القول إنَّ الطريقة المريدية، عبر هذه الجهود العلمية والأدبية، لم تتخذ اللغة العربية أداةً للتدين والتعليم فحسب، بل جعلتها عنصراً جوهرياً في بناء الهوية الثقافية والروحية لجماعتها، وهو ما يفسِّر استمرارية تأثيرها في الأجيال المريدية المتعاقبة.

خاتمة

يمكن الجزم بأن خدمة اللغة العربية كانت ولا تزال من أبرز السمات المميزة للطريقة المريدية، التي اتخذت من لغة الضاد وسيلة رئيسة لتحقيق مشروعها الروحي والتربوي والعلمي محلياً وعالمياً، فالمريدية على امتداد تجربتها لم تنظر إلى العربية بوصفها لغة أدبية توظِّفها لجماليات

¹ من أكبر شعراء الطريقة وعلمائها، وكان يلقب نفسه "سلطان العارفين"، بايع الشيخ المؤسس ولازمه.

² من علماء الطريقة المريدية، وكان مقرباً إلى الشيخ الخديم لعلمه وفضله.

³ من المريدين معاصرى الشيخ المؤسس.

⁴ انظر: يحيى ولد البراء، عبد الأحد لوح، وآخرون، أعمال ندوة (17 صفر 1446هـ) المخصصة للضيوف الشناقطة تحت عنوان "الطريقة المريدية: مئة سنة بعد رحيل مؤسِّسها"، طوبى، جمهورية السنغال، أغسطس 2024، ص 30 وما بعدها.

التعبير الأدبي فحسب، بل تعدّها لغة تراثٍ وهويةٍ، وعلمٍ وفكراً، وتربيّةٍ ودعوةٍ، ودبلوماسيّةٍ دينيّةٍ، فهي من هذا المنظور ركّنٌ من أركان الهوية الإسلامية الجامعة، ووعاءً للمعارف الشرعية، وجسرٌ لنقل ثراث التجربة الصوفية العميقه التي أسهم بها الشيخ أحمد بامبا - رضي الله عنه - في تجديد فهم الدين ومارسته.

ولا يمكن الحديث عن الفكر المريدي أو عن المشروع الإصلاحي للشيخ لأحمد بامبا من دون استحضار اللغة العربية، بوصفها المفتاح الأساس لفهم نصوصه ومنظومته التربوية والأدبية، إذ هي الوعاء الذي حفظ تعاليمه، وأوصل رسالته، وضمن استمراريتها عبر الأجيال.

وإذا كانت معظم الطوائف الإسلامية بالسنغال قد أسهمت بدرجات متفاوتة في خدمة لغة القرآن، فإن الطريقة المريدية تتفرد بامتداها الزمني الطويل، وبعمقها الجماهيري الواسع، وبشمولية مقارباتها التي جمعت من جهة بين التعليم والتأليف والإبداع الأدبي في مختلف تشكيلاته، وبين البعد العمودي المتمثّل في استمرارية العناية بالعربية عبر الأجيال منذ عهد المؤسس إلى اليوم، والبعد الأفقي الذي تجلّى في انتشار هذه العناية في مختلف البيئات وال المجالات، وبذلك أصبحت المريدية أنموذجاً فريداً في تحويل اللغة العربية من وسيلة تعليمية إلى مشروع حضاري متكامل.

إن دعم الجهود المريدية في خدمة العربية - مادياً ومعنوياً - يسهم في ترسیخ مكانة هذه اللغة في المجتمع السنغالي بخاصة، والإفريقي بعامة، ويؤكّد أنّ اللغة ليست أداة للتعبير فحسب، بل هي حاملة للهوية، وجسر للتوصل الحضاري، ورافد من روافد التجديد الديني والثقافي، ومن ثم يمكن القول إن الطريقة المريدية قدّمت للعربية أنموذجاً حيّاً في التكامل بين الإيمان والعلم وبين اللغة والهوية، وبين الإصلاح الروحي، والبناء الحضاري، وذلك ما يجعل تجربتها جديرة بالدراسة المستفيضة ضمن مسار خدمة العربية في العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ومن ثم تمثّل رعاية هذا الإرث اللغوي وتعزيزه واجباً علمياً وثقافياً يتجاوز الإطار الإقليمي إلى فضاء الأمة الإسلامية جماء.

المصادر والمراجع

- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لخالفه أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل (جدة: دار إشبيليا، ط2، 1998).
- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (دمشق: دار البلخي، ط1، 2024).
- ابن رشيق، العمدة في محسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط5، 1981).
- أكاديمية الشيخ محمد المصطفى إمباكي لدراسة التراث المريدي، الشيخ محمد المصطفى إمباكي: النموذج الأمثل (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 2014).
- إميل يعقوب، المعاجم العربية بدأها وتطورها (بيروت: دار العلم للملائين، ط2، 1985).
- الأبناري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي (عمان: مكتبة المنار، ط3، 1985).
- الخطيب القرزوني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002).
- جمع من الشعراء الموريتانيين، دواوين شعراء أهل الزوايا الموريتانيين في مزايا الشيخ الخديم (طوي: مكتبة ومطبعة الشيخ الخديم).
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1985).
- الزبيدي، طبقات التحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ط2).
- الرجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك (بيروت: دار النفائس، ط5، 1986).
- الشيخ أحمد بامبا مباكي، ديوان العلوم الدينية، جمع وعناية: الرابطة الخديمية للباحثين والدارسين (بيروت: دار الأمان، ط1، 2019).
- الشيخ أحمد بامبا مباكي، ديوان القصائد المطرزة بغير الآيات القرآنية (طوي: مكتبة ومطبعة الشيخ الخديم، ط2، 1985).

الشيخ أحمد بامبا مباكي، *ديوان القصائد المقيدة بالأيات القرآنية* (طوي: مكتبة ومطبعة الشيخ الخديم، 1395هـ).

الشيخ أحمد بامبا مباكي، *ديوان سعادات المريدين في أمداح خير المرسلين* (طوي: مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم، د.ط، د.ت).

الشيخ سيدى بوسو مولاي (جمع وإعداد)، *مجموعة من كتابات العالمة الحاج مباكي بوسو*، نسخة إلكترونية.

القلقشندى، *صبح الأعشى في صناعة الإنسا*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987).

لبيد بن ربيعة العامري، *الديوان*، تحقيق: حمدو طمّاس (بيروت: دار المعرفة، ط1، 2004).
اللجنة الثقافية التابعة لدائرة أحفاد الشيخ محمد الفاضل، *حدائق الفضائل في سيرة الشيخ محمد الفاضل* (بيروت: دار الفكر، ط1، 2023).

محمد أبو موسى، *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية* (بيروت: دار الفكر العربي).

محمد الأمين الدكاني جوب، *إرواء النديم من عذب حب الخديم*، تحقيق جمع من المحققين (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 2017).

محمد البشير مباكي، *من الباقى القديم في سيرة الشيخ الخديم*، تحقيق: محمد شقرورون (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 2012).

يجي ولد البراء، عبد الأحد لوح، وآخرون، *أعمال ندوة 17 صفر 1446هـ* المخصصة للضيوف الشناقطة تحت عنوان "الطريقة المريدية: مئة سنة بعد رحيل مؤسسيها" ، طوي، جمهورية السنغال، أغسطس 2024.

References

- Akādīmiyyah al-Shaykh Muḥammad al-Muṣṭafā Mbākkī li-Dirāsah al-Turāth al-Murīdī, *al-Shaykh Muḥammad al-Muṣṭafā Mbākkī: al-Namūdhaj al-Amthal* (Rabat: Maṭba‘ah al-Ma‘ārif al-Jadīdah, 1st Ed., 2014).
- Al-Anbārī, *Nuzhah al-Albā’ fī Ṭabaqāt al-Udabā’*, Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī (Ed.) (Amman: Maktabah al-Manār, 3rd Ed., 1985).
- Al-Dhahabī, *Siyar A‘lām al-Nubalā’*, Shu‘ayb al-Arnā’ūt (Ed.) (Beirut: Mu’assasah al-Risāla, 3rd Ed., 1985).
- Al-Khaṭīb al-Qazwīnī, *al-Īdāh fī ‘Ulūm al-Balāghah*, Ibrāhīm Shamsuddīn (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 2002).
- Al-Lajnah al-Thaqāfiyyah al-Tābi‘ah li-Dā’irah Aḥfād al-Shaykh Muḥammad al-Fāḍil, *Hadā’iq al-Faḍā’il fī Sīrah al-Shaykh Muḥammad al-Fāḍil* (Beirut: Dār al-Fikr, 1st Ed., 2023).
- Al-Qalqashandī, *Šubh al-A‘shā fī Ṣinā‘ah al-Inshā’*, Muḥammad Husyn Shamsuddīn (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1987).
- Al-Shaykh Ahmād Bamba Mbākkī, *Dīwān al-Qaṣā’id al-Muqayyadah bil-Āyāt al-Qur’āniyyah* (Touba: Maktabah wa-Maṭba‘ah al-Shaykh al-Khadīm, 1395H.).
- Al-Shaykh Ahmād Bamba Mbākkī, *Dīwān al-Qaṣā’id al-Muṭarrazah bi-Ghayr al-Āyāt al-Qur’āniyyah* (Touba: Maktabah wa-Maṭba‘ah al-Shaykh al-Khadīm, 2nd Ed., 1985).
- Al-Shaykh Ahmād Bamba Mbākkī, *Dīwān al-‘Ulūm al-Dīniyyah*, al-Rābiṭah al-Khadīmiyyah lil-Bāḥithīn wal-Dārisīn (Ed.) (Beirut: Dār al-Amān, 1st Ed., 2019).
- Al-Shaykh Ahmād Bamba Mbākkī, *Dīwān Sa‘ādāt al-Murīdīn fī Amdāh Khayr al-Mursalīn* (Touba: Maṭba‘ah wa-Maktabah al-Shaykh al-Khadīm).
- Al-Shaykh Sīdī Būsū Mūlāy (Ed.), *Majmū‘a min Kitābāt al-‘Allāma al-Hājj Mbākkī Būsū*, digital version.
- Al-Zabīdī, *Ṭabaqāt al-Nahwiyyīn wal-Lughawiyyīn*, Muḥammad Abūl-Faḍl Ibrāhīm (Ed.) (Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 2nd Ed.).

- Al-Zajjājī, *al-Īdāh fī 'Ilal al-Naḥw*, Māzin al-Mubārak (Ed.) (Beirut: Dār al-Nafā'is, 5th Ed., 1986).
- Emil Ya'qūb, *al-Ma'ājim al-'Arabiyyah Badāyatuhā wa-Taṭawwuruhā* (Beirut: Dār al-'Ilm li-l-Malāyīn, 2nd Ed., 1985).
- Ibn Khaldūn, *al-Muqaddimah*, 'Abdullāh Muḥammad al-Darwīsh (Ed.) (Damascus: Dār al-Balkhī, 1st Ed., 2024).
- Ibn Rashiq, *al-'Umda fī Maḥāsin al-Shi'r wa-Ādābih*, Muḥammad Muḥyiddīn 'Abdulḥamīd (Bierut: Dār al-Jīl, 5th Ed., 1981).
- Ibn Taymiyya, *Iqtidā' al-Širāṭ al-Mustaqīm li-Mukhālafah Aṣḥāb al-Jahīm*, Nāṣir bin 'Abdulkarīm al-'Aql (Ed.) (Jeddah: Dār Ishbīliyā, 2nd Ed., 1998).
- Jam' min al-Shu'arā' al-Mūrītāniyyīn, *Dawāwīn Shu'arā' Ahl al-Zawāyā al-Mūrītāniyyīn fī Mazāyā al-Shaykh al-Khadīm* (Touba: Maktabah wa-Maṭba'ah al-Shaykh al-Khadīm).
- Labīd bin Rabī'a al-'Āmirī, *al-Dīwān*, Ḥamdū Ṭammās (Ed.) (Beirut: Dār al-Ma'rifa, 1st Ed., 2004).
- Muḥammad Abū Mūsā, *al-Balāghah al-Qur'āniyyah fī Tafsīr al-Zamakhsharī wa-Atharuhā fī al-Dirāsāt al-Balāghiyah* (Beirut: Dār al-Fikr al-'Arabī).
- Muhammad al-Amīn al-Dakkānī Jubb, *Irwā' al-Nadīm min 'Adhb Ḥubb al-Khadīm*, A Groupe of Editors (Rabat: Maṭba'ah al-Ma'ārif al-Jadīdah, 1st Ed., 2017).
- Muhammad al-Bashīr Mbākkī, *Minān al-Bāqī al-Qadīm fī Sīrah al-Shaykh al-Khadīm*, Muḥammad Shaqrūn (Ed.) (Rabat: Maṭba'ah al-Ma'ārif al-Jadīdah, 1st Ed., 2012).
- Yahyā Wuld al-Barā', 'Abdul'ahād Lowḥ, et al., *A 'māl Nadwat (17 Ṣafar 1446H.) al-Mukhaṣṣaṣa lil-Duyūf al-Shanāqītah tahta 'unwān "al-Ṭarīqah al-Murīdiyyah: Mi'ah Sanah Ba'da Rahīl Mu'assishā"*, Touba, Senegal, August 2024.



المصطلحُ في مُعجمِ الدَّوْحَةِ التَّارِيْخِيِّ لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مَادَّةُ (جَمَدٌ) أَنْوَذْجَانَ

مُقبل التَّامِ الْأَحْمَدِيُّ*

مُسْتَخْلَصٌ

ينفرد معجم الدوحة التاريخي برصد ألفاظ اللغة العربية منذ بدايات استعمالها في النقوش والنصوص، وما طرأ عليها من تغيرات في مبنيتها ومعانيها في سياقاتها النَّصيَّة، مستَّبعاً الخطَّ الزمنيَّ لهذا التَّطْوُر. ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن حضور المصطلح في هذا المعجم عبر دراسة مادة (جمد) بوصفها أَنْوَذْجَانَ، بِمِمْكِنَةِ تَطْبِيقِيَّةٍ يُمْكِنُ من تَتْبِعُ المصطلحات ضمن المادَّةِ المعجميَّةِ وتحليل المجالات التَّخصُّصيَّةِ التي تَنْتَمِي إِلَيْهَا، متوسِّلاً بالمنهج الوصفي عبر تَتْبِعُ جذادات المصطلح في هذه المادَّةِ، وتصنيفها وفق مجالاتها المصطلحية، ثم تحليل درجة حضور كلِّ مجال من حيث عدد الجذادات وأهميتها، بما يسهم في إبراز مكانة المصطلح في معجم الدوحة التاريخي، ومدى حضوره في المعجم قياساً على الألفاظ واشتقاقاتها أو الألفاظ الْعَامَّة، وإظهار معالجة المعجم للمصطلح من حيث التعريف الذي رُوِّعيَ فيه الصناعة المعجمية لا الموسوعية، وقد أَظَهَرَت النتائج أنَّ نسبة المصطلحات لا تتجاوز (7%) من إجمالي مكونات المادَّةِ المختارَة، وهي نسبة متوقعة وفق طبيعة الاستيقاع والمعاني المتداولة للمادَّة، وتبيَّنَ تنوُّعُ في المجالات المصطلحية الواردة فيها؛ إذ شملت (7) مجالات ضمَّت (26) جذادة، وهذا يدلُّ على حضور فعليٍّ للمصطلحات في المعجم، وعلى إدراك القائمين عليه أهمية هذا الجانب في توثيق التَّطْوُر الدلالي لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

مَفَاتِيحُ الْبَحْثِ: المصطلحات، المعجمية، الألفاظ، المعجم التاريخي، معجم الدوحة

* أستاذ الأدب القديم، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية، dr.moqbelalahmadi@gmail.com



The Term in the Doha Historical Dictionary of Arabic Language: The Root (*jamada*) as a Model

Moqbel al-Tam al-Ahmadi*

Abstract

The Doha Historical Dictionary is distinguished by its systematic documentation of Arabic lexical items from the earliest stages of their attestation in inscriptions and texts, as well as the changes that have occurred in their formal structures and meanings within their textual contexts, tracing the chronological trajectory of this development. This study aims to investigate the presence of technical terminology in this dictionary through an examination of the entry (j-m-d) as an applied case study that enables the tracking of terms within a single lexical entry and the analysis of the specialized domains to which they belong. Employing a descriptive methodology, the study follows the terminological records associated with this entry, classifies them according to their terminological fields, and then analyzes the degree of representation of each field in terms of the number of records and their significance. This approach contributes to highlighting the status of terminology in the Doha Historical Dictionary and assessing its degree of presence in comparison with general lexical items, their derivatives, and everyday vocabulary. It also elucidates the dictionary's treatment of technical terms, particularly with regard to definitions that adhere to lexicographical craftsmanship rather than encyclopedic exposition. The findings indicate that technical terms constitute no more than (7%) of the total components of the selected entry, a proportion that is consistent with the nature of derivation and the commonly attested meanings of the root. The results further reveal diversity in the terminological domains represented, encompassing (7) fields comprising (26) records. This demonstrates a substantive presence of terminology in the dictionary and reflects the editors' awareness of the importance of this dimension in documenting the semantic development of the Arabic language.

Keywords: Terminology, lexicography, lexemes, historical dictionary, Doha dictionary

* Professor of Classical Literature, Sanaa University, Yemen, dr.moqbelalahmadi@gmail.com.

مقدمة

يُعدُّ معجم الدوحة التاريخي - وفقَ ما ورد في مقدِّمته على موقعه الشابكي - "أول معجم عربيٌ شاملٌ يُورِّخُ لِألفاظِ اللغةِ العربيةِ وَمعانيِّها، انطلاقاً من مدونةِ نصيةٍ مُمِّثلةٍ لِلغةِ العربيةِ في مراحلها المختلفةِ على امتدادِ تاريخِها الطويل" ،¹ وهو معجمٌ يُعالجُ ألفاظَ اللغةِ العربيةِ وَفقَ أصنافِ الوحداتِ المعجميةِ الآتية:

- الألفاظِ وَاشتقاقَها.
- ألفاظِ الحياةِ العامةِ.
- المصطلحاتِ العلميةِ.

و"يرصدُ معجمُ الدوحةِ التاريخيِّ المصطلحاتِ في مجالاتِها العلميةِ والمعرفيةِ والفنيةِ، على النحوِ الذي يرصدُ به الألفاظِ وَفقَ ضوابطِ منهاجيةٍ اشتملَ عليها دليلُ المعياري،² وَتُشكِّلُ المصطلحاتُ جزءاً مهماً من الإرثِ اللغوِيِّ في المعجمِ اللغوِيِّ العامِ؛ فكثيرٌ من ألفاظِ اللغةِ العامةِ التي يُورِّخُ لها المعجمُ كانتُ في أصلِ استعمالِها مصطلحاتٍ شاعتُ حتى صارتُ جزءاً من الرصيدِ اللغوِيِّ العامِ، وكثيرٌ من المصطلحاتِ كانُ في أصلِ وضعِه ألفاظاً من اللغةِ العامةِ قبلُ أنْ يتخصَّصَ استعمالُه في حقلٍ معينٍ من حقولِ المعرفةِ.

ونظراً إلى ظهورِ مصطلحاتٍ جديدةٍ صارتُ جزءاً من اللغةِ العامةِ، ونشوءِ دلَالاتٍ اصطلاحيةٍ جديدةٍ صارتُ مخطةً من محطاتِ التطورِ الدلاليِّ لـكثيرٍ من ألفاظِ العربيةِ؛ كانَ لا بدَّ منْ أنْ يُسجِّلَ معجمُ الدوحةُ هذا التطورَ الحاصلَ الذي جَعَلَ العربيةَ لغةً قادرةً على استيعابِ التراثِ العلميِّ القديمِ وتطويرِه ونشرِه، وقد توجَّهَتُ العنايةُ إلى بناءِ مداخلٍ للمصطلحاتِ العلميةِ الواردةِ في المدونةِ.

¹ "مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية" ، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، الفصل الثاني: هوية معجم الدوحة التاريخي للغة العربية وخصائصه.

² انظر: "الدليل المعياري للتحرير المعجمي" ، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، إصدار يونيو 2024، ص 35-38.

استُقيت المصطلحات من مصادر في العلوم الشرعية من مثل علوم القرآن وقراءاته، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، ومقاصد الشريعة، والفلسفة والمنطق، والكلام والتصوُّف والسلوك، والتَّارِيخ والسير والجغرافيا، والتَّرَاجِمُ والأنساب، والأديان اليهودية والمسيحية، والفرق والمذاهب، وفي العلوم الأدبية واللغوية من مثل علوم الأصوات والنحو والصرف، والخط والإملاء، وفقه اللغة واللسانيات، والعروض والقوافي والموسيقا والفنون، والنقد والبلاغة، وفي علم الفلك، والطب والصيدلة والتشريح، والمناظر والخيال والأشغال، والفلاحة والنبات، فضلاً عن علوم العصر المستحدثة.

وقد أُخضع تحرير المصطلحات للضوابط العلمية والمنهجية المتبعة في سائر مواد المعجم، مع مراعاة خصوصيتها، وعُدَّ كُلُّ لفظٍ يدلُّ على مفهوم مخصوص في نصٍّ من نصوص العلم - عند أهل علم من العلوم - مصطلحًا يقتضي تعريفًا مفهوميًّا مختلِّفًا عن التعريف اللغوي العام.¹

واستند تحرير ألفاظ المصطلحات في المعجم إلى الضوابط العلمية والمنهجية الآتية وفق ما ورد في دليله المعياري:²

- يُعني معجم الدوحة التاريخي للغة العربية بالمصطلحات عنایةً بالوحدات المعجمية العامة.
- يعكس المفهوم الاصطلاحي وجهاً من أوجه التطور الدلالي للوحدة المعجمية.
- يخضع تحرير المصطلحات للمنهجية المتبعة في تحرير الألفاظ العامة، مع مراعاة ضوابط تحرير المصطلح المحددة في دليله المعياري.³
- يُعدُّ مصطلحًا في المعجم كُلُّ وحدة معجمية تدلُّ على مفهوم في حقلٍ معرفي محدَّد.
- تُعامل الوحدة المعجمية معاملة المصطلح إذا عُدِّلَ بها عن معناها اللغوي العام إلى معنى آخر خاص في حقلٍ معرفي محدَّد.
- يُوضع لكلٍّ مصطلح في المعجم تعريفٌ مفهوميٌّ مختلف عن التعريف اللغوي العام.

¹ انظر: "مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية"، الفصل الخامس: أصناف الوحدات المعجمية ومنهجية تحريرها.

² انظر: "الدليل المعياري لتحرير المعجمي"، ص35-37.

³ انظر: المراجع السابق، ص35.

- الأصل أن يرد المصطلح في نص من نصوص حقلٍ معرفيٍّ محدّد، ولكن إذا ورد كان ظاهر الدلالة على الاستعمال الاصطلاحي في نص عام عُدَّ مصطلحًا.
- يُراعى التطور المفهومي الحادث في المصطلح، مفرداً كان أو مركباً.
- لا يُعدُّ تنويع تعريفات المصطلح الواحد في المجال الواحد دليلاً على تطوره، ولا مسوِّغاً لعدّه مصطلحًا جديداً، ويُكتفى ببناء جذادة واحدة له انطلاقاً من أقدم سياق.
- إذا ورد المصطلح مصحوباً بشرح أو تعريف في مصدره الأصلي؛ احتفظ بتعريفه.
- إذا ورد المصطلح من دون تعريف؛ اجتهد الحِرْرُ في صياغة تعريف مناسب إياه، يعكس مفهومه المستعمل به في سياقه ونصّه وتاريخه، ويستعين بما ورد في كتب العلم المنتامية إلى المرحلة، والكتب المتخصصة، والمعاجم الاصطلاحية.
- إذا اقتبس التعريف حرفياً لضرورة علمية؛ فإنه ينبغي توثيقه من مصدره في خانة ملحوظات التعريف الخاصة بالنشر.
- إذا دلَّ المصطلح على مفهومين مختلفين في علمين اثنين أو أكثر، حُصِّصت لكل مصطلح جذادةً مستقلةً.
- إذا تغيَّر مفهوم المصطلح في العلم الواحد، بُثُت له جذادةً مستقلةً.
- إذا استغير المصطلح من علمٍ إلى علمٍ، ولم يتغيَّر مفهومه، فإنه يُكتفى في تحريره وتعريفه بالسياق الأقدم الذي ورد فيه، على أن يُصنف ضمن حقله الأصيل، من دون النظر إلى حقل المصدر الوارد فيه.
- تُحرَّر المصطلحات الناتجة عن التركيب الوصفي أو الإضافي، الدالة على التقسيمات والأنواع ونحوها، في مدخل الجزء الثاني، ما دامت لا تحدِّث تغييرًا في المفهوم الأصلي للجزء الأول.
- الغالب أن يرد المصطلح اسمًا أو مصدرًا، ولا يوسم الفعل أو المشتق بمصطلح، إلَّا إذا دلَّ على خصوصية مفهومية، لا محض اختلاف دلالته الصرفية الاشتراكية التي يمكن التعبير عنها بالإحالة.

- إذا دلَّ اللَّفْظُ الْوَارِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَى مَفْهُومٍ خَاصٍ لَا يَنْتَمِي لِعِلْمٍ مِّنْ عِلُومِ الشَّرِيعَةِ، مِثْلِ (الْفَسْقِ) وَ (الْإِثْمِ) وَ (النَّفَاقِ)؛ وُسِّمَ بـ"الْفَظْ إِسْلَامِيٌّ".
 - إذا دلَّ اللَّفْظُ الْوَارِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَى مَفْهُومٍ فِي حَقْلٍ مِّن حَقْوَلِ عِلُومِ الشَّرِيعَةِ، كَالْفَقْهِ وَعِلْمِ الْحَدِيثِ، وَعِلْمِ أَصْوَلِ الْفَقْهِ وَغَيْرِهَا؛ وُسِّمَ بـ"مَصْطَلِحٍ"، وَيُعَيَّنُ الْحَقْلُ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ.
 - إذا دلَّ اللَّفْظُ الْوَارِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَى مَفْهُومٍ فِي عِلُومِ غَيْرِ الشَّرِيعَةِ كَالْطَّبْبِ، وَالْفَلْكِ، وَالرِّيَاضِيَّاتِ؛ لَمْ يُوْسَمْ بـمَصْطَلِحٍ.

المصطلحات في مادة (جمدة)

رُفعت مادة (جد) إلى بوابة النشر في معجم الدوحة التاريخي في (389) جذادة معجمية، غطّت مراحل المعجم الزمنية الثلاث حتى العام (2023)، ودارت المادة الدورة المعتادة لمواد المعجم في صناعتها المعجمية، ومررت على أيدي ثلّة من الخبراء اللغويين وتحت أنظارهم في مراحل مختلفة؛ تحريراً، ومراجعةً، واعتماداً، بين إنشاءٍ وتصحيحٍ، فحذفٍ واستدراكٍ، حتى استوت على النهج المتبع في المعجم بعد اكتمال دورة الإنتاج المعهودة.

وقد اشتملت المادة - في المدة الزمنية من العام (180هـ/796م) إلى العام (1440هـ/2018م) من عمرها وفق سياقتها الاستعمالية - على ستة وعشرين مصطلحًا، تضمنَت سبعة مجالات مصطلحية، هي على النحو الآتي:

ال المجال المصطلحي	عدد الجذادات فيه	.
النحو والصرف	10	1
الاقتصاد	4	2
الفيزياء	4	3
الفلسفة	3	4
الطب والصيدلة	2	5
الفقه	2	6
البلدان والجغرافيا	1	7

يظهر من الجدول السابق تنوع المصطلحات في مادة (جمد)، وغلبة مصطلحات النحو والصرف على غيرها؛ ويُسُوِّغ هذه الغلبة أن نصوص اللغة العربية وعلومها أوفر حظاً في مدونة معجم الدوحة التأريخي وأكثر مصادر.

وفيما يأتي عرضٌ لجذادات المصطلح مرتبةً مجالاتها وفُقُّ وفراً لجذادات فيها:

1. مصطلحات النحو والصرف:

اشتمل على عشر جذادات معجمية وفُقُّ ما تقدّم ذكره في الجدول السابق، واشتملت تلك الجذادات على ثلاثة أبنية صرفية (الجامد، الجمود، الإجماد)، وهي مختلفة الدلالات الاصطلاحية كما سيظهر في تعريفاتها، وقد رُتّبت وفُقُّ القدّم بعامة، ثم رُتّبت داخل الفرع الواحد وفُقُّ القدّم أيضًا، فكانت أول جذادة في فرع (جامد) بتاريخ وفاة مستعملها، وهو سيبويه، عام (180هـ/796م)، وكانت آخر جذادة في هذا الفرع بتاريخ تأليف كتاب "معنى الليبب عن كتب الأعرايب" لابن هشام، عام (756هـ/1355م)، وتلك الجذادات هي:

المصطلح:	الجامدُ.
وسمهُ:	صفة مشبهة.
تاریخهُ:	ن180هـ/796م.
تعريفهُ:	الجامدُ من الألفاظ: الثابتُ على صورةٍ واحدةٍ، لا يتصرّفُ تصرّفَ الأفعالِ.
شاهدُهُ:	الشاهد: "وَمَ يُفْصِلُوا بَيْنَ (أَنْ) وَأَخْوَاهُمْ وَبَيْنَ (الْفِعْلِ)؛ كَرَاهِيَّةً أَنْ يُشَبِّهُوْهَا بِمَا يَعْمَلُ فِي الْأَسْمَاءِ، نَحْوُ: (ضَرَبْتُ) وَ(قَتَلْتُ)؛ لِأَنَّهَا لَا تَصْرُفُ تَصْرُفَ الْأَفْعَالِ... وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ لَازِمَةً لِمَوْضِعِهَا لَا ثُفَارِقُ، فَكَرِهُوا الفَصْلَ لِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ حِرْفٌ جَامِدٌ".
مستعملهُ:	سيبويه.
توثيق شاهدِهِ:	سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1996)، ج3: ص13.

<p>الجَامِدُ. المصطلح: صفة مشبهة. وسمه: ن 285هـ/898م. تاريخه: تعريفه: شاهدُه: إِذَا قُلْتَ: نَعَمَ الْقَائِمُ رَيْدٌ، فَجَعَلْتَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ كَالْأَلْفِ وَاللَّامِ الدَّاخِلَتَيْنِ عَلَى مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ الْفِعْلِ، كَالإِنْسَانِ وَالْمَرْسِ وَمَا أَشْبَهُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَكَذَا دَخَلَ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ الْجَامِدَةِ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تُؤْخَذْ مِنْ أَمْثَلَةِ الْفِعْلِ، وَامْتَنَعَ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ مُؤْخَرًا إِلَّا عَلَى حِيلَةٍ وَوَجْهٍ بَعِيدٍ مِنَ التَّبَيْنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ". المُبِرِّدُ. مستعمله: توثيق شاهدِه: المُبِرِّدُ، الْكَامِلُ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ الدَّالِي (بِيْرُوْتُ: مَوْسِيَّةُ الرِّسَالَةِ، طِّلْبَةُ 3)، جِنْ 1997، ص 57.</p>
<p>الجَامِدُ. المصطلح: صفة مشبهة. وسمه: ن 444هـ/1052م. تاريخه: تعريفه: شاهدُه: وَاعْلَمُ أَنَّ الْهَمَزَةَ إِذَا تَوَسَّطَتْ فِي الْكَلِمَةِ، أَوْ وَقَعَتْ طَرَفًا مِنْهَا، وَسَكَنَ مَا قَبْلَهَا، وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ السَّاكِنُ حَرْفٌ مَدٌّ وَلِينٌ فَقَطُّ، أَوْ حَرْفًا جَامِدًا مِنْ سَائِرِ الْحُرُوفِ، فَإِنَّهَا لَمْ تُصَوَّرْ خَطًّا فِي الْحَالَتَيْنِ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ". أَبُو عُمَرِ الدَّالِيُّ. مستعمله: توثيق شاهدِه: أَبُو عُمَرِ الدَّالِيُّ، الْمُحْكَمُ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ، تَحْقِيقُ: عَزَّةُ حَسَنُ (دِمْشِقُ): دارِ الْفَكْرِ، بِيْرُوْتُ: دارِ الْفَكْرِ الْمُعَاصِرِ طِّلْبَةُ 2، جِنْ 1997، ص 149.</p>

<p>الجامِدُ. صفة مشبّهة. تاريخُه: ن 471هـ/1078م. تعريفُه: الجامِدُ مِن الأَلْفاظِ: مَا لَازَمَ صُورَةً وَاحِدَةً. شاهدُه: وَالْمُتَصَرِّفُ: مَا يَجِيءُ لَهُ الْأَمْثَلُ، وَالجامِدُ: بِخَلَافِهِ، كَيْنَعْ، وَبَسْنَ، وَعَسَى، وَلَيْسَ، وَحَبَّدَا، وَفِعْلَي التَّعَجُّبِ". مستعملُه: عبد القاهر الجرجاني. توثيق شاهدِه: الجرجاني، كتاب المفتاح في الصرف، تحقيق: علي توفيق الحمد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1987)، ص 56.</p>	<p>المصطلح: الجامِدُ.</p>
<p>الجامِدُ. صفة مشبّهة. تاريخُه: م 756هـ/1355م. تعريفُه: الجامِدُ مِن الأَخْوَالِ: مَا لَيَسَتْ مُؤَوَّلَةً بِالْمُشْتَقِّ. شاهدُه: "تَنْقِيسُ بِاعْتِبَارَاتِهِ، الْأَوَّلُ انْقِسَامُهَا - بِاعْتِبَارِ اتِّقَالِ مَعْنَاهَا، وَلُزُومِهِ - إِلَى قِسْمَيْنِ: مُنْتَقِلَةٌ وَهُوَ الْعَالِبُ، وَمُلَازِمَةٌ، وَذَلِكَ وَاحِدٌ فِي ثَلَاثِ مَسَائِلٍ؛ إِحْدَاهَا الجامِدَةُ عَيْرُ المُؤَوَّلَةِ بِالْمُشْتَقِّ". مستعملُه: ابن هشام الأنباري. توثيق شاهدِه: ابن هشام، معنی الليب عن كتب الأعرب، تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله (دمشق: دار الفكر، ط 1، 1964)، ج 2: ص 516.</p>	<p>المصطلح: الجامِدُ.</p>

وكانت أول جذادة في فرع (جُمود) بتاريخ تأليف كتاب "الخصائص" لابن جني، عام (384هـ/994م)، وآخر جذادة في هذا الفرع بتاريخ وفاة مستعملها ابن مالك عام (672هـ/1273م)، على النحو الآتي:

المصطلح: الجُمودُ.	وسمة: مصدر.
تاریخه: 384هـ/994م.	تعريفه:
جُمودُ الْلَّفْظِ: مُلَازِمَتُهُ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ، فَلَا يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الْأَفْعَالِ، وَلَا يُشْتَقُّ مِنْهُ.	شاهدُهُ:
"فَقَدْ عَرَفْتَ إِذَا أَنَّ مَا أَهْمِلَ مِنَ التُّلَاثِيِّ لَغَيْرِ قُبْحِ التَّأْلِيفِ، نَحْوُ: ضَثٌ وَثَضٌّ، وَثَدٌّ وَدَثٌّ، إِنَّمَا هُوَ لِأَنَّ مَحَلَّهُ مِنَ الْرُّبَاعِيِّ مَحَلُّ الْرُّبَاعِيِّ مِنَ الْحُمَاسِيِّ، فَأَنَّاهُ ذَلِكَ الْقَدْرُ مِنَ الْجُمُودِ مِنْ حَيْثُ ذَكَرْنَا، كَمَا أَتَى الْحُمَاسِيِّ مَا فِيهِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي التَّكْسِيرِ وَالتَّحْقِيرِ وَالتَّرْخِيمِ". ابن جني.	مستعمله:
ابن جني، <i>الخصائص</i> ، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية والمكتبة العلمية، 1952)، ج 1: ص 63.	توثيق شاهدته:
المصطلح: الجُمودُ.	وسمة: مصدر.
تاریخه: 384هـ/994م.	تعريفه:
جُمودُ الْفِعْلِ: لُزُومُهُ وَقُصُورُهُ عَنِ التَّعْدِيِّ. "جَعَلَ تَعْدِيِ (فَعَلْتُ)، وَجُمُودٌ (أَفْعَلْتُ)، كَالْعِوَاضِ لِ(فَعَلْتُ)؛ مِنْ غَلَبَةِ (أَفْعَلْتُ) لَهَا عَلَى التَّعْدِيِّ، نَحْوُ: جَلَسَ وَأَجْلَسَتُهُ". ابن جني.	شاهدُهُ:
ابن جني، <i>الخصائص</i> ، ج 2: ص 215.	مستعمله:
المصطلح: الجُمودُ.	وسمة: مصدر.

<p>المصطلح: الجُمُودُ.</p> <p>وسمّه: مصدر.</p> <p>تاریخه: 994هـ/384م.</p> <p>تعريفه: جُمُودُ الْفَظِ: لُرُومَهُ صُورَهُ وَاحِدَهُ.</p> <p>شاهدُهُ: "فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: (لَرْمُو الرَّجُلُ), فَإِنَّهُ لَا يُصَرِّفُ, وَلَا يُفَارِقُ مَوْضِعَهُ هَذَا, كَمَا لَا يَتَصَرَّفُ (نَعْمَ) وَ(بِئْسَ), فَأَحْتَمَلَ ذَلِكَ فِيهِ; لِجُمُودِهِ عَلَيْهِ, وَأَمْنِيهِمْ تَعَدِّيَهُ إِلَى غَيْرِهِ".</p> <p>مستعملهُ: ابن جنّي.</p> <p>توثيق شاهدُه: ابن جنّي، <i>الخصائص</i>، ج 2: ص 349.</p>	<p>المصطلح: الجُمُودُ.</p> <p>وسمّه: مصدر.</p> <p>تاریخه: 672هـ/1273م.</p> <p>تعريفه: الجُمُودُ الْمَحْضُ: مُلَازَمَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ مِنَ الْاسْتِعْمَالِ.</p> <p>شاهدُهُ: "وَكَانَ حَفْهُ أَنْ يُبَيِّنَ; لِشَبَهِهِ بِالْحُرُوفِ فِي الجُمُودِ الْمَحْضِ وَالْوَضْعِ النَّاقِصِ؛ إِذْ هُوَ عَلَى حَرْفَيْنِ بِلَا ثَالِثٍ مُحَقَّقُ الْعَدَدِ. وَالْمَرَادُ بِالْجُمُودِ الْمَحْضِ: مُلَازَمَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ مِنَ الْاسْتِعْمَالِ".</p> <p>مستعملهُ: ابن مالك.</p> <p>توثيق شاهدُه: ابن مالك، <i>شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكامل المقاصد</i>، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2001)، ج 2: ص 164.</p>
---	--

وكانت الجذادة اليتيمة في فرع (إجماد) بتاريخ تأليف كتاب "الخصائص" لابن جي، عام (384هـ/994م):

المصطلح:	إجماد.
وسمة:	مصدر.
تاريخه:	384هـ/994م.
تعريفه:	إجماد اللفظ ونحوه: جعله جامداً لا يصرف، ولا يُستنقع منه.
شاهدُه:	"وَبَثَتَ اللَّهُ أَنَّهُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ إِحْلَالِهِمْ بِعَضِ أَصْوِلِ التَّلَاثِيِّ؛ لِتَلَأَّ يَخْلُو هَذَا الْأَصْلُ مِنْ ضَرِبٍ مِنَ الْإِجْمَادِ لَهُ، مَعَ شِيَاعِهِ وَاطْرَادِهِ فِي الْأَصْلَيْنِ اللَّذَيْنِ فَوْقُهُ، كَمَا أَكْعُنُ لَمْ يَخْلُو ذَوَاتِ الْحَمْسَةِ مِنْ بَعْضِ التَّصْرُفِ فِيهَا".
مستعمله:	ابن جي.
توثيق شاهدِه:	ابن جي، <i>الخصائص</i> ، ج 1: ص 62.

2. مصطلحات الاقتصاد:

اشتمل على أربع جذادات معجمية مشتملة على ثلاثة أبنية صرفية (الجمود، جمود، التجميد) بدلاتها الاصطلاحية المختلفة، وكانت الجذادة الأقدم (جمود)، وهي بتاريخ تأليف الوثيقة "عناصر تنمية الدخل القومي" لعلي الساعدي، عام (1391هـ/1970م):

المصطلح:	الجمود.
وسمة:	مصدر.
تاريخه:	1391هـ/1970م.
تعريفه:	الجمود الاقتصادي: التَّسَاوِي بَيْنَ نِسْبَةِ زِيَادَةِ الدَّخْلِ الْقَوْمِيِّ وَنِسْبَةِ زِيَادَةِ السُّكَّانِ.
شاهدُه:	"وَالحَالَةُ الثَّانِيَةُ: حِينَما يَكُونُ (أ + ب = ك)، أَيْ: التَّسَاوِي بَيْنَ نِسْبَةِ زِيَادَةِ الدَّخْلِ الْقَوْمِيِّ وَنِسْبَةِ زِيَادَةِ السُّكَّانِ، وَهَذَا يَعْنِي: الْجُمُودِ الْإِقْتِصَادِيِّ".
مستعمله:	علي الساعدي.
توثيق شاهدِه:	علي الساعدي، "عناصر تنمية الدخل القومي"، مجلة القانون والاقتصاد، جامعة البصرة، 2(3-4)، 1970، ص 430.

وكانت أول جذادة في فرع (جمد) بتاريخ تأليف كتاب "أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة" لـ محمد علي مغربي، عام (1405هـ/1984م)، وبالتالي نفسه كانت الجذادة الثانية في هذا الفرع، وهو تاريخ تأليف كتاب "البحث عن السادات" لـ يوسف إدريس.

المصطلح: جَمَدٌ.	وسمّه: متعدّد.
تاریخه: 1405هـ/1984م.	تعريفه: جَمَدَ الْمَالُ: حَوَّلَهُ مِنْ نُقُودٍ وَنَحْوِهَا إِلَى عَقَارٍ.
شاهدُهُ: "وَلَكِنَّ التُّجَارَ كَانُوا لَا يُفَكِّرُونَ كَثِيرًا فِي شَرَاءِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْبُيُوتِ، إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا تُحَمِّدُ الْمَالَ السَّائِلَ الَّذِي يَتَعَامِلُونَ بِهِ فِي تِجَارَاتِهِمْ".	مستعملُهُ: محمد علي مغربي.
توثيق شاهدِه: محمد علي مغربي، <i>أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة</i> (جدة: دار نهامة ودار العلم، 1984)، ج 1: ص 15.	توثيق شاهدِه: محمد علي مغربي، <i>أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة</i> (جدة: دار نهامة ودار العلم، 1984)، ج 1: ص 15.
المصطلح: جَمَدٌ.	وسمّه: متعدّد.
تاریخه: 1405هـ/1984م.	تعريفه: جَمَدَ الْمَالُ: مَنَعَ التَّصْرِيفَ فِيهِ.
شاهدُهُ: "نَفْسُ الْبِلَادِ الَّتِي جَمَدَتْ بِقَوَانِينِهَا أَمْوَالَ إِيْرَانَ وَقَبْلَهَا مِصْرَ".	مستعملُهُ: يوسف إدريس.
توثيق شاهدِه: يوسف إدريس، <i>البحث عن السادات</i> (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2022)، ص 94.	توثيق شاهدِه: يوسف إدريس، <i>البحث عن السادات</i> (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2022)، ص 94.

وكانت الجذادة الوحيدة في فرع (التَّجْمِيد) بتاريخ تأليف كتاب "الاستثمارات العربية في الخارج" لـ هشام غرابية، عام (1406هـ/1985م)، وهي:

المصطلح:	التَّجْمِيدُ.
وسمه:	مصدر.
تاریخه:	1406هـ/1985م.
تعريفه:	تَجْمِيدُ الْأَرْصِدَةِ وَنَحْوُهَا: مَنْعُ التَّصَرُّفِ فِيهَا، أَوْ تَقْيِيدُهُ.
شاهدته:	"وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي أَعْقَابِ ضَعْفِ الدُّولَارِ الْأَمْرِيَكِيِّ فِي الْأَسْوَاقِ الْعَالَمِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى قَرَارِ الْحُكُومَةِ الْأَمْرِيَكِيَّةِ بِتَجْمِيدِ الْأَرْصِدَةِ الْإِيْرَانِيَّةِ فِيهَا؛ وَذَلِكَ بَعْدَ تَرَدِّيِ الْعَالَقَاتِ السِّيَاسِيَّةِ بَيْنَ الدُّولَتَيْنِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ".
مستعمله:	هشام غرابية.
توثيق شاهدته:	هشام غرابية، "الاستثمارات العربية في الخارج"، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، جامعة عين شمس، كلية التجارة، 1985، ص 610.

3. مصطلحات الفيزياء:

اشتمل هذا المجال على أربع جذادات معجمية في أربعة مجالات مصطلحية، اشتتملت على أربعة أبنية صرفية (التَّجْمِيد، الْجُمُود، الإِجْمَاد، التَّجْمُد) بدلًا لاتخاذ المصطلحية المختلفة، وكانت الجذادة الأولى في فرع (التَّجْمِيد) بتاريخ (350هـ/1961م)، عام وفاة المستعمل:

المصطلح:	التَّجْمِيدُ.
وسمه:	مصدر.
تاریخه:	ن 350هـ/1961م.
تعريفه:	تَجْمِيدُ الْمَادَةِ: جَعْلُ أَجْرَائِهَا مُجْتَمِعَةً مُنْضَافَةً بِحَيْثُ تُصْبِحُ أَصْغَرَ حَجْمًا.
شاهدته:	"اعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ فُوَّةَ هَذِهِ النَّفْسِ فِي هَذِهِ الْأَزْكَانِ، الَّتِي هِي النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ... وَأَنَّ أَوَّلَ أَفْعَالِ هَذِهِ الْفُوَى فِي هَذِهِ الْأُسْطُفَسَاتِ هُوَ: التَّحْرِيكُ وَالْتَّسْكِينُ، وَالْتَّبِيرُ وَالْتَّسْخِينُ، وَالْتَّحْلِيلُ وَالتَّجْمِيدُ، وَالْتَّصْعِيدُ وَالتَّفَطِيرُ".
مستعمله:	إخوان الصفا.
توثيق شاهدته:	إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء (مكتب الإعلام الإسلامي، 1405)، ج 3: ص 191.

والجذادة الثانية في فرع (الجمود) بتاريخ (418هـ/1027م) عام تأليف كتاب "الشفاء: الطبيعتي" لابن سينا، وهي:

المصطلح:	الجمود.
وسمة:	مصدر.
تاریخه:	418هـ/1027م.
تعريفه:	جُمُودُ المَادَّةِ: اجْتِمَاعُ أَجْزَائِهَا وَتَضَامُهَا بِحَيْثُ تُصْبِحُ أَصْفَرَ حَجْمًا.
شاهدُهُ:	"فَإِنَّمَا الْجُمُودُ، فَلَيْسَ هُوَ حَرْكَةٌ؛ فَلَعَلَّ الْوَاجِبَ أَنْ يُجْعَلَ الْجُمُودُ اجْتِمَاعَ الْمَادَّةِ إِلَى حَجْمٍ صَغِيرٍ".
مستعملُهُ:	ابن سينا.
توثيق شاهدُهُ:	ابن سينا، <i>الشفاء الطبيعتي</i> ، تحقيق: سعيد زايد وآخرين (قم: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط2، 1406هـ/2006م)، ج2: ص156.

والجذادة الثالثة في فرع (الإجماد) بتاريخ (418هـ/1027م) عام تأليف كتاب "الشفاء: الطبيعتي" لابن سينا، وهي:

المصطلح:	الإجماد.
وسمة:	مصدر.
تاریخه:	418هـ/1027م.
تعريفه:	إِجْمَادُ الْبَخَارِ وَنَحْوِهِ: تَحْوِيلُهُ صُلْبٍ.
شاهدُهُ:	"أَسْبَابُ كَثْرَةِ الزَّلَازِلِ ثَلَاثَةٌ؛ أَحَدُهَا هَدَاءُ، وَالثَّانِي عِظُمُ الرِّيحِ، وَالثَّالِثُ كَثْرَةُ تَوْلِيقِهَا. وَقَلَمَا تَكُونُ الزَّلَزَلُ فِي الشَّتَاءِ؛ لِشَدَّةِ إِجْمَادِ بَرْدِهِ لِلْبَخَارِ الدُّخَانِيِّ".
مستعملُهُ:	ابن سينا.
توثيق شاهدُهُ:	ابن سينا، <i>الشفاء الطبيعتي</i> ، ج2: ص18.

وكانت الجذادة الرابعة في فرع (التجمُود) بتاريخ (1293هـ/1875م)، عام تأليف كتاب "الملزمة الرابعة والأربعون إلى الحادية والخمسين من كتاب الفوائد البديعة في علم الطبيعة" لمنصور أفندي أحمد، وهي:

الْتَّجَمُدُ.	المصطلح:
مَصْدَرٌ.	وَسْمُهُ:
1293هـ/1875م.	تَارِيْخُهُ:
الْتَّجَمُدُ: الِّاِنْتِقَالُ مِنْ حَالَةِ السُّيُولَةِ إِلَى حَالَةِ الصَّلَابَةِ.	تَعْرِيْفُهُ:
"الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ فِي التَّجَمُدِ وَقَوْلَيْنِي: التَّجَمُدُ هُوَ الِّاِنْتِقَالُ مِنْ حَالَةِ السُّيُولَةِ إِلَى حَالَةِ الصَّلَابَةِ".	شَاهِدُهُ:
منصور أفندي أحمد.	مُسْتَعْمِلُهُ:
منصور أفندي أحمد، "المِلْزَمَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونُ إِلَى الْحَادِيَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ كِتَابِ الْفَوَائِدِ الْبَدِيعَةِ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ"، مجلَّةُ رُوْضَةِ الْمَدَارِسِ، الْقَاهِرَةُ، 7(7)، 397هـ، 10، 1293هـ، ص.	تَوْثِيقُ شَاهِدِهِ:

4. مصطلحات الفلسفة:

اشتمل هذا المجال المصطلحي على جذاذتين اثنتين في بنين صرفيتين (الجماد، الجامد)، وكان تاريخ أولى الجذاذتين عام (نـ 350هـ/961م)، بوفاة مستعمل الشاهد:

الْجَمَادُ.	المصطلح:
اسْمٌ.	وَسْمُهُ:
نـ 350هـ/961م.	تَارِيْخُهُ:
الْجَمَادُ: كُلُّ جِسْمٍ مَعْدِيٍّ لَيْسَ لَهُ حِسْنٌ وَلَا حَرَكَةٌ إِرَادِيَّةٌ.	تَعْرِيْفُهُ:
"الْجُوْهَرُ نَوْعَانٍ: جِسْمَانٌ، وَرُوْحَانٌ. فَالجِسْمَانُ نَوْعَانٌ: فَلَكِيٌّ، وَطَبِيعَيٌّ. فَالطَّبِيعَيُّ نَوْعَانٍ: بَسِيْطٌ، وَمُرْكَبٌ. فَالبَسِيْطُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٌ: نَازِرٌ، وَهَوَاءٌ، وَمَاءٌ، وَأَرْضٌ. وَالْمُرْكَبُ نَوْعَانٌ: جَمَادٌ، وَنَامٌ. فَالْجَمَادُ هُوَ الْأَجْسَامُ الْمَعْدِيَّةُ. وَالنَّامِيُّ نَوْعَانٌ: نَبَاتٌ، وَحَيَّوْانٌ".	شَاهِدُهُ:
إخوان الصفا.	مُسْتَعْمِلُهُ:
إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج 1: ص 408.	تَوْثِيقُ شَاهِدِهِ:

وكان تاريخ الجذادة الثانية عام (1435هـ/2013م)، بتاريخ تأليف كتاب "الوجودية"، ترجمة مروة عبد السلام:

الحادِمُ.	المصطلح:
صفة مشبّهة.	وسمُهُ:
1435هـ/2013م.	تارِيُخُهُ:
الحادِمُ العَمَلِيُّ: التَّطْبِيقَاتُ العَمَلِيَّةُ السَّابِقَةُ الْمُتَرَسِّبَةُ الَّتِي تُقْيِدُ وَتُسَهِّلُ التَّطْبِيقَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الْحَالِيَّةِ.	تعريفُهُ:
"وَتَوَلَّ الْجَامِدُ الْعَمَلِيُّ - التَّطْبِيقَاتُ الْعَمَلِيَّةُ السَّابِقَةُ الْمُتَرَسِّبَةُ الَّتِي تُقْيِدُ وَتُسَهِّلُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ التَّطْبِيقَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الْحَالِيَّةِ بِنَفْسِ الْأَسْلُوبِ الَّذِي تُقْيِدُ بِهِ الْلُّغَةُ أَفْعَالَ التَّحْدُثِ وَتُسَهِّلُهَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ - وَظِيفَتِ الْوُجُودِ فِي حَدِّ دَائِرَةِ، أَوِ الْأَدَوْعِيِّ".	شاهدُهُ:
مروة عبد السلام.	مستعملُهُ:
مروة عبد السلام، الوجودية: مقدمة قصيرة جدًا، لـتوماس آرفلين (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2013)، ص 111.	توثيق شاهدِهِ:

5. مصطلحات الفقه:

اشتمل أيضًا على جذاذتين في بنيتين صرفتين (جمَد، جَمَاد)، وكان تاريخ أولاهما عام (480هـ/1087م)، بتاريخ تأليف كتاب "روضة القضاة وطريق النّجاة" لمؤلفه ابن السِّمْنَانِي:

جَمَدَ.	المصطلح:
متعدِّد.	وسمُهُ:
1087هـ/480م.	تارِيُخُهُ:
جَمَدَ حَقَّهُ فِي الشَّيْءِ: اخْتَفَظَ بِهِ عَلَى حَالِهِ، فَلَمْ يُسْقِطُهُ، وَلَمْ يَتَصَرَّفْ فِيهِ بِبَيْعٍ أَوْ نَحْوِهِ.	تعريفُهُ:
"كَمَا لَا يَجُوُرُ لِمَنْ لَهُ دَارَانِ فِي دَرْبَيْنِ مُتَلَاقِصَيْنِ أَنْ يَفْتَحَ مِنْ أَحَدِهِمَا بَابًا إِلَى الْأُخْرَى فَيَجْعَلُ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا لَمْ يَكُنْ لَهُ... وَمِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ: لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ، فَلَهُ أَنْ يُعِيرُهُ وَلَهُ أَنْ يُجْمِدُهُ، وَإِلَّا أَدَى إِلَى ضَيَاعِهِ".	شاهدُهُ:
ابن السِّمْنَانِي.	مستعملُهُ:
ابن السِّمْنَانِي، روضة القضاة وطريق النّجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي (بيروت: مؤسسة الرسالة، عمان: دار الفرقان، ط 2، 1984)، ج 2: ص 558.	توثيق شاهدِهِ:

وكان تاريخ الجذادة الثانية عام (488هـ/1095م)، بتاريخ تأليف كتاب "الوسيط في المذهب"، لأبي حامد الغزالى:

الجماد.	المصطلح:
صفة مشبهة	وسمة:
488هـ/1095م.	تاريخه:
الجماد من الأموال: كُلُّ مُتَمَوِّلٍ مَعْصُومٌ.	تعريفه:
"أَمَّا الجَمَادَاتُ، فَكُلُّ مُتَمَوِّلٍ مَعْصُومٍ مَضْمُونٌ".	شاهدُه:
أبو حامد الغزالى.	مستعمله:
أبو حامد الغزالى، الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم	توثيق شاهدُه:
ومحمد تامر (القاهرة: دار السلام، ط1، 1997)، ج3: ص392.	

6. مصطلحات الطب والصيدلة:

اشتمل هذا المجال المصطلحي أيضاً على جذاذتين في بنيتين صرفيتين (جمدي، جمد)، تاريخ أولى الجذاذتين عام (682هـ/1283م)، بوفاة المستعمل ذكرياً بن محمد الفزويي:

جمديّ.	المصطلح:
صفة.	وسمة:
ن682هـ/1283م.	تاريخه:
الجمديّ: الشَّيْءُ بِالْجَمْدِ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ مُكَوَّنَاتِ الْعَيْنِ، يَمْرُ عَبْرَهُ الضَّوْءُ.	تعريفه:
"وَخَلَقَ مَتَّقُوبَ الْوَسْطِ، حَيْثُ يُقَابِلُ وَسَطَ الْجَمْدِ؛ لِتَلَّا يَمْنَعَ بِكُمُودَتِهِ وُصُولَ الضَّوْءِ إِلَى الْجَمَدِيَّةِ".	شاهدُه:
الفزويي.	مستعمله:
الفزويي، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فرديناند فستينفيلد (ألمانيا: الجمعية الشرقية الألمانية، 1848)، ص334.	توثيق شاهدُه:

وكان تاريخ الجذادة الثانية عام (1440هـ/2018م)، بتاريخ تأليف كتاب "جوهر الإنسانية"، لزينب عاطف:

المصطلح:	جمَدٌ.
وسمُهُ:	مُتَعَدِّدٌ.
تارikhُهُ:	1440هـ/2018م.
تعريفُهُ:	جمَدَ الْبُوِيْضَةَ وَخَوْهَا: وَضَعَهَا فِي نِظَامٍ تَبْرِيدٍ خَاصٍ لِحَفْظِهَا حَتَّى تُلَقَّحَ لَاحِقًا.
شاهدُهُ:	"وَرِئَمَا تَجَمَّدُ الْبُوِيْضَاتُ الْمُتَبَقِّيَّةُ حَتَّى تُخَصَّبَ وَتُزَرَّعَ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ".
مستعملُهُ:	زينب عاطف.
توثيق شاهدِهِ:	زينب عاطف، جوهر الإنسانية: سعي لا ينتهي وحراؤك لا يتوقف، لشارلز باسترناك (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2018)، ص 366.

7. مصطلحات البلدان والجغرافيا:

وُقِفَ في هذا المجال على جذادة واحدة في فرع (محمد) بتاريخ (750هـ/1349م)، عام وفاة مستعملها نجم الدين المصري:

المصطلح:	الْمُجَمَدٌ.
وسمُهُ:	اسم مفعول.
تارikhُهُ:	ن 750هـ/1349م.
تعريفُهُ:	الْمُجَمَدُ مِنَ الْأَصْطَرُلَابَاتِ: الَّذِي كَوَافِكُهُ جَامِدَةٌ فِي الصَّفِيحةِ.
شاهدُهُ:	"فِي مَعْرِفَةٍ وَضَعِ الْأَصْطَرُلَابِ الْمُجَمَدِ، وَيُسَمَّى مُجَمَدًا لِكَوْنِ كَوَافِكِهِ جَامِدَةً فِي الصَّفِيحةِ".
مستعملُهُ:	نجم الدين المصري.
توثيق شاهدِهِ:	نجم الدين المصري، كتاب في الآلات الفلكية، تحقيق: فرانسوا شاريت (ليدن: دار برييل، 2003)، ص 31.

بناء على ما تقدّم من استعراض للمجالات المصطلحية، وما اشتملت عليه من جذادات؛ تبيّن أن نسبة المصطلح في المادة العينة (جد) لا تكاد تتجاوز ما هو متوقع في مجمل مواهِد المعجم، مع الأخذ في الحسبان أن المعجم لا يعتمد في المصطلح سوى المصدر أو الاسم، ويتجاوز ما وراء ذلك من المشتقات، إلَّا "إذا جاء المصطلح بصيغة الفعل أو المشتق، بتاريخ أسبق من الاسم أو المصدر، تحرّر جذادة له، وجذادة للاسم أو المصدر" ¹، وفيه أيضًا: "الغالب أن يرد المصطلح اسمًا أو مصدرًا، ولا يوسم الفعل أو المشتق بمصطلح، إلَّا إذا دلَّ على خصوصية مفهومية، لا لمجرد اختلاف دلالته الصرفية الاشتقاقية التي يمكن التعبير عنها بـالإِحالة" ².

خاتمة

يظهر غنى معجم الدوحة التاريخي للغة العربية بالمصطلحات في مجالات كثيرة، وهي تنماز باستلالها من سياقات استعمالية في شواهد حيَّة منسوبة إلى مستعملين معروفيين، وضمن نطاق تاريخي محدَّد، وتعريفاتها في المعجم ذات طبيعة خاصة.

ويمكِن الاستفادة من ضخامة هذه المادَّة في إقامة بحوث نوعية تتولَّ المصطلحات فرادى وفُقَّ بجالاتها، ويمكن أن تقوم بذلك فِرقٌ بحثية من لهم باعُ في الصناعة المعجمية، وإسهام في صناعة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

¹ انظر: "الدليل المعياري للتحرير المعجمي"، ص.38.

² المرجع السابق، القسم الأول: ضوابط التحرير العلمية والمنهجية، سادسًا: ضوابط تحرير المصطلحات.

المصادر والمراجع

- ابن السِّمْنَانِي، روضةُ الْفَضَّاهُ وطَرِيقُ النَّجَاهَ، تَحْقِيق: صَلَاحُ الدِّينِ النَّاهِي (بِيْرُوت: مَؤْسَسَةُ الرِّسَالَةِ، عُمَان: دَارُ الْفَرْقَانِ، طِّنَّهُ 2، 1984).
- ابن جنِي، الْخَصَائِصُ، تَحْقِيق: مُحَمَّدُ عَلِيُّ النَّجَارِ (الْقَاهِرَةُ: دَارُ الْكِتَابِ الْمُصْرِيَّةِ، الْمَكْتَبَةِ الْعَلَمِيَّةِ، 1952).
- ابن سِينَا، الشَّفَاءُ الْطَّبِيعِيَّاتُ، تَحْقِيق: سَعِيدُ زَايدُ وَآخَرِينَ (قِمُّ: مَنْشُورَاتُ مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْمَرْعَشِيِّ النَّجَفِيِّ، الْقَاهِرَةُ: الْمَهَيَّةُ الْمُصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلتَّأْلِيفِ وَالنُّشُرِ، طِّنَّهُ 2، 1406هـ).
- ابن مَالِكٍ، شَرْحُ التَّسْهِيلِ تَسْهِيلُ الْفَوَائِدِ وَتَكْمِيلُ الْمَقَاصِدِ، تَحْقِيق: مُحَمَّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ عَطَا، طَارِقُ فَتْحِيِ السَّيِّدِ (بِيْرُوت: دَارُ الْكِتَابِ الْعَلَمِيَّةِ، طِّنَّهُ 1، 2001).
- ابن هِشَامٍ، مَغْنِيُّ الْلَّبِيبِ عَنْ كِتَابِ الْأَعْارِبِ، تَحْقِيق: مَازِنُ الْمَبَارَكِ، مُحَمَّدُ عَلِيُّ حَمْدُ اللَّهِ (دَمْشِقُ: دَارُ الْفَكْرِ، طِّنَّهُ 1، 1964).
- إِخْوَانُ الصَّفَا، رَسَائِلُ إِخْوَانَ الصَّفَا وَخَلَانَ الْوَفَاءِ (قِمُّ: مَكْتَبُ الْإِعْلَامِ الْإِسْلَامِيِّ، 1405هـ).
- الْجَرْجَانِيُّ، كِتَابُ الْمُفْتَاحِ فِي الْصِّرَافِ، تَحْقِيق: عَلِيُّ تَوْفِيقُ الْحَمْدِ (بِيْرُوت: مَؤْسَسَةُ الرِّسَالَةِ، طِّنَّهُ 1، 1987).
- الْدَّائِنِيُّ، الْحَكْمُ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ، تَحْقِيق: عَزْرَةُ حَسَنٍ (دَمْشِقُ: دَارُ الْفَكْرِ، بِيْرُوت: دَارُ الْفَكْرِ الْمُعَاصِرِ طِّنَّهُ 2، 1997).
- رِينَبُ عَاطِفُ، جَوَهْرُ الْإِنْسَانِيَّةِ: سَعْيٌ لَا يَنْتَهِي وَحَرَّاكٌ لَا يَتَوَقَّفُ، لِتِشَارْلُزِ باسْتِرْنَاكِ (الْمَمْلَكَةُ الْمُتَحَدَّةُ: مَؤْسَسَةُ هَنْدَوَيِّ، 2018).
- سِبِّوِيَّهُ، الْكِتَابُ، تَحْقِيق: عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ (الْقَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ الْخَانِجِيِّ، طِّنَّهُ 3، 1996).
- عَلِيُّ السَّاعِدِيُّ، "عِنَادُرُ تَنْمِيَةِ الدِّخْلِ الْقَومِيِّ"، مَجَلَّةُ الْقَانُونِ وَالْإِقْتَصَادِ، جَامِعَةُ الْبَصْرَةِ، 1970، (4-3)2.
- الْغَزَالِيُّ، الْوَسِيْطُ فِي الْمَذَهَبِ، تَحْقِيق: أَحْمَدُ مُحَمَّدٍ إِبْرَاهِيمٍ، مُحَمَّدُ تَامِرَ (الْقَاهِرَةُ، دَارُ السَّلَامِ، طِّنَّهُ 1، 1997).

القرويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فرديناند فستينفيلد (ألمانيا: الجمعية الشرقية الألمانية، 1848).

الميرد، الكامل، تحقيق: محمد الدالي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1997). محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (جدة: دار تحامة، دار العلم، 1984).

مروة عبد السلام، الوجودية: مقدمة قصيرة جدًا، لتوomas آرفلين (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2013).

منصور أفندي أحمد، "المزمدة الرابعة والأربعون إلى الحادية والخمسين من كتاب الفوائد البدية في علم الطبيعة"، مجلة روضة المدارس، القاهرة، 7(7)، 10، 1293هـ.

نجم الدين المصري، كتاب في الآلات الفلكية، تحقيق: فرانسوا شاريت (ليدن: دار برييل، 2003). هشام غرانية، "الاستثمارات العربية في الخارج"، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، جامعة عين شمس، 1985.

يوسف إدريس، البحث عن السادات (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2022). "مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية"، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

"الدليل المعياري للتحرير المعجمي"، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، إصدار يونيو 2024.

References

- Al-Dānī, *al-Muhkam fī Naqt al-Maṣāḥif*, ‘Izzah Ḥasan (Ed.) (Damascus: Dār al-Fikr; Beirut: Dār al-Fikr al-Mu‘āṣir, 2nd Ed., 1997).
- Al-Ghazālī, *al-Wasīt fī al-Madhab*, Aḥmad Maḥmūd Ibrāhīm & Muḥammad Tāmir (Eds.) (Cairo: Dār al-Salām, 1st Ed., 1997).
- Al-Jurjānī, *Kitāb al-Miftāḥ fī al-Ṣarf*, ‘Alī Tawfīq al-Ḥamad (Ed.) (Beirut: Mu’assasah al-Risālah, 1st Ed., 1987).
- Al-Mubarred, *al-Kāmil*, Muḥammad al-Dālī (Ed.) (Beirut: Mu’assasah al-Risālah, 3rd Ed., 1997).
- Al-Qazwīnī, ‘Ajā’ib al-Makhlūqāt wa-Gharā’ib al-Mawjūdāt, Ferdinand Wüstenfeld (Ed.) (Germany: al-Jam‘iyyah al-Sharqiyah al-Almāniyyah, 1848).
- Hishām Gharāybah, “al-Istithmārāt al-‘Arabiyyah fī al-Khārij”, *al-Majallah al-‘Ilmiyyah lil-Iqtisād wal-Tijārah*, Ain Shams University, 1985.
- Ibn al-Simnānī, *Rawdah al-Qudāh wa-Ṭarīq al-Najāh*, Ṣalāḥuddīn al-Nāhī (Ed.) (Beirut: Mu’assasah al-Risālah, Amman: Dār al-Furqān, 2nd Ed., 1984).
- Ibn Hishām, *Mughnī al-Labīb ‘an Kutub al-‘Ārīb*, Māzin al-Mubārak & Muḥammad ‘Alī Ḥamdallāh (Eds.) (Damascus: Dār al-Fikr, 1st Ed., 1964).
- Ibn Jinnī, *al-Khaṣā’iṣ*, Muḥammad ‘Alī al-Najjār (Ed.) (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, al-Maktabah al-‘Ilmiyyah, 1952).
- Ibn Mālik, *Sharḥ al-Tashīl: Tashīl al-Fawā’id wa-Takmīl al-Maqāṣid*, Muḥammad ‘Abdulqādir ‘Atā & Ṭāriq Fathī al-Sayyid (Eds.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 2001).
- Ibn Sīnā, *al-Shifā’*: *al-Ṭabī‘iyāt*, Sa‘īd Zāyid et al. (Ed.) (Qom: Manshūrāt Maktabah Āyatullāh al-‘Uzmā al-Mar‘ashī al-Najafī, Cairo: al-Hay’ah al-Miṣriyyah al-‘Āmmah lil-Ta’līf wal-Nashr, 2nd Ed., 1406H.).
- Ikhwān al-Ṣafā’, *Rasā’il Ikhwān al-Ṣafā’ wa-Khīlān al-Wafā’* (Qom: Maktab al-Ilām al-Islāmī, 1405H.).

Manṣūr Afandī Aḥmad, “al-Mulazzamah al-Rābi‘ah wal-Arba‘ūn ilā al-Ḥādiyah wal-Khamsīn min Kitāb al-Fawā’id al-Badī‘ah fī ‘Ilm al-Ṭabī‘ah”, *Majallah Rawdah al-Madāris*, Cairo, 7(7), 10, 1293H.

Marwah ‘Abdussalām, *al-Wujūdiyyah: Muqaddimah Qaṣīrah Jiddan*, By Thomas Aflin (UK: Mu’assasah Hindāwī, 2013).

Muhammad ‘Alī Maghribī, *A ‘lām al-Hijāz fī al-Qarn al-Rābi‘ ‘Ashar lil-hijrah* (Jeddah: Dār Tihāmah & Dār al-‘Ilm, 1984).

Najmuddīn al-Miṣrī, *Kitāb fī al-Ālāt al-Falakiyyah*, François Charette (Ed.) (Leiden: Brill, 2003).

Sībawyh, *al-Kitāb*, ‘Abdussalām Hārūn (Ed.) (Cairo: Maktabah al-Khānjī, 3rd Ed., 1996).

Yūsuf Idrīs, *al-Bahth ‘an al-Sādāt* (UK: Mu’assasah Hindāwī, 2022).

Zaynab ‘Ātif, *Jawhar al-Insāniyyah: Sa ‘yun lā Yantahī wa-Harāk lā Yatawaqqaf*, By Charles Pasternak (UK: Mu’assasah Hindāwī, 2018).

‘Alī al-Sā‘idī, “‘Anāṣir Tanmiyat al-Dakhl al-Qawmī”, *Majallah al-Qānūn wal-Iqtisād*, University of Basrah, 2(3-4), 1970.

“Al-Dalīl al-Mi‘yārī lil-Tahrīr al-Mu‘jamī”, *Mu‘jam al-Dawhah al-Tārīkhī lil-Lughah al-‘Arabiyyah*, June 2024 Ed.

“Muqaddimah Mu‘jam al-Dawhah al-Tārīkhī lil-Lughah al-‘Arabiyyah”, *Mu‘jam al-Dawhah al-Tārīkhī lil-Lughah al-‘Arabiyyah*.



Accepted
2025-10-29

Received
2025-8-29

2025 - (2)2

منهج المعجم التارخي للشارقة وأثره في صناعة الحقائق الاصطلاحية قراءةً وصفيّةً نقديةً

الأخضر الأخضر*

مُستخلص

هذا البحث في القراءة المعجمية من حيث أبوابها ومفاتيحها المحرضة على ضبط المصطلح وفق منهج علمي دأب عليه الحذاق والعقلاء، فقد تستفتح بها الفنون باستقلالية محمودة، فتحرر الحقائق وفقة، وتقتضي الشرائط والضوابط عينده، وتكتمل المباني من حيث مناهجها ومصطلحاتها، وتشد إليها المدارس والمسالك أعناقها، ومن الإشكالات المشرقة النظر في منهج جمع العلوم في بوتقة واحدة على اختلاف مقدّماتها العقدية واللغوية والخطابية، فكان الاستهلال ببيان الفروق الوضعية والاستعمالية بين يدي تحقيق مقام الحمل، من حيث الكشف عن المرادات وتصورها؛ ترخيصاً بمراحل محاكمة نوازتها، مع رعي التمثيل تحقيقاً ل Maherity الآثار المترتبة على التنظير، كل ذلك منهج وصفيٌّ نقدٌّ وفقَ اعتبارات مختلفة.

مفاتيح البحث: القراءة، المعجمية، الاصطلاح، الاستعمال اللغوي، المعجم التارخي

* أستاذ الأصول والمقاصد، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، islemakhdari@icloud.com



The Methodology of the Sharjah Historical Dictionary and its Impact on the Formation of Terminological Facts: A Descriptive and Critical Review

Alakhdar Alakhdari*

Abstract

This study addresses lexicographical reading in terms of its categories and operative keys that facilitate the precise regulation of terminology according to a scientific method adopted by discerning scholars and rational thinkers. Through this approach, disciplines may be introduced with an acceptable degree of methodological independence, enabling the clarification of concepts, the formulation of conditions and parameters, and the completion of disciplinary structures in terms of their methodologies and terminologies. It is an approach to which schools of thought and intellectual traditions have devoted sustained attention. One of the central problematics addressed in this study is the tendency to aggregate diverse sciences within a single framework despite their differing doctrinal, linguistic, and discursive premises. Accordingly, the study begins by delineating the conventional and functional distinctions among terms, with a view to uncovering and conceptualizing their intended meanings, while adhering to the stages of critically examining their underlying causes. Attention is also given to illustrative exemplification in order to determine the nature of the consequences that arise from theoretical construction. All of this is pursued through a descriptive-critical methodology grounded in multiple analytical considerations.

Keywords: *Reading, lexicography, terminology, linguistic usage, historical dictionary*

* Professor of Islamic Jurisprudence and its Objectives (al-Maqāsid), University of Oran, Algeria, islemakhdari@icloud.com.

مقدمة

إن بسط المباحث على مقتضى المناسبات العقلية، وسوق الدليل؛ مقيد بحجر التسميات الذوقية على وجه يجمع فيه الناظر بين تحرير التصورات الصحيحة، والحجج الصرحية مُتَذَرِّجاً بمعهود العرب فهما وصوغاً وتعليلياً.

والجامع في ذلك حسراً التردد على ثلاثة الوضع والاستعمال والحمل، بمنهج نسج الحقائق على طرق التقريب والتحديد؛ إذ التعويل على مناهج المانطقة حداً ورسماً وترادفاً، أو مناهج التقريب ضرراً للممثل وذكراً للأقسام؛ بحسب اعتبارات المعاني، على معنى أن الوضع يُحيي على الحقيقة اللغوية التي يُحدُّها القدر المشترك بين المعاني المتناثرة وسط المداخل الكلية المخرجية على جنس أجناس الجذور العالية.

و"يكشف الاستعمال اللغوي للفظ (مقدمة)" - كما أوردته المعجمات ودوّنته النصوص - أنه يدلُّ على السبق، والأولوية، والتقدم، وهذا ما تلمسه من السياقات اللغوية التي ورد فيها، إذ دارت في فلك هذا المعنى العام".¹

أما الاستعمال بقسميه الشرعي والاصطلاحي، فإنه يسوقُ الحقائق اللغوية وجهة ما يريده، باعتبار عُرُوفِ الخطاب، فقد يُضيقُ واسعاً، أو يطابق معلوّماً، أو يعمّل لازماً؛ من غير خروج عن إماماة الوضع اللغوي، قال أحمد زايد: "أما المقدمة في الاستعمال الاصطلاحي، فقد ذكرت كُتب مصطلحات العلوم والفنون عدة استعمالات اصطلاحية للمقدمة عند العلماء العرب القدماء، وهذه الاستعمالات قد تبأّنت حسب كُلِّ فنٍ وصنعة".²

وأما الحمل فمتعلّق بالكشف عن مُراد الخطاب بما تقرّره الإلزامات اللغوية والمعهودات الاستعمالية.

¹ أحمد محمد علي حسن زايد، "بنية المقدمة في المعجمات اللفظية التراثية: قراءة تحليلية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، 11(11)، 2018، ص787.

² السابق نفسه.

وتنشأ الإشكالية التي أثارت باركًا من التأثير العميق للقراءة المعجمية في تحديد الحقائق الاصطلاحية، وما يرتبط بها من شرائط وضوابط، إذ تظهر الحاجة إلى دراسة كيفية صوغ المصطلحات في المعاجم، وضبط معانيها سياسياً ومؤسسياً، وما إن كانت هذه القراءة تُمكّن الباحث من بناء حقيقة اصطلاحية معيارية.

ومن الأسئلة البحثية:

- كيف تعكس القراءة المعجمية على بناء المصطلح الاصطلاحي بدقة ووضوح في العلوم العربية؟
 - ما الآليات التي يعتمدها المعجميون في ضبط حدود المصطلحات اللغوية؟
 - ما أثر القيود الصياغية والمنطقية على تشكيل الحقائق الاصطلاحية؟
- ويتوسل البحثُ بالمنهج الوصفي، مع تطبيقات نصية على المعجم التأريخي لإمارة الشارقة، ويشمل تحليل المداخل الاصطلاحية في المعاجم، والكشف عن الأسس الدلالية والمنطقية التي تحكم صوغها، مع رصد كيفية توظيف الشرائط والضوابط النصية والأسلوبية في تحديد المصطلحات.

أما الدراسات السابقة فقد استبَدَت بالصناعة المعجمية تأريخًا ودلالةً وفعيلاً، واستقلَّت المناطقة بالجمع بين المختلافات في أجناسهم الذاتية وأعراضهم الخاصة، والتفريق بين المتشابهات في فصوّلهم الذاتية وأعراضهم العامة، ومن مثل ما دُوِن في الصناعة المعجمية:

- "حركة التأليف عند العرب"، لأمجد الطرابليسي.
- "صناعة المعجم الحديث"، و"علم الدلالة"، لأحمد مختار عمر.
- "صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية"، من إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)، مكتب تنسيق التعريب في الرباط.
- "العربية وعلم اللغة البنوي"، لحلمي خليل.
- "علم اللغة وصناعة المعجم"، لعلي القاسمي.
- "قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي"، لعبد العلي الودغيري.
- "المعجم العربي"، لقاسم رياض.
- "المعجم العربي: نشأته وتطوره"، لحسين نصار.

- "المعجم الوسيط"، من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- "المعجمية التفسيرية التأليفية: مدخل نظري"، لخند الركيك.

أما عن أثر الصناعة المعجمية فإنه يتجلى في توقيت المعرفات والشرائط والضوابط، وهو القدر الذي لما أقف على من حرّه أو أشار إليه تحقيقاً لمسماً "التكامل بين العلوم والمناهج".

وعليه كان للصناعة المعجمية أثرٌ في تحرير المعاني التي يحتملها الخطابُ شرعاً أو اصطلاحاً، على وجهٍ يستغرقهُ أو غيره، ولما كان أثرُ الصناعة بيّناً من حيث التنظير، والكيفية مجهولةً من حيث التحقيق والتنتزيل؛ حرصَ ذلك على ضرورة تعبيد المسالك لنيل رغبة تحقيق المناطات بعد تحريرها وتنقيحها.

منهج المعجم التارخي في اقتناص المعاني

أولاً: المنهج الإجمالي

تتظاهرة المشاريع العلمية على صناعتها الجهودُ الأُهميةُ من مؤسساتٍ علمية، وأحكامٍ سلطانية، ومنظوماتٍ تشريعيةٍ وأخلاقية، والشاهدُ أنَّ دَرَكَ الأُجذال دونه تزاحمُ الأبدال.

وترجمة هذه المعاني في حديثٍ استفتح به مالك بن أنس (ت 179هـ) "موطأه" ، مترجماً المهمات التي يلْجُّ تدوينها على أبواب العلماء والأمراء، "فعن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، أنَّ عمر بن العزيز أَخَرَ الصلاةَ يوْمًا، فدخل عليه عروةُ بن الزبير، فأخبرهُ أنَّ المغيرة بن شعبة أَخَرَ الصلاةَ يوْمًا - وهو بالكوفة - فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري، فقال: ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمتَ أنَّ جبريلَ نَزَلَ، فصَلَّى، فصَلَّى رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ صَلَّى، فصَلَّى رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ قال: «بَهْذَا أُمِرْتُ»؟ فقال عمر بن عبد العزيز: أعلمُ ما تُحَدِّثُ به يا عروة، أَوْ إِنَّ جبريلَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ لرسولِ اللهِ ﷺ وَقَتَ الصلاة؟ قالَ عروة: كذلك كان بشير بن أبي مسعود الأنصاري يُحَدِّثُ عن أبيه".¹

¹ مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985)، ج 1: ص 3، كتاب وقت الصلاة، باب وقت الصلاة، الحديث (1).

والجامع في هذا الحديث أنه حديث أَغْرُ، ففيه مراجعة فقيهين لأميرين، وفيه تلقيٌ تابعي عن تابعي، وصحابي عن صحابي، ورسول عن رسول، وكان عمر بن عبد العزيز أمير المدينة، وكان المغيرة بن شعبة أمير الكوفة.

والحاصل أنه إذا كان تقرير التكليف جامعاً شَتَّات الفقهاء والأمراء، وداعياً إلى تسلسل الصحابة والأتباع، والملائكة والأنبياء؛ فإن تتبع موارد اللسان العربي دونه خرط القناد، وتحصيل مداخله بالحمل على المراد تَحْيَلاً أو ما اشتمل عليه المراد.

وقد شاء المولى عَزَّ وجلَّ أن يُدير دُفَّةً الجامع اللغويَّةً صاحبُ السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية في الشارقة، والرئيس الأعلى لمشروع المعجم، فتحقّق للسان العربي المقصود الأسبق الذي تشوّفت إليه الأمة، إذ ترددت أفلامُ الحذاق على عصور اللغة قبل الإسلام، مُثنيّةً بالعصر الإسلامي والعباسي، وعصر الدول والإمارات، والعصر الحديث، وهذا الأخير يمتدُّ بين عامي (1798-2020)، مراوحةً بين الكلمات حاملةً المعاني، والكلمات الوظيفية، والكلمات المنحوتة والمركبة، والعبارات السياقية والاصطلاحية، والأمثال والرموز والمحضات اللغوية.

وآخر المنهج ترتيب المواد بحسب أصولها (الجذور)، وفق الحرف الأول فالثاني فالثالث من حروف الهجاء، على نهج سَلَكَهُ أبو عمرو الشيباني (ت206هـ) في كتاب "الجيم"، وانتظمت خيوطه مع الزمخشري (ت538هـ) في "أساس البلاغة".

وارتقى التحرير إلى شرائح التأليف بين النقوش العربية القديمة جنوبيةً كانت أم شماليةً، مكتوبة بخط النّقش، ومفسّرة بالكتابة العربية المعاصرة؛ وبين النظائر السامية التي كُتبت بحروف لغتها، وبنطق عربي تقربي، ونسجت مداخل المعجم بتقديم الأفعال على الأسماء وفق الميزان الصريفي.

وعي المعجم كذلك بالمولَّد، والمُعَرب، والدُّخِيل، والمُحَدَّث، واقتصر على العربية الفصحى المشتركة بين جميع الأقطار العربية تدويناً أو استعمالاً، ورُتّبت المعاني بحسب الوضع الأول ثم الذي يليه من حيث الترتيب الزمني، وفُدِّمت الحقائق على المجازات، والمعاني الشائعة على أقلِّها شيوعاً، والحسينية على العقلية.

ثانيًا: المنهج التفصيلي

لا يخرج المنهج القصيد في المعجم التاریخی عن مواقیت العلوم العقلیة والنقلیة، من حيث الاعتماد على القدر المشترک في جمع المعانی الكلیة، وتمریر ذیول المسمیات تحت جنس المداخل، وأنواع الشواهد على هامش جنس المعانی.

وجماع ماهیة المنهج يحدُه ضرب الأمثال، فالجذر [س ق ف] جنس لأنواع من المداخل والمعانی، أو لها المعانی الكلیة التي تحصلُ بمنهج القدر المشترک، والإحالة في ذلك على أمثال ابن فارس (ت395هـ)، فقد قال: "إن اللُّغةُ الْعَرَبِيَّةُ مُقَائِيسٌ صَحِيحةٌ، وَأَصْوَلٌ تَفَرَّعٌ مِنْهَا فَرَوْعٌ، وَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِي جَوَامِعِ الْلُّغَةِ مَا أَلَّفُوا، وَلَمْ يُعْرِبُوا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَنْ مُقَايِيسٍ مِنْ تَلْكَ الْمُقَايِيسِ، وَلَا أَصْلٌ مِنَ الْأَصْوَلِ، وَالَّذِي أَوْمَأْنَا إِلَيْهِ بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ جَلِيلٌ، وَلَهُ حَظْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ صَدَرْنَا كُلَّ فَصْلٍ بِأَصْلِهِ الَّذِي يَتَفَرَّعُ مِنْهُ مَسَائِلُهُ، حَتَّى تَكُونَ الْجَمْلَةُ الْمُوْجَزَةُ شَامِلَةً

للتفصیل، ويكون الجیب عَمَّا یُسَأَلُ عَنْهُ بِجَیْبِهِ عَنِ الْبَابِ الْمُبَسَّطِ بِأَوْجَزِ لَفْظِهِ وَأَقْرَبِهِ".¹

والمعانی الكلیة للجذر [س ق ف] كما ورد في المعجم التاریخی للغة العربية:²

- الارتفاع والطُّولُ.
- غطاء المُنْزَل ونحوه.

قال ابن فارس في بيان القدر المشترک بين معانی الجذر [س ق ف]: "السین والقافُ والفاءُ أصلٌ يدلُّ على ارتفاع في إطلال وانحناء، من ذلك السقفُ سَقْفُ الْبَيْتِ، لأنَّهُ عَالٍ مُطْلِّ، وَالسَّقِيفَةُ الصُّفَّةُ، وَالسَّقِيفَةُ كُلُّ لَوْحٍ عَرِيضٍ فِي بَنَاءٍ إِذَا ظَهَرَ مِنْ حَائِطٍ، وَالسَّمَاءُ سَقْفٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا)) [الأنبياء: 32]، وَمِنَ الْبَابِ الْأَسْقَفُ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُوَ الطَّوِيلُ الْمُنْحَنِيُّ؛ يَقُولُ: أَسْقَفُ بَيْنَ السَّقَفِ".³

¹ ابن فارس، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1979)، مادة (سقف).

² انظر: المعجم التاریخی للغة العربية، *الجذر [س ق ف]*، الاطلاع في 20 نوفمبر 2025.

³ ابن فارس، *مقاييس اللغة*، مادة (سقف).

وثاني أنواع المداخل والمعاني للجذر [س ق ف] هو مداخله التي بلغ إجمالي عددها تسعة عشر مدخلاً، هي وفق ورودها في المعجم التاريخي للغة العربية:¹

فعل	1. سَقَفَ
فعل	2. سَقِفَ
فعل	3. أَسْقَفَ
فعل	4. سَقَفَ
فعل	5. تَسْقَفَ

1-5

* **تسقفة** فُلُونْ: صار أنسقفاً.

ع العباسي (ت: 998هـ=1388م) إلى (1258هـ=133م) *

قال الخطابي (ت: 998هـ=1388م) يشرح قول النبي ﷺ في كتابه لأهل نجراً: «وعلى آتا يغتروا أسفاقاً من بسيقاها». والشقيق إن كان أراد جمجمة الأسقف فهو جمجم على غير قيابين، وإنما جاء على وزنه مصادر من الكلام... فإن شilk بها مسئلة المتصاير كان معناه: لا يمنع أسفاقاً من **التسقفة**، ولا راهب من **الثرهيب**».

الخطابي. غريب الحديث. تج: العزياوي. ج: 1، ص: 499.

2-5

— اللئن؛ صار له غطاء.

ع العباسي (ت: 998هـ=1388م) إلى (1258هـ=133م) *

قال ابن سينا (ت: 1036هـ=428م) يصف أحد بطون الدماغ:

”وأما البطن الوسط فإنه كمنفذ من الجزء المتقدم إلى الجزء المتأخر... و**تسقفة** مبدأ هذا البطن الأوسط يشقف كزوبي الباطن“.

ابن سينا. القانون في الطب. تج: الضناوي. ج: 2، ص: 7.

اسم	6. أَسْقَف
اسم	7. أَسْقَف، أَسْقُف
اسم	8. أَسْقُف
اسم	9. أَسْقِفَيَة
اسم	10. سِقَافَة
اسم	11. سَقْف
اسم	12. سُقْف
اسم	13. سَقَاف

¹ انظر: المعجم التاريخي للغة العربية، **الجذر [س ق ف]**، الاطلاع في 20 نوفمبر 2025.

اسم	14. سقيف
اسم	15. سقيف
اسم	16. سقفة
اسم	17. مستيقف
اسم	18. مستيقف / مستيقف
اسم	19. مستيقف

والحاصل في المذكورات على اختلاف أنواعها؛ أن الجذور في المعجم أجناس المدخل، والمدخل أجناس المعاني التي تدرج تحتها، والمعاني أجناس شواهد المتركة. والقدر الذي تشوّفت إليه في هذا البحث؛ هو تحصيل الحقائق الاصطلاحية من الصناعة المعجمية، تمهيداً للعمل الموسوعي الذي أحال عليه مالتشوّك في "مقدمة إلى معجمية الشرح والتأليفية"، إذ دعا إلى تعميق العمل المعجمي بعيداً من الاكتفاء بالنصوص الأدبية، والتركيز على تقديم التعليق على المعنى والشكل عبر بيانات لغوية متنوعة؛ قرآنية، وحديثية، وأمثال، ومصطلحات من المقول المعرفية المختلفة، ورأى مالتشوّك ضرورة بناء بنية موسوعية للمعجم تتجاوز النقل الأدبي إلى المعالجة المنهجية والتحليلية الدقيقة لكلٍّ وحدة لغوية، فيُشرح المدخل المعجمي بالتعريف المنهجي والسمات الدلالية والإجرائية والمقارنة، لا بالشاهد الأدبي أو السياق الأدبي التقليدي، وهذه الرؤية جعلت من معجمية الشرح والتأليفية حقلًا قادرًا على بناء المعنى وشرح الوظيفة بعيداً من هيمنة الأدب، مع إرساء أسسٍ موضوعية دقيقة للتأصيل وتقعيد المدخل المعجمية في البناء التفسيري والتأليفي، وهذا العمل الموسوعي في حاجة إلى مؤسسة تتصهر فيها التخصصات والمناهج.¹

¹ انظر: إيفور مالتشوّك، آندرى كالس، آلان بولغار، مقدمة لمعجمية الشرح والتأليفية، ترجمة: هلال بن حسن (تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، 2010).

صناعة الحقائق وفق المنهج المنطقية والتقريبية

عمدة هذا المنهج الجمع بين المختلافات أو المتشابهات بالقدر المشترك، جريأً على منطق رعي المنفعة جمعاً للمختلف أو المتشابه، وبيان ذلك أن العقلاً اعتكروا على قسم التصورات، فأقاموا الحدود والرسوم، واستبدلوا ألفاظاً بألفاظ على وجهٍ تحَرَّزوا فيه من الدور الضمني الصريح، وتجنَّبوا المُساوي والأخفى في الجهة، وعابوا تحديد ما لا يُعرف إلا بعد معرفة المُعَرَّف، في حين سَلَكَ غيرهم منهج تقريب الحقائق، فضربوا الأمثل، وقسموا الأقسام، وبدلوا الغريب بالمشهور المشهود، إذ عدُوا الحقائق ذرائع المحاكمات التي يُكتَفَى فيها بأقلٍ ما قيل، ولكنني أرى سُوقَ التصورات وصناعتها على منهج ترديد مقولات المناطقة ومُقرِّي الحقائق بطريق المراوحة، حتى يحيط النظر بعصم الماهيات، ويدفع كلَّ خللٍ في المحاكمات، على أن يستفتح السالك بالبيان المجمل بأدوات الخيال، والسمع، والرسم، والتحييل، ثم يُثْبِتُ بالبيان التفصيلي بمنهجي التقريب والتحديد.

ومن المنهج الرائدة عند العقلاً في صناعة الاستدلال؛ منهج القدر المشترك المستوحى من المدونات التراثية الفقهية، والأصولية، والمقاصدية، وهو المسلك الذي يتَرَبَّصُ بالمخالفات ليجمعها على قدرٍ تتحقق عنده الجرئيات بعامة، وهذا الطريق تَمَالَتْ عليه الأسفار، إذ عَوَّلَ الفقه على هذا القانون في انتخاب القواعد الفقهية، وضرب علماء الأصول المثل في ترجمته لاقتناص القواعد الأصولية، واعتمده أهل الحديث في تبوييب الأحاديث على خلاف بينهم في الغاية المُتَشَوَّفُ إليها، وهو البيان الذي استفتح به المناطقة كلياً تَحْمِلُ الخمسة (الجنس، النوع، الفصل، الخاصة، العرض العام)، وحاول علماء المقاصد بأخرَة التأسيس لهذه المنظومة عبر الإمام الشاطبي (ت 790هـ) في "الموافقات"، والإمام محمد الطاهر ابن عاشور، وبخاصة في باب الاستدلال، إذ تجلَّت صناعة القدر المشترك في المسالك التي ساقها في الكشف عن المقاصد.

وفيما يأتي تحرير القول تفصيلاً في منهج القدر المشترك.

أولاً: المنهج المنطقي

وُقِّتَ الجنسُ للجمع بين الضّرائر المختلفة من حيث حقائّفها، بطريق النظر إلى النقطة الفاصلة والجامعة بين الأنواع المختلفة، إذ عرّف المناطقةُ الجنسَ بأنه كليٌّ يُحَمَّل على أشياء مختلفة الذوات والحقائق في جواب: "ما هو؟"¹، ولك أن تقول إن الجنس هو جزء الماهية الذي هو أعمُّ منها؛ لصدقه عليها وعلى غيرها من مثل الحيوان، قال ابن هشام (ت 761هـ): "الكلمة جنسٌ تخته هذه الأنواع الثلاثة لا غير".²

والفصلُ يُرسّم بأنه كليٌّ يُحَمَّل على الشيء في جواب: "أيٌّ شيء هو في جوهره؟"³، مثاله (الناطق) المميّز نوع الإنسان من الأنواع المشاركة إياه في جنس الحيوان، من مثل نوع الأسد، ونوع الفيل، ونوع البقر، فذاك الجزء من ماهية النوع الإنساني يميّزه من سائر الأنواع، والجزء الآخر من ماهيته هو الحيوانية، وهو المشترك بينه وبين سائر الأنواع.⁴

والنوعُ بأخذ المعنيين يُرسّم بأنه كليٌّ يُحَمَّل على أشياء لا تختلف إلا بالعدد في جواب: "ما هو؟" ، وبالمعنى الثاني يُرسّم بأنه كليٌّ يُحَمَّل عليه الجنس وعلى غيره حملاً ذاتياً.⁵ والخاصّةُ تُرسّم بأنّها كليّة تُحَمَّل على ما تحت حقيقة واحدة فقط حملاً غير ذاتي،⁶ فإنما تكون ميزة للشيء في عرضه، لا في جوهره وذاته.⁷

والعرضُ العامُ يُرسّم بأنه كليٌّ يُطلّق على حقائق مختلفة.⁸

¹ الغزالي، معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا (القاهرة: دار المعرف، 1961)، ص 106.

² ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطائع، 2004)، ص 35.

³ انظر: الغزالي، معيار العلم، ص 106.

⁴ انظر: قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه (دمشق: دار الفكر، ط 1، 2000)، ص 321.

⁵ انظر: الغزالي، معيار العلم، ص 106.

⁶ انظر: السابق نفسه.

⁷ انظر: الشريفي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1983)، ص 167.

⁸ انظر: الغزالي، معيار العلم، ص 107.

ثانيًا: المنهج الشرعي

يتوزع على أنواع:

1. المنهج الفقهي: لما أُعِيتَ الفروع الفقهية الحدّاق، وفُصّلوا إلى حفظها وصيانتها من النسيان؛ تشوّفوا إلى جلب كليّات جامعة سُمِّيت فيما بعد "القواعد الفقهية"، وقد عرّفها بعضُ العلماء اصطلاحًا، فالإمام المقرّي التلمساني (ت758هـ) يقول: "كُلُّ كُلّيٍّ هو أَخْصُّ من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة، وأَعْمَّ من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة".¹ والإمام تاج الدين السبكي (ت771هـ) يقول: "الأمر الكلّيُّ الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يُفهم أحكامها منها".²

والإمام التفتازاني (ت793هـ) يقول: "حُكْمُ كُلّيٍّ ينطبق على جزئياته ليتعرّف أحكامها منه".³

والعلامة الكفوي (ت1094هـ) يقول: "قضية كليّة من حيث اشتتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها".⁴

والإمام الحموي الحنفي (ت1098هـ) يقول: "القاعدة عند الفقهاء غيرها عند النحاة والأصوليين؛ إذ هي عند الفقهاء حُكْمٌ أكثرٌ لَا كُلّيٌّ ينطبق على أكثر جزئياته ليتعرّف أحكامها منه".⁵

2. المنهج الأصولي: قَصَدَ الأصولي إلى أن يورث الفقه منهجًا لمحاكمة النوازل والحوادث، فاعتُكِفَ على صناعة رائدة بمنهج موقّع جَمَعَ به القوانين الكلّية الكاشفة عن الفروع.

¹ المقرّي التلمساني، القواعد، تحقيق: أَمْهَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدٍ (مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ: جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى)، ج 1: ص212.

² السبكي، الأشباه والنظائر، تحقيق: عادل أَحْمَدُ عَبْدُ الْمُجْوَدِ، عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ مَعْوَضٌ (بَيْرُوتُ: دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُمِيَّةِ، ط 1، 1991)، ج 1: ص11.

³ التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمن التنقح في أصول الفقه، تحقيق: زكريا عميرات (بَيْرُوتُ: دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُمِيَّةِ، ط 1)، ج 1: ص35.

⁴ الكفوي، الكلّيات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (بَيْرُوتُ: مَؤْسَسَةُ الرِّسَالَةِ، ط 2، 1998)، ص728.

⁵ الحموي الحنفي، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر (بَيْرُوتُ: دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُمِيَّةِ، ط 1، 1985)، ج 1: ص51.

3. المنهج المقادسي: اعتمد الفقه المقادسيُّ المنهج نفسه في تخريج القصد من العلل، وفي سوق طرائق الاستدلال وتخريج القواعد المقادسية، فطبق الإمام الشاطبي - في مسالك الكشف عن مُراد الباري عَزَّ وجلَّ - منهج القدر المشترك، من حيث الجمع بين الأوامر والنواهي، والاعتبار بالعلل والمناسبات، ومقتضيات المسكتات.

وقد ألمح إلى هذا المسلك الإمام مالك عند تقييده مدوّنته باسم "الموطأ"، تلوّيحاً بالمنهج المنتخب، وهو الطريق الذي سَلَكَه الحَدِيثُونَ، وأرباب القواعد الفقهية في تدوين الأبواب والتراجم، بل إنَّ أهل الميزان والكليات الشرعية انتخبوا هذه الفلسفة في استقراء ما يُسمَّى "الكليات الخمسة"، وهو المعيار الذي عني به ابن عاشور في بيان مسالك تخريج المقادس، والغريب أنه مثَّلَ بِمَثَّلِ الإمام مالك في "باب بيع الغرر"، الجامع عيونَ مسائل النهي عن المزابنة، وبيع الحِزاف بالملكيَّل، وحديث حَبَّانَ بن منقد.

ولعل من أبرز خصائص مسلك التعليل الشرعي في درك المقصود:

- الارتقاء من التعليل الجزئي إلى التعليل الكلي.

- توظيف منظومة التعليل على اعتبار أنَّ العلة دليل على الأحكام، لا صفة لها.

والحاصل في الفرق بين المنهجين؛ أنَّ التوسمُ الأصولي اعنى بأصول ومناهج في تخريج الأحكام، وذلك وفق ما يأى:

(أ) الاعتماد على الوصف الظاهر المنضبط: فيه جلب للحكم ظنًا، وتنويه بالحكمة التي تكون عنده لا به، على معنى أنَّ هناك قصدًا مزدوجًا عند الاحتكام إلى التوصيف المناسب، إذ ثُوَّقَت العلامات لمعرفة الأحكام والحكَم حتى يكون أدعى للامتناع والإذعان، وعلى هذا القدر اعتكف الأصوليون، إذ أهلوا الحِكَم بحجَّة أنها غير منضبطة ولا مطردة ولا واضحة ولا ثابتة، ووجهوا التعلُّق وجهة الوصف الحالب، وقد دفع إلى ذلك أصل الضبط والتحديد، ف قالوا: "نَصَبَ الشَّارعُ المِظَانَةَ في مَوْضِعِ الْحِكْمَةِ، ضَبْطًا لِلْقَوَانِينِ الشَّرِعِيَّةِ" ¹، والقصد إلى رفع الحرج عن المكلَّفين، ودفع التشويش عنهم بإيجاب التحديد والتقويت.

¹ الشاطبي، المواقفات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (القاهرة: دار ابن عفان، ط١، 1997)، ج١: ص396.

(ب) الاعتماد على الدليل الأحادي: فيه اقتصر المنهج الأصولي على الدليل الجزئي، مع اشتراط الصحة سندًا أو متناً أو إلحاقًا، أو رفعًا أو اتفاقًا أكثرًا، فقالوا: "إذا صحَّ الحديث فهو منذهب"، واستدلُّوا بأقل مراتب القياس فقصدًا، وبمذهب الصحابي وفقًا أو رفعًا، ومحجَّة العمل تواترًا عمليًّا، بل إنك لتقف على تعليق مرسل في الاستدلال، بل على منع ما يجوز لغلا يتطرق به إلى ما لا يجوز، والأخذ بأقل قيل، والحكم باستصحاب البراءة الأصلية حال تعذر الاحتكام، والغاية من كل ذلك الوصول إلى ملامسة مراد التشريع، ولو على سبيل الظنِّ غير الجازم، ولتحصيل الطمأنينة قال الأصولي إن الظنَّ يُنزل منزلة القطع في الأحكام العملية.¹

(ج) تردد التوصيف بين التصريح والتلميح: فيه يقف الحذَّاق عند مقام التصريح من العلل وقوفًا أقلَّا، وعند مقام التلميح وقوفًا أكثرًا، إذ الاعتماد على أوصاف مناسبة الأحكام، وفقيُّد الصحة فيها مقيَّد بما لو عُرضت على العقول لتلقيتها بالقبول، وإن دلت على اعتبارها تلویحات وإشارات، وقصد الشارع فيها أن يكون للنظر حظٌّ وافر في التشريع، فلا يخلد إلى الدعة والراحة، بل إلى بذل الوعي والجهد في تحصيل الحق.

وفي المقابل ذهب علماء المقاصد إلى أبعد من ذلك، إذ أخذوا بتعليمات الأصوليين، ولكن بتوظيف جديد، بغية التماس القطع، فعدلوا:²

- أولاً من الدليل الأحادي - وإن كان صحيحاً - إلى الدليل المتواتر، وهو القدر الجامع للدليل أو العلة حيث اعتُبرت دليلاً، فقالوا إن الأدلة ظنِّية من حيث انفرادها، قطعية من حيث اجتماعها، جلَّا للفلسفة التظاهر والتعاضد، يتجلَّى ذلك واضحًا في المسالك التي وقَّتها الشاطي وابن عاشور في باب طرق الكشف عن المراد.

- ثالثًا في الارتفاع بالعلل من التوصيف إلى مراتب الاستدلال، إذ جعلوا العلة دليلاً كائشًا عن المقصد الباطني، واشترطوا اشتراك العلل بين يدي الاستدلال على المرادات؛ تحقيقًا لرتب الاحتياط.

¹ انظر: الأخضر الأخضرى، الإمام في مقاصد رب الأئمَّة (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2011)، ص180.

² انظر: المرجع السابق، ص187.

صناعة المسمى الاصطلاحي على منهج المعجم التارخي للغة العربية

أسوق منهج الصناعة المعجمية على نحوين، تحصيلاً لأقل الجمع، وذلك وفق ما يأتي:

أولاً: تعديل الحقائق الاصطلاحية بميزان منهج المعجم

من مُثُلِّ هذا التعديل تعريف المقاصد وفق الوضع والاستعمال، ففي الوضع اللغوي المعجمي تدرج المقاصد تحت الجذر [ق ص د]، و"القافُ والصادُ والدالُ أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدهما على إتيان شيءٍ وأمّه، والآخر على اكتنازٍ في الشيء".¹

وقال الزبيدي (ت 1205هـ): "وفي (سر الصناعة) لابن جيّ: أصل [ق ص د] ومواعيقها في كلام العرب؛ الاعتزام والتوجّه والنهوذ والنھوضُ نحو الشيء، على اعتدالٍ كان ذلك أو جَوْرٍ، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يُخَصُّ في بعض الموضع بقصد الاستقامة دونَ الميل، ألا ترى أنك تقصد الجوزَ تارةً كما تقصد العَدَلَ أخرى؟ فالاعتزام والتوجّه شاملٌ لهما جميـعاً".²

والمقصود في الاستعمال الاصطلاحي عرّفها ابن عاشور بأنها "المعاني والحكام الملحوظة للشارع في جميع أصول التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاصٌ من أحكام الشريعة، وتدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، كما تدخل في هذا أيضاً معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"،³ وحملَ غيره المقاصد على الغاية، أو على الأسرار الخفية، والحاصل في الاستدراك على هذه المعرفات أنها معيبةٌ من حيث الدور والتعريف بما هو أخفى، وهو ما أورث خللاً في ذرّك المقاصد، والسبب الأصيل في مجانية المعرفات الحقيقة التامة من حيث:

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (قصد).

² الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المستار أحمد فراج (الكويت: وزارة الإعلام، 1971)، مادة (قصد).

³ محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004)، ج 2: ص 121.

- هجر التتبع المعجمي بشتى مداخله من عزم وتذرع وتحصيل غاية.
 - أن لا اعتبار بأصول المعاني الكبيرة للجذر [ق ص د]، من إتيان شيء وأمه، واكتنار في شيء، وتحصيل القصيدة المكتنزة الممتلئة، قال الأعشى:¹
- قطعتْ وصاحِي سُرُّجَ كِنَازْ گَرْكِنْ الرَّعْنَ دُعْلَيَةَ قَصِيدَ
- لذا سميت القصيدة من الشعر "قصيدة" لقصيد أبىاتها التي لا تكون إلا تامة الأبنية. وعليه كان تتبع ذيول المقاصد في المعجم التأريخي تحيل على ضرورة اقتناص المعاني الآتية في نسج الحقيقة الاصطلاحية:
- العزائم المتمحضة الأصلية: من أجل هذه الخاصية سبق: «إنما الأعمال بالنيات». ²
 - الذرائع الموثقة: حيث الاعتماد على المستندات الشرعية المعتبرة إسناداً ومتناً.
 - الغايات العظيمة: حيث الإحالة على الأهداف الأصلية والتابعة لتحصيل مقام التمام. ومن ثم نعرف المقاصد استدراً كأنها "عبارة حاوية لرعي العزائم والذرائع والغايات"، وعبر هذا الحد تُنشر شرائط المقاصد وضوابطها وأقسامها وحججها، فيكتمل التحقيق العلمي على مقتضى التحرير المعجمي.
- وتكون حججية أجزاء الهيئة الاجتماعية للمقاصد بمقامات، هي:

1. مقام اللسان العربي:

- (أ) ما تظاهرت عليه ظواهر التشريعات من قوله تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ)) [البيت: 5].
- (ب) دلالة تركيب الجملة بما يفيد الحصر اتفاقاً؛ أي لا عمل إلا باستصحاب البنيّة.
- (ج) إ حالـة (الأعمال) على جمـع مـعـكـي بالـلام المـفـيد الـاستـغـرـاقـ، وـهـوـ مـسـتـلـزـمـ الـقـصـرـ، إـذـ معـناـهـ: (كـلـ عـمـلـ بـالـبـنـيـةـ، فـلـ عـمـلـ إـلـاـ بـالـبـنـيـةـ).

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (قصد).

² مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط 1، 1374هـ)، ج 2: ص 510، كتاب الإمارة، "باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال"، الحديث (1907).

- (د) إيراد ما يفيد التأكيد بـ(إنما) العاملة بركنيها؛ إثباتاً للمنطق، ونفياً للمفهوم.
- (ه) دلالة الباء على استصحاب النيات قبل الشروع في الأعمال، على وجه يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم.

2. مقام العوائد:

- (أ) دلالة أسباب الورود على إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من رعي داعية الأهواء المتمحضّة.
- (ب) ما دلت عليه العوائد من أن صدق الابتداء طريق الاصطفاء والاجتباء، وصلاح النيات يورث مقام النبوّات والكرامات.

3. مقام التعليل:

- (أ) التعليل الجرّي، إذ تعليق الأحكام بالأسباب والعلل على اعتبار باء (النيات) للسببية، وتحرير ذلك أن الإخلاص علّة لمشروعية الأعمال، وكأنها سببٌ في إيجادها.
- (ب) ترتيب الحكم على الوصف بصيغة الشرط والجزاء في قوله ﷺ: «... فَمَنْ كَانَ هِجْرَتْهُ إِلَى دِنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكُحُهَا، فَهِجْرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». ¹
- (ج) مناسبة الحديث الترجمة بصيغة بدء الولي، ودلائلها المرسلة على أن النية الصالحة بريء المقامات العلية.

4. مقام العاشرين:

- (أ) قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ: «يُعَثِّرُونَ عَلَى تَيَّاتِهِمْ»،² فالبعث يكون مداره على النية، وبخاصة إن كتبت له حياة في زمن الفتنة.
- (ب) عن عبيد بن عمير (ت73هـ)، سأله عائشة رضي الله عنها عن الهجرة، فقالت: "لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفرُّونَ أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله، مخافةً أن يُفْنَى عليه، فاما اليوم فقد

¹ انظر: السابق نفسه.

² البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغـا (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1993)، ج2: ص672، كتاب الصوم، باب مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْسَابًا وَنِيَّةً، الحديث (1018).

أظهر الله الإسلام، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد وبيه¹، فالهجرة من الأعمال المرتبطة باليهودية، وعندما استقر المجتمع الإسلامي بقيت اليهودية مع كل عمل، واعتبرت في كل جهاد.

5. مقام التعلُّم:

لا يمنع تحويل حظوظ المكلفين من تحضير الإخلاص لله سبحانه.

ثانياً: صناعة المواهي الاصطلاحية على وفق المنهج المعجمي

آثرت في هذا المطلب أن أسلك مسالك الاستقلال والسبق في ترجمة المنهج على واقع التأسيس للمعرفات الاصطلاحية عبر معاجم اللسان العربي، فاختارت للافادة:

1. تعريف (مقام عوائد العرب) باعتبار الوضع اللغوي المعجمي:

(أ) المقام: بتتبع كلام العرب ومذاهبهم، يبين أن في الحقيقة اللغوية للمقام عدة إطلاقات

من الجذر [ق و م]، هي:²

- موضع القدمين، قال:³

هذا مقام قدمي رياح عدوة حتى دلّكت براح

- القومة، ما بين الركعتين من القيام، قال أبو الدقيش الأعرابي: "أصلي العدّة قومتين،⁴ والغرب ثلاث قومات".

- الثبوت والجمود، والتحير والتوقف، والتحبس والانتساب، ومن المجاز: قام الماء، أي ثبت متاحيراً لا يجد منفداً، وقيل: جمداً، ومنه: قامت الدابة، أي وقفَت عن السير، وكذلك الرجل إذا وقفَ وثبتَ يقال إنه قام، ومنه قول المتنبي (ت354هـ):⁵

وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِلَدَةٍ سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

¹ العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: المكتبة السلفية، 1390هـ)، ج 7: ص226، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، الحديث (3900).

² انظر: الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، مادة (قوم)؛ ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، مادة (قوم)؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة (قوم).

³ انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم).

⁴ الفراهيدي، كتاب العين، مادة (قوم).

⁵ انظر: المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: عبد الحميد دياب (القاهرة: دار المعارف، ط2، 1992)، ج 2: ص88.

- أقام الشيء إقامةً، إذا أدامه.
 - مقامات الناس مجالسهم، قال العباس بن مرداس (ت18هـ):¹
- فَأَيَّيْ ما وَأَيْلَكَ كَانَ شَرَّا
فَقِيَدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا
- الاتزان، يقال: "استقام الشعر"، إذا اتزن.
 - الملازمة.
 - القيامة، يوم البعث يقوم الخلق بين يدي القيوم.
 - الاستقامة والاعتدال والاستواء، ومنه دين قيم، أي مستقيم لا زيع فيه، وتقوم الرمح.
 - ويلامس مُتّبع الحقائق الشرعية ما يدلّ على صيغة (مقام) في القرآن والسنة والأثر، فمن القرآن قوله تعالى: ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)) [الدّخان: 51]، ووجه الاستدلال أن (المقام) بضم الميم مكان الإقامة، و(المقام) بفتح الميم مكان القيام، ويتناول المسكن وما يتبعه.²
 - وقوله سبحانه: ((يُرِيدُونَ أَن يَرْجُحُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)) [المائدة: 37]، ووجه الاستدلال قوله: ((وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)), أي دائم.
 - وقوله جلّ وعلا: ((الَّذِي أَحْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لُعُوبٌ)) [فاطر: 35]، ووجه الاستدلال أن (المقامة) مصدر ميمي من (أقام بالمكان)، إذا قطنه، والمراد دار الخلود.⁴
 - ومن السنة ما حدّث به أحمد بن حنبل (ت241هـ) ومحمد بن رافع (ت245هـ)، قالا: "حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن هَمَّامَ بن مُنْبِيَّ، قال: هذا ما حدّثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فذَكَرَ أحاديثَ منها: وقال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّا قريةٍ دخلتُمُوها، وأقْمَمْتُ فيها، فَسَهْمُكُمْ فِيهَا، وَأَيُّا قريةٍ عَصَتِ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ حُمْسَهَا لَهُ وَلَرَسُولِهِ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ»".⁵

¹ انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم).

² انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية، 1984)، ج 25: ص 317.

³ انظر: المرجع السابق، ج 6: ص 189.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج 22: ص 316.

⁵ صحيح مسلم، ج 3: ص 1376، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الغيء، الحديث (1756).

وعن أبي هريرة (ت59هـ) قال: "قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنٌ، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأً أو معاذاً، فليعد به»".¹

وعن أبي هريرة قال: "قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يُصبح وحين يُمسى: سبحان الله وبحمده، مئة مرّة؛ لم يأت أحد يوم القيمة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»".²

ومن الأثر عن عبد الرحمن بن يزيد (ت75هـ) قال: "قال عبد الله، ونحن بجمعي: سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام: «لبيك اللهم لبيك»".³
وعن عبد الله بن أبي أوفى (ت86هـ)، قال: "اعتمر رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت، وصلَّى حَلْفَ المَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعْهُ مَنْ يَسْتَرُّ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَدْخِلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْكَعْبَةَ؟ قَالَ: لَا".⁴

وعن أنس بن مالك (ت93هـ) قال: "آلى رسول الله ﷺ من نسائه، وكانت انفَكَتْ رِجْلُهُ، فأقام في مَشْرُبَةٍ تسعًا وعشرين ليلةً، ثم نَزَّلَ، فقالوا: يا رسول الله، آليت شهراً؟ فقال: «إن الشهْرَ يكون تسعًا وعشرين»".⁵

وللمقام حقيقة اصطلاحية، فهو في اصطلاح أهل الحقيقة عبارةً عما يتوصل إليه بنوع تصرُّف، ويتحقق به ضربٌ تطْلُبُ، ومقاساةٌ تكُلُّفُ، فمَقَامٌ كُلٌّ واحدٌ موضع إقامته عند ذلك.⁶

¹ صحيح البخاري، ج:6، ص2594، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، الحديث (6671).

² صحيح مسلم، ج:4، ص2017، كتاب الذكر والدعاة والتوبه والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعا، الحديث (2692).

³ المصدر السابق، ج:2، ص932، كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر، الحديث (1283).

⁴ صحيح البخاري، ج:2، ص580، كتاب الحج، باب من لم يدخل الكعبة، الحديث (1253).

⁵ المصدر السابق، ج:6، ص2460، كتاب الأيمان والندور، باب من حلف ألا يدخل على أهله شهراً وكان الشهْر تسعًا وعشرين، الحديث (6306).

⁶ انظر: الشريف الجرجاني، *التعريفات*، ص191.

والمقام كما قررَه قام حسان هو "الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال".¹ ويتبع الإطلاقات اللغوية والشرعية؛ يبيّن لنا أن المقام هو المجلس المتنَّى المنصب، وموضع تثبيت القدمين.

وأختم هذا المطلب بذكر العلاقة، إذ النسبة بين الحقائق نسبة العموم والخصوص المطلق، لأن الحديث في الاصطلاح عن إقامة مخصوصة، في أزمنة مخصوصة، وعلى هيئة مخصوصة.

(ب) العوائد: ينحصر مدلول العوائد من الجذر [ع و د] - بعد استقراء موارد العرب وموروثهم التراثية - في الإطلاقات الآتية:²

- الصفح، ودليله قول الشاعر:

وَمَا يَجْنِي مِنْ صَفْحٍ وَعَائِدٍ عَنْدَ الْأَسْدَةِ إِنَّ الْعَيَّ كَالْعَضْبِ
 - العطف واللطف، يقال: "فلان ذو صفحٍ وعائدة"، أي ذو عفوٍ وتعطف.
 - المعروف والصلة، يقال: "ما أكثر عائدة فلان علينا!".
 - الرفق، يقال: "هذا الأمر أعود من هذا"، أي أرفق.
 - الذرية والتمادي في شيء حتى يصير له سجيحة، يقال: "عُود بالشيء"، إذا لزمه، ولصق به.
 - الديدين، والدأب، والتكرار، والاستقرار؛ سُمِّيت بذلك لأن صاحبها يعاودها، أي يرجع إليها مرة بعد أخرى، من غير قرينة عقلية عند ذوي الطباع السليمة.
 - الرجوع، يقال للشجاع: "مُعاود"، لأنَّه لا يملِّ المِراس.
 - العُودُ، أي التردد، يقال: "هؤلاء عُودٌ فُلَانٌ وعُوادُه"، مثل: "رَوْرَه ورُوَارَه"، وَهُمُ الَّذِينَ يَعُودُونَه إذا اعْتَلَ.

¹ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1994)، ص 337.

² انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (عود)؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عود).

³ انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 3: ص 209.

- المعادٌ كُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ الْمُصِيرُ.
 - المنفعة، يقال: "هَذَا الْأَمْرُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْ كَذَا"، أي أَنْفَع.¹
 - الاستمرار، ومنه قوله: "مَا اسْتَمْرَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ عَلَى حُكْمِ الْمَعْقُولِ، وَعَادُوا إِلَيْهِ مَرَّةٍ بَعْدَ أُخْرَى".²
 - الاعتياد، يُطلق ويقصد به إلى الإيلاف، ومنه القول: "اعْتَادَهُ" ، و"أَعَادَهُ" ، و"استَعَادَهُ" ، إذا جَعَلَهُ مِنْ عَادَتِه.³
- وبتتبع ما تناشر من معانٍ الجذر [ع و د] في المدونات التراثية؛ يظهر أن العادة في حقيقتها الاصطلاحية هي الاستمرار على الأمر والتتمادي فيه بسلوك التكرار، قصداً إلى استقرار المعاني في النفوس بعد ذرية لينسجم ومقتضى دين العقلاء.
- (ج) العرب: حيث تتبع الجذر [ع ر ب] في مدونات أهل اللغة؛ تجدها على إطلاقات هي:⁴
- جيلٌ معروفٌ من الناس، وهو جنسٌ لنوعين من العرب؛ العرب العاربة، أي الخَلَصُ، والعرب المستعربة، أي الدخالء من العجم، تكلَّموا بِلسانِ العربِ، وحَكَوْا هِيَّا تَحْمَمُ.
 - الفصاحة، ومنه: "رَجُلُ عَرَبَانِ الْلِسَانِ" ، أي فصيح.
 - التوَدُّدُ وطِيبُ النَّفْسِ، ومنه العَرُوبُ، أي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها.
 - الأثر.
 - ثبوت النسب، يقال: "رَجُلُ عَرَبٍ" ، إذا كان نسبةً في العرب ثابتاً، وإن لم يكن فصيحاً.
 - الفحش، يقال: "أَعْرَبَ الرَّجُلَ" ، إذا تكلَّمَ بالفحش.
 - التهذيب والبيان، يقال: "عَرَّبْتُ لَهُ الْكَلَامَ تَعْرِيْبًا" ، و"أَعْرَبْتُ لَهُ إِعْرَابًا" ، إذا بَيَّنْتَهُ وَهَذَبْتَهُ.

¹ انظر: الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط 4، 1987)، مادة (عود).

² الشريف الحريري، التعريفات، ص 146.

³ انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005)، مادة (عود).

⁴ انظر: الفراهيدي، كتاب العين، مادة (عرب)؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (عرب)؛ الجوهري، الصحاح، مادة (عرب)؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرب)؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة (عرب).

- الصفاء، يقال: "أكثرت من شرب العربية".

- النشاط، ففي كلام العرب:¹

والحَيْلُ تَنْزَعُ عُرْبًا في أَعْنَتِهَا
كَالظَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤُبُوبِ ذِي الْبَرْدِ

- المنع والإنكار، يقال: "لا تعرب"، أي لا تمنع.

- الصراحة.

- باحة العرب، أي موضع إقامتها، قال الشاعر:²

وَرَجَّتْ بَاحَةُ الْعَرَبَاتِ رَجَّا
تَرْقُرُقُ فِي مَنَاكِبِهَا الدَّمَاءُ

- أن تطلق على البدوي، وغيره.

- التمحض الخالص والسلامة من التهجين، يقال: "أعرب الفرس"، إذا خلصت عريته.

والحقيقة الاصطلاحية للعرب أنه عبارة حاوية العرب العارية أصالةً، والعرب المستعربة

تبعاً، وما يلزم عنها من وصف الفصاحة والبيان.

2. تعريف (عوائد العرب) باعتبار الإضافة:

يطلق هذا المركب، ويراد به "أعراف العرب العارية أصالةً والمستعربة تبعاً"، وبيانه التفصيلي أنه بعد الإنعام في حقائق هيئة عوائد العرب وذريوها؛ اهتدى النظر إلى لطائف ونكت مفادها أن أعراف العرب العارية أصلٌ يحتمل إليه لفهم التشريع ومقاصده، أما أعراف العرب المستعربة فهي مقصودةٌ بالطبع، ولا يحتمل إليها إلا بعد إخضاعها ومحاكمتها بأعراف العرب العارية.

وإن في النسبة بين الحقيقتين اللغوية والاصطلاحية للتركيب الإضافي (عوائد العرب) عموماً وخصوصاً مطلقين، إذ المعنى اللغوي أعمًّا مطلقاً من المعنى الاصطلاحي، وفي ذلك بيان صريح لمنهج الاستقلال الشرعي استقلالاً عن الوضع اللغوي، وتقيداً له، وتحذيقاً.

¹ الفراهيدي، كتاب العين، مادة (عرب).

² ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرب).

3. تعريف (مقام المعاشرين) باعتبار الوضع اللغوي المعجمي:

إن المتبع لقيد المعاشرة في الجذر [ع ش ر] في كلام العرب؛ يجد طائفة من المعاني خادمة حقيقة المقام، ويمكن حصر ما تكثّر على إطلاقات، منها:¹

- المخالطة والممازحة والمصاحبة، تقول العرب: "عاشرته معاشرةً" ، و "اعشرُوا" ، و "تعشرُوا" ،

إذا تخلطوا وامتزجوا؛ قال طرفة بن العبد:²

ولئن شَطَّتْ نَوَاهَا مَرَّةً لَعَلَى عَهْدِ حَبِيبٍ مُعْتَشِرٍ

والشاهد أنه جَعَلَ الحبيب مثل الخليط والغريق، على ما ذكره الإمام القرطبي (ت 671هـ) تحريرًا وشرطًا.³

- القرابة والأهل: العشير القريب، والصديق، والزوج، والجمع (عشرات) و(عشراء)، قال ساعدة بْنُ جُوَيَّةَ:⁴

رَأَهُ عَلَى يَأْسٍ، وَقَدْ شَابَ رَأْسُهَا وَحِينَ تَصَدَّى لِلْهَوَانِ عَشِيرُهَا

- الاجتماع، فالعشير والمعشر كُلُّ جماعةٍ أمرُهم واحدٌ، نحو: مَعْشُرُ المسلمين، وَمَعْشُرُ المشركيين، قال ذو الإصبع العدواني:⁵

وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زِيَّدٌ عَلَى مَئَةٍ فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ طُرًّا فَكِيدُونِي

والحاصل في المعاشرة أنها مفاجلة من (العشرة)، وهي المخالطة، والمصاحبة، والمحالسة والمرافقة، وقيل إن اللفظة من أعشار الجزور، لأنها مقاسمة ومخالطة ومخالفة جميلة،⁶ وقيل إنها

¹ انظر: المصدر السابق، مادة (عشر).

² السابق نفسه.

³ انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أَحْمَدُ الْبَرْدُونِي، إِبْرَاهِيمُ أَطْفَيْش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط 2، 1964)، ج 5: ص 97.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عشر).

⁵ السابق نفسه.

⁶ انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1422هـ)، ج 2: ص 28.

مشتقة من (العشيرة)، أي الأهل، يقال: "عاشره"، أي جعله من عشيرته، كما يقال: "آخاه"، إذا جعله أحًا، أما العشيرة فلا يُعرف أصل اشتقاها، وقد قيل إنها من (العشرة)، أي اسم العدد.¹

وباعتبار ما سبق من معانٍ لغوية معجمية؛ يُعرَّف (مقام المعاشرين) في حقيقته الاصطلاحية بأنه "الإقامة عند المعاني التي أثمرتها الملازمة الحقيقة أو الحكمة للتشريع على وجه الاجتماع"، وهذا التعريف بقيوده يدلُّ على المحترزات والمعاني المقصودة، إذ:

- يدلُّ قيد (الإقامة) على ضرورة الاعتكاف عند النص، وتتبع ما فهِمَتُ الصحابة رضي الله عنهم من التشريع.
- يدلُّ قيد (عند المعاني) على أن الإقامة لا تتوج النظر بالفهم إلا بتوفيق الشارع الحكيم، وكذا المعاني فُيُنَبَّهُتُ إلَى إخراج الألفاظ أو المقولات اللفظية.
- يدلُّ قيد (الإثمار) على أن المقام يؤهَلُ من يغشاه، ويلازم حيشه، لتحصيل القصد وملامسة المراد.
- يدلُّ قيد (الملازمة الحقيقة) على إحالة معتبرة في هذا المقام، إذ الصحابة رضي الله عنهم أعلم الناس بالمرادات، وأعرفهم بالمدونات.
- قيد (الحكمة) لتحقيق إلهاق التابعين وتابعיהם بسلف الأمة.
- قيد (الاجتماع) لبيان وجوب اتفاق المعاشرين وإقرارهم المعنى المقصود، جلَّيَا لمبدأ الطمأنينة احتياطًا.

وإن في العلاقة بين الحقيقتين اللغوية والاصطلاحية للتركيب الإضافي (مقام المعاشرين) عمومًا وخصوصًا مطلقين، وذلك أن الحقيقة الاصطلاحية أخصُّ مطلاً من الحقيقة اللغوية، لأن الحديث عن مقام المعاشرين ينحصر في زمن مخصوص، ومن هيئة مخصوصة، ولتحصيل قصد مخصوص.

¹ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4: ص 286.

خاتمة

أبان التحقيق المعجمي في هذا البحث عن طائفة من اللطائف والنكت، يمكن إجمالها في أن للقراءة المعجمية أبواباً ومفاتيح، فقد تُستفتح بها الفنون باستقلالية محمودة، فتحرر الحقائق وفقها، وتنقص الشرائط والضوابط عندها، وتكتمل المباني من حيث مناهجها ومصطلحاتها، وتتشدّد إليها المدارس والمسالكُ أعنافها.

وقد تُستهل بدلالي الوضع والاستعمال على تحقيق مقام الحمل، لبيان المرادات في محاكمة النوازل الاقتصادية والإعلامية، وفي الموازنة بين الأقوال والأدلة.

وأوحج مخلوب للإفادة من التكامل المعرفي؛ صهر العلوم المختلفة بمنهج القدر المشترك، تعويلاً على أصل اتساع رقعة النوازل أزمنةً وأمكنةً، فقد كانت الحاجة فردية، ثم ارتفت إلى الأهمية، وهمة الحادق على قدر ما يشغله، وتألّفه على مقتضى منتخباته المعرفية التي تستغرق حوائج كليٍّ مكروب أو مجهود فردي أو إنساني.

وكان القصد إلى صناعة حقائق للموجودات المستحدثة، وتقدير المعرفات التراثية، والحكم عليها، لتطابق الحدود مع أحکامها بعد تصوّرها تصوّراً يليق بلغة العقلاة والفطرة السليمة، على وجهٍ تدفع عبره الخصومات اللغوية والشرعية.

ثم إن سير المعجمي الألّمي على أنحاء من حيث تحديد أجناس المداخل، ونشر المعايير والشاهد وفق تحرير يعجب العاني هيكلُه المنسجم، وأن الغاية في تحصيل التكامل المعرفي على تثنيّ الأتباع على مناهج المعجميين صناعةً وتقييّداً وضبطاً، وعليه أحسب أني أعملت منهجاً جديداً ملتمساً من مقدمات الترتيب المعجمي، ومن روح العلوم العقلية والنقلية، والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحمد محمد علي حسن زايد، "بنية المقدمة في المعجمات اللغوية التراثية: قراءة تحليلية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، 11(11)، 2018.

الأخضر الأخضرى، الإمام في مقاصد رب الأنام (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2011).
إيغور مالتشوك، آندرى كالس، آلان بولغار، مقدمة لمعجمية الشرح والتأليفية، ترجمة: هلال بن حسن (تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، 2010).

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).

ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1979).
ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).

ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطلائع، 2004).

البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1993).
النفرازاني، شرح التلويح على التوضيح لملن التنقح في أصول الفقه، تحقيق: زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1).

تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1994).
الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملائين، ط4، 1987).
الحموي الحنفي، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985).

الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (الكويت: وزارة الإعلام، 1971).

السبكي، الأشباه والنظائر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991).

الشاطي، المواقفات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1997).

الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983).

العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: المكتبة السلفية، 1390هـ).

الغزالى، معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا (القاهرة: دار المعارف، 1961).

الفراهيدى، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (بيروت: دار ومكتبة الهالال).

الفیروز آبادی، القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964).

قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه (دمشق: دار الفكر، ط1، 2000).
الكافوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1998).

مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985).
محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية، 1984).

محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004).

مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1374هـ).

المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: عبد المجيد دياب (القاهرة: دار المعارف، ط2، 1992).

المقرى التلمساني، القواعد، تحقيق: أحمد بن عبد الله بن حميد (مكتبة المكرمة: جامعة أم القرى).
المعجم التأريخي للغة العربية.

References

Al-Qur'ān al-Karīm.

Aḥmad Muḥammad 'Alī Ḥasan Zāyid, "Bunyah al-Muqaddimah fī al-Mu'jamāt al-Lafzīyyah al-Turāthīyyah: Qirā'ah Taḥlīliyyah", *Majallah Kulliyyah al-Ādāb, Port Said University*, 11(11), 2018.

Al-Akhḍar al-Akhḍarī, *al-Imām fī Maqāṣid Rabb al-Anām* (Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1st Ed., 2011).

Al-Bukhārī, *al-Jāmi' al-Ṣahīh*, Muṣṭafā Dīb al-Bughā (Ed.) (Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1st Ed., 1993).

Al-Farāhīdī, *Kitāb al-'Yn*, Mahdī al-Makhzūmī & Ibrāhīm al-Sāmarā'ī (Eds.) (Beirut: Dār wa-Maktabah al-Hilāl).

Al-Fyrūzabādī, *al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (Beirut: Mu'assasah al-Risālah, 8th Ed., 2005).

Al-Ghazālī, *Mi yār al-'Ilm*, Sulymān Dunyā (Ed.) (Cairo: Dār al-Ma'ārif, 1961).

Al-Ḥamawī al-Ḥanafī, *Ghamz 'Uyūn al-Baṣā'ir Sharḥ Kitāb al-Ashbāh wal-Naẓā'ir* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed., 1985).

Al-Jawharī, *al-Ṣihāh*, Aḥmad 'Abdulghafūr 'Aṭṭār (Ed.) (Beirut: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 4th Ed., 1987).

Al-Kafawī. *al-Kulliyyāt*, 'Adnān Darwīsh & Muḥammad al-Maṣrī (Eds.) (Beirut: Mu'assasah al-Risālah, 2nd Ed., 1998).

Al-Ma'arrī, *Sharḥ Dīwān Abī al-Tayyib al-Mutanabbi*, 'Abdulmajīd Diyāb (Ed.) (Cairo: Dār al-Ma'ārif, 2nd Ed., 1992).

Al-Miqrī al-Tilimsānī, *al-Qawā'id*, Aḥmad ibn 'Abdullāh ibn Ḥumyd (Ed.) (Makkah: Umm al-Qurā University).

Al-Shārif al-Jurjānī, *al-Ta'rīfāt* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed., 1983).

Al-Subkī, *al-Ashbāh wal-Naẓā'ir*, 'Ādil Aḥmad 'Abdulmawjūd & 'Alī Muḥammad Mu'awwad (Eds.) (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed., 1991).

Al-Taftāzānī, *Sharḥ al-Talwīh 'ala al-Tawdīh li-Matn al-Tanqīh fī Uṣūl al-Fiqh*, Zakariyyā 'Umayrāt (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed.).

- Al-Zubydī, *Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*, ‘Abdussattār Aḥmad Farrāj (Ed.) (Kuwait: Ministry of Media, 1971).
- Al-‘Asqalānī, *Fath al-Bārī bi-Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Muḥammad Fu’ād ‘Abdulbāqī (Ed.) (Cairo: al-Maktabah al-Salafiyah, 1390H.).
- Ibn Fāris, *Maqāyīs al-Lughah*, ‘Abdussalām Muḥammad Hārūn (Ed.) (Beirut: Dār al-Fikr, 1979).
- Ibn Hishām, *Sharḥ Shudhūr al-Dhahab fī Ma‘rifah Kalām al-‘Arab*, Muḥammad Muḥyiddīn ‘Abdulḥamīd (Ed.) (Cairo: Dār al-Talā’i‘, 2004).
- Ibn Manzūr, *Lisān al-‘Arab* (Beirut: Dār Ṣādir, 3rd Ed., 1414H.)
- Ibn ‘Atīyyah, *al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz*, ‘Abdussalām ‘Abdushāfi‘ Muḥammad (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1422H.).
- Igor Malčuk, Andre Kalls & Alan Bulghar, *Muqaddimah li-Mu‘jamīyah al-Sharḥ wal-Ta‘līfiyyah*, Hilāl Ibn Ḥasan (Trans.) (Tunis: Ministry of Culture, 2010).
- Mālik ibn Anas, *al-Muwaṭṭa‘*, Muḥammad Fu’ād ‘Abdulbāqī (Ed.) (Beirut: Dār Iḥyā‘ al-Turāth al-‘Arabī, 1985).
- Muḥammad al-Ṭāhir Ibn ‘Āshūr, *al-Taḥrīr wal-Tanwīr* (Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah, 1984).
- Muḥammad al-Ṭāhir Ibn ‘Āshūr, *Maqāṣid al-Shari‘ah al-Islāmiyyah*, Muḥammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah (Ed.) (Doha: Ministry of Endowment and Islamic Affairs, 2004).
- Muslim ibn al-Ḥajjāj, *al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar*, Muḥammad Fu’ād ‘Abdulbāqī (Ed.) (Cairo: Maṭba‘ah al-Bābī al-Ḥalabī, 1st Ed., 1374H.).
- Quṭb Muṣṭafā Sāno, *Mu‘jam Muṣṭalaḥāt Uṣūl al-Fiqh* (Damascus: Dār al-Fikr, 1st Ed., 2000).
- Tamām Ḥassān, *al-Lughah al-‘Arabiyyah Ma‘nāhā wa-Mabnāhā* (Casablanca: Dār al-Thaqāfah, 1994).

[Historical Dictionary of the Arabic Language](#)



بلاغة الاكتفاء في شعر أبي الحسن الباحري (ت 467هـ)

مصطفى اليوسف الصايغ*

مُستَخَلَّص

الاكتفاء فنٌ بلاغيٌ يسهمُ في صوغ جماليات النسق اللغوي، ويدلُّ على براعةِ الشاعرِ وقدرتهِ في التعبيرِ عن مُضمراتِ الخطابِ، وإظهارِ تجربتهِ الشعريةِ، ويرتبطُ هذا الفنُ ارتباطاً وثيقاً بنسقِ الكلامِ، استغناءً بالمذكورِ عن المذوقِ الذي يمكنُ فهمُه من سياقِ الكلامِ، من دون الخروجِ عن قواعدِ اللغةِ وضوابطِها، أو إغفالِ جوانبِ الحُسنِ والبلاغةِ فيها. ويظهرُ هذا الفنُ في صورٍ عدَّةٍ رصدَها البلاغيون في مؤلَّفاتِهم، والشاعرُ الباحريُّ - أحدُ شعراءِ العصرِ السلاجقِيِّ - كان مولعاً بهذا الفنِ، ونظمُه في شعرِه كثيرٌ، وأتى به في صورٍ عدَّةٍ؛ منها الاكتفاءُ بحذفِ الكلمةِ، من مثلِ حذفِ جوابِ الشرطِ، والاكتفاءُ بطلبِ حرفِ الشرطِ لجملةِ الشرطِ وجوابِه، والاكتفاءُ بحذفِ الاسمِ المجرورِ، والاكتفاءُ بحذفِ بعضِ الكلمة؛ وذلكَ إظهاراً لبراعتهِ وثقافتهِ، ومشاركةً للمتلقيِّ في تأويلِ المذوقِ وتقديرِهِ في النسقِ اللغويِّ الواحدِ.

مفاتيح البحث: الباحري، البلاغة، الحذف، النسق، السياق

* باحث في الدراسات النقدية والبلاغية العربية، حاز درجة الدكتوراة في جامعة حمص، الجمهورية العربية السورية، .mustafa.alyousef.aldaeaa@gmail.com



The Rhetoric of Omission (*Iktifā'*): in the Poetry of Abū al-Hasan al-Bākharzī (467H.)

Mostafa Alyousef Aldayeh*

Abstract

Iktifā' (Omission) is a rhetorical device that contributes to shaping the aesthetics of linguistic structure and indicates the poet's skill and expressive capacity in conveying the implicit dimensions of discourse and revealing his poetic experience. This device is closely connected to the organization of speech, insofar as what is explicitly stated suffices in place of what is omitted, which can be understood from the contextual flow of the discourse, without violating grammatical rules and constraints or neglecting considerations of elegance and rhetorical effectiveness. This rhetorical practice appears in several forms identified by classical rhetoricians in their works. The poet al-Bākharzī - one of the poets of the Seljuk period - was particularly devoted to this device, employing it frequently in his poetry and in a variety of forms. These include ellipsis through the omission of a word, such as omitting the apodosis of a conditional sentence; relying solely on the use of a conditional particle to imply both the protasis and its apodosis; omitting a governed (genitive) noun; and omitting part of a word. Such usages serve to demonstrate the poet's rhetorical mastery and cultural sophistication, while also inviting the reader to participate in interpreting and reconstructing the omitted elements within a single, coherent linguistic structure.

Keywords: *al-Bākharzī, rhetoric, omission, structure, context*

* Researcher in the field of Arabic critical and rhetorical studies, PhD degree from Homs University, Syria, mustafa.alyousef.aldaeaa@gmail.com.

مقدمة

الشعر العربي على مر العصور متعدد الموضوعات متنوع الأغراض، تتضافر فيه وسائل فنية لتحقيق التأثير في المتلقى، والشعر في العصر السلاجقى غزير جداً، واسع الأفاق، لكنه متشابه الأفكار والأسلوب، ولا سيما أن بعض الشعرا قد ساروا على نهج القدماء في الأغراض، بما فيها من مدح وفخر وهجاء وغزل، وفي التراكيب، بما فيها من مтанة وشدة وفخامة، وخير من يمثل هذا الاتجاه التقليدي الظرفائي (ت 513هـ) والأبيوردي (ت 507هـ)، ويتخلق حوالهما خلقاً كثيراً من مثل الباخرزي الذي "تقلب بين المديح والنسب والشكوى والهجاء والغزل، مع العاب ذهنية وزخارف بد菊花".¹

وعند العودة إلى ديوان الباخرزي وقراءة سيرته؛ نرى أنه برع في فنون البلاغة، ولا سيما فن الاكتفاء، حتى شهد له ابن معصوم المديني (ت 1120هـ) بقوله: "وقد كان أبو الحسن الباخرزي مولعاً بهذا النوع من الاكتفاء، ونظمه في شعره كثيراً"،² فجاء شعره لطيف المعنى، حلول اللفظ، تام البيان، موافقاً لوصف ابن طباطبا (ت 322هـ) معيار الشعر، وكأنه ينطبق عليه، فهو القائل: "إذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلول لفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح، ولاعماً الفهم، وكان أنداداً من نفث السحر، وأخفى ديباً من الرُّقى، وأشد إطراياً من الغناء، فسل السخائم، وحلل العقد، وسحّ الشحيح، وشجّع الجبان".³

وعرف عن الباخرزي أنه كان "مزهواً بشعره، حتى عده معاصره أوحد العصر وأشعر الناس، وقال عنه العماد الأصفهاني (ت 579هـ): "كان واحد دهره في فنه، وساحر زمانه في قريحته وذهنه، صاحب الشعر البديع والمعنى الرفيع... لقد رأى أبناء العصر بأصفهان مشعوفين بشعره، متيهين بسحره"،⁴ لنظم شعره البديع، وجودة معناه الرفيع.

¹ علي جواد الطاهر، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلاجقى (بغداد: مطبعة المعرف، 1958)، ص 172.

² ابن معصوم المديني، أنوار الريبع في أنواع البداع، تحقيق: شاكر هادي شكر (بغداد: مطبعة النعمان، ط 1، 1969)، ص 75.

³ ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1982)، ص 22.

⁴ الطاهر، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلاجقى، ص 171، وانظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (القاهرة: دار المأمون، د.ط. د.ت)، ج 13: ص 34.

فالي أي حدى أسهمنا الاكتفاء في التعبير عن مقدرة الشاعر اللغوية وبراعته الفنية؟ وما قيمة إسهامه في تحقيق جودة النسق اللغوي؛ لبلوغ مقصود الكلام بإثارة انتباه المتلقى والتأثير فيه؟ هنا سؤالان نحاول الإجابة عنهما في أمثلة من شعر الباحري.

وقد أشار كثيرون من البلاغيين إلى فن الاكتفاء بوصفه فناً بلاغياً، يقوم على جودة الحذف، وبلاحة السكوت، وبراعة الاختصار؛ مما يدل على البراعة الفنية والمقدرة الأدبية، ورصدوا استعمالاً عدداً شعراً هذا الفن، وهو ما لقى انتباهي وأثار ذهني لمحاولة تتبّع هذه الظاهرة وتحليلها تطبيقاً في شعر أحد الشعراء.

من ثم جاءت أهمية فكرة البحث، فحاولت بيان ظاهرة (الاكتفاء) بالتأصيل للمصطلح نظرياً، وربط الدراسة النظرية بالتطبيق العملي على (شعر الباحري)، إذ لم يرد تطبيق هذا الفن على شعر الباحري من قبل، وإن كثرت الدراسات التي عالجت شعره، فبدأت أولاً ببيان المصطلح، ثم عمدت إلى تطبيقه بوصفه دراسةً وصفيةً تحليليةً في أمثلة من شعر الباحري، في محاولة لرصد المعاني التي قصد الشاعر إلى التعبير عنها، وبيان صلتها بالسياق، وما ذكر فيه وما استغنى عنه في النسق التعبيري، وهذا يمثل جوهر فن الاكتفاء؛ مما أبرز جماليات التشكيل اللغوي لديه، وعكس ثقافة الشاعر وقدرته على التعبير عن المعاني.

ولم أجده - حسب اطلاعى - أي دراسة عالجت ظاهرة الاكتفاء في شعر الباحري بالبحث والتحليل المفصل، مع الإشارة إلى دراسات عالجت شعر الباحري من جوانب مختلفة، ومصادر ومراجع أخرى عالجت مصطلح (الاكتفاء) تأصيلاً وتوضيحاً، ورصدت تطبيقه على أمثلة من القرآن الكريم، فمن المصادر كتاب "الشفاء في بديع الاكتفاء" ،¹ ويشتمل على فوائد لا غنى لدارسي العربية من الإمام بها وفهم فن الاكتفاء، تمهدًا لفهم أسرار القرآن الكريم، ومعرفة مقاصده، فرسم حدوده، وقد مثل له من القرآن الكريم وحديث النبي ﷺ، وقسم الاكتفاء ستة أقسام؛ منها ما كان يجمع الكلمة أو بعضها، مع التورية أو من دونها، ومنها ما كان مجرداً من البديع أو موشحاً به غير خارج عن الوزن.

¹ انظر: محمد النواجي الشافعي، الشفاء في بديع الاكتفاء، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1403هـ).

ومن المراجع دراسة بعنوان "أسلوب الاكتفاء بين البلاغيين وال نحوين" ،¹ و تتميز هذه الدراسة بأنها كانت أميالاً إلى الجانب التارخي، فرصدت تطور المصطلح على أنه اكتفاء بالحذف نحوياً، من دون وجود رابط دلالي سياقي يذكر فيدل على المذوف، كأن يقال: (أرسلت)، وهم يريدون: (جاء المطر)، فهنا اكتفاء بالحذف من دون رابط دلالي سياقي، فلا شيء يدل عليه إلا العرف والمثل العربي، كما وضحت هذه الدراسة المساحة الواسعة التي شغلت المصطلح عند البلاغيين.

وأيضاً دراسة بعنوان "الاكتفاء وأسراه في القرآن الكريم" ،² وفيها كشف الباحث عن مفهوم الاكتفاء نظرياً، وأوضح صلته بالإيجاز والإيجاز بالحذف، وحاول دعم دراسته بأمثلة من القرآن الكريم حسراً، ولم يتطرق إلى ورود هذه الظاهرة البلاغية في الشعر العربي. ومن الدراسات كذلك دراسة بعنوان "شعر الباخري: دراسة بيانية بديعية" ،³ وهي رسالة ماجستير تتحدث فصوصها عن فنون البيان والبديع في شعر الباخري.

وكذا دراسة بعنوان "جدل التضاد في شعر الباخري: دراسة تحليلية" ،⁴ عنبرت بالتضاد بوصفه أدأة فنية في شعر الباخري.

والفرق بين الدراسات السابقة وهذا البحث؛ أنها ركزت على الجانب النظري والتاريخي لمصطلح (الاكتفاء)، مع العناية بتقسيماته النظرية، ولم تأت على أمثلة من شعر الباخري، إلا ما قل منها وندر لغيره من الشعراء في العصور المختلفة، أما الباخري نفسه فلم يحظ شعره برصد هذه الظاهرة إلا عبر هذا البحث، وهو ما نحاول تجلياته إن شاء الله.

¹ انظر: أحمد غالب الخرشة، محمد عبد الرحمن الحجوج البطوش، "أسلوب الاكتفاء بين البلاغيين وال نحوين" ، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، المجلد (7)، 2021، ص 250-281.

² انظر: أحمد عبد العزيز عبيد، "الاكتفاء وأسراه في القرآن الكريم" ، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، العدد (8)، 2016، ص 346-441.

³ انظر: أحمد خليل عايد الزبيدي، شعر الباخري: دراسة بيانية بديعية (رسالة ماجستير، كلية الإمام الأعظم الجامعية، جمهورية العراق، 2022).

⁴ انظر: وليد عويد حسين علي، جدل التضاد في شعر الباخري: دراسة تحليلية (القاهرة: دار الحرم، 2024).

ومن ثم يسعى هذا البحث إلى تحليل أمثلة من شعر الباحرزي تحليلًا وصفيًّا؛ للكشف عن بلاغة الالكتفاء في النسق الشعري، والحكم على بنائه الفني، ويراعى في اختيار الشواهد الشعرية فنيتها ومطابقتها مفهوم الالكتفاء كما يبيّنه كتب البلاغة، مع الاعتناء بما تنضوي عليه النصوص الشعرية من مضمونات الخطاب وجماليات النسق الشعري.

ترجمة الباحرزي

هو "عليٌ بنُ الحسنِ بنُ عليٍّ بنُ أبي الطيب الباحرزي، يُلَقِّبُ بالأديبِ الرئيس، ويُنَكَّنُ بأبي الحسن أو أبي القاسم، أديبٌ من الشعراء الكُتَّاب، من أهل باحرز (من نواحي نيسابور)، كان من كُتَّاب الرسائل، وله علم بالفقه والحديث، اشتهر بكتابه (دمية القصر وعصرة أهل العصر)، وهو ذيلٌ لـ(بِيَتِيَّةِ الْدَّهْرِ) للتعالي (ت 429هـ)، وله ديوانٌ شعرٌ في مجلدٍ كبيرٍ في المستنصرية ببغداد، وأشعارٌ فارسيةٌ متفرقةٌ، وقصيدةٌ مطولةٌ جعلَ عنوانها (طرب نامه) أو (رسالة الطلب)، جعلها مكونةً من رباعياتٍ فارسيةٍ".¹

وللشاعر الباحرزي ديوانٌ شعريٌّ وصفه ابنُ العماد (ت 1089هـ) بأنه "مجلدٌ كبيرٌ، والغالب عليه الجودة"،² وله "قصبُ السبق في نظمِه ونشره، وكان في شبابِه مشتغلًا بالفقه على مذهب الإمام الشافعي، ولازمَ الشیخ الجوینی، ثم شرعَ في الكتابة، واختلفَ إلى دیوانِ الرسائل، ولكنَّ غلبَ أدبه على فقهه، فاشتهرَ بالأدبِ وعملَ بالشعرِ، وسمعَ الحديثَ، وينسبُ إلى (باحرز) بفتح الباء الموحدة وبعدَ الألف فاءً موحدةً مفتوحة، ثم رأةً ساكنةً وبعدَها زايٌ".³

¹ خير الدين الزركلي، *الأعلام* (بيروت: دار العلم للملاتين، ط 15، 2002)، ج 4: ص 272-273، وانظر: الطاهر، *الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلاجوقى*، ص 152 وما بعدها.

² ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: عبد القادر الأرناوط، محمود الأرناوط (دمشق: دار ابن كثير، ط 1، 1989)، ج 5: ص 288.

³ ابن خلkan، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1978)، ج 3: ص 387-389.

مفهوم الاكتفاء وصوره

يعود الجذر اللغوي مادة (الاكتفاء) إلى الأصل (كَفَى)، ومنه: "كفى فلان فلاناً الأمر؛ قام بأمره وتولاه عنه، فهو كافٍ، وكفى"، ومنه: أكتفى فلان بالشيء؛ اقتصر عليه واستغنى به وقنع، وتكتفى فلان بالشيء؛ استغنى به، واستكتفى الأمر؛ وجده كافياً موفوراً¹.

قال أبو إسحاق الرجاج في قوله تعالى: ((أَوْمَ يَكْفِ رِبَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) [فصلت: 53]: "معناه: ألم يكُفِ ربُكَ، ألم تكفه شهادة ربِكَ، ومعنى الكفاية هنا أنه قد بَيَّن لهم ما فيه كفاية في الدلالة على توحيدِه".²

فالمعاني السابقة تشتترك في الاقتصار والاستغناء بالمذكور عن المتروك، وما به تُسْدِد الحاجة، ويُلْغِي المراد، ويتحققُ الجزاء، سواءً في الشعر أم النثر أم القرآن الكريم. وتتفق الدلالة الاصطلاحية مع الدلالة اللغوية في كثيرٍ من جوانبها، ويمكن القول إنَّ قدامة بن جعفر (ت 337هـ) أولُ من أشار إلى مصطلح (الاكتفاء) في معرضٍ حديثه عن الحذف و Miyadīn استعماله، فقال: "وَمَا الْحَذْفُ إِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُهُ لِلْإِبْحَازِ وَالْأَخْتَصَارِ وَالْأَكْتِفَاءِ بِسِيرِ الْقَوْلِ إِذَا كَانَ الْمَخَاطَبُ عَالِمًا بِمَرَادِهِ فِيهِ".³

ثمَّ أشار إلى المصطلح عددٌ من البلاغيين؛ منهم ابن رشيق القمي (ت 456هـ) الذي أدخله في باب الإبجاز، كما فعل الرماني (ت 384هـ)، فقال في الضرب الثاني من الإبجاز: "مَا ذَكَرَ الرَّمَانِي - وهو قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ ((وَاسْأَلِ الْقَرْبَةَ)) [يوسف: 82] - يسمُونَه (الاكتفاء)، وهو داخلٌ في بابِ المجاز؛ وفي الشعرِ القديمِ والمحدثِ منه كثيرٌ، يحذفون بعضَ الكلام لدلالةِباقي على الذاهبِ".⁴

¹ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، مادة (كفى)؛ مجمع اللغة العربية بالشارقة، المعجم التاريخي للغة العربية، مادة (كفى).

² ابن منظور، لسان العرب، مادة (كفى)؛ الرجاج، معاني القرآن، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1988)، ج 4: ص 392.

³ قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق: طه حسين، عبد الحميد العبادي (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1933)، ص 59.

⁴ ابن رشيق القمي، العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقدِه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجليل، ط 5، 1981)، ج 1: ص 251، ويني الرماني هذا النوع (الإبجاز بالحذف)، انظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: عبد العليم (دلهي: مكتبة الجامعة الإسلامية، 1934)، ص 2-3.

وخصص ابن حجة الحموي (ت 837هـ) باباً ذكر فيه الاكتفاء باسمه الصريح، فقال: "الاكتفاء هو أنْ يأتي الشاعر ببيتٍ من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف، فلم يفتقر إلى ذكر الممحذف للدلالة باقي لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي قام المعنى، وهو نوعٌ ظريفٌ ينقسم إلى قسمين؛ قسمٌ يكونُ بجميع الكلمة، وقسمٌ يكونُ ببعضها، والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكاً لكنه أحلى موقعاً، ولم أره في كتب البديع، ولا في شعر المتقدّمين".¹

ومن أمثلة الاكتفاء التي استدلّ بها الحموي على حذف جميع الكلمة قول ابن مطروح:² [من الكامل]

والله لا خطر السلو بخاطري ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

وتتمم الكلام: ولا إذا مُتْ؛ لقوله سابقاً: "قيد الحياة"، ولو أتمَّ البيت لكان "عيّا من عيوبِ الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه في الأذهان".³

والاكتفاء ببعض الكلمة عزيزٌ قليلٌ في الأدب، منه قول ابن سناء الملك: ⁴ [من البسيط]

أهوى الغرالة والغزال ورِئما نهنت نفسي عَفَّةً وتدئنا

حتى إذا أعييت أطلقت العنا ولقد كففت عنانَ عيني جاهداً

يقصدُ بـ(العنان) العنان.

وقسام السيوطى (ت 911هـ) الحذف إلى أنواعٍ منها الاكتفاء الذي يعني عنده "أنْ يقتضي المقام ذكرَ شيئاً بينهما تلازمٌ وارتباطٌ، فيكتفي بأحدِهما عن الآخر لنكثةٍ، ويختصُ

¹ ابن حجة الحموي، *خزانة الأدب وغاية الأرب*، تحقيق: عصام شعيب (بيروت: دار ومكتبة الملال، ط 1، 1987) ج 1: ص 282، وهذا المعنى الذي خصّه به ابن حجة هو ما حدّه به صفي الدين الحلبي (ت 750هـ)، انظر: صفي الدين الحلبي، *شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع*، تحقيق: نسيب نشادي (بيروت: دار صادر، ط 2، 1992)، ص 105.

² ديوان ابن مطروح، تحقيق: حسين نصار (القاهرة: مطبعة دار الكتب الوثائقية والقومية، 2004)، ص 84.

³ ابن حجة الحموي، *خزانة الأدب وغاية الأرب*، ج 1: ص 282.

⁴ ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، حسين نصار (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1969)، ص 328.

غالباً بالارتباط العطفي، كقوله تعالى: ((سَرَابِيلَ تَقِيمُكُمُ الْحَرَّ)) [الحل: 81]، أي: والبرد، وحُصِّصَ الْحَرُّ بالذكر؛ لأنَّ الخطاب للعرب، وبلاَدِهِم حارَّةً والوقايةُ عندهم من الْحَرِّ أَهْمُّ؛ لأنَّه أَشَدُّ عنَّهُم من البرد¹.

وتزداد العناية بالاكتفاء مع ابنِ معصوم المدي الذي ذكر ما أتى به السابقون، وصنفَ الاكتفاء على أنه ضربٌ من الإيجاز، ويكونُ بحذفِ الكلمةِ أو بعضِ الكلمةِ، مع أمثلةٍ تفصيليةٍ لكلٍّ منها.

1. الـاكتفاء بـحذف الكلمة: صنفَ ابنُ المدي الموضع التي يكونُ فيها، "فِيـكتـفـي بـأـحـدـهـما عنـالـآخـرـ لـنـكـتـةـ، وـلـاـ يـكـوـنـ الـمـكـتـفـيـ عـنـهـ إـلـاـ آخـرـ؛ لـدـلـالـةـ الـأـوـلـ عـلـيـهـ"؛ أي يـكـوـنـ بـيـنـهـما اـرـتـبـاطـ، وـهـذـاـ اـرـتـبـاطـ يـأـتـيـ فـيـ صـوـرـ عـدـدـةـ، مـنـهـاـ أـنـ يـكـوـنـ:

(أ) بالـعـطـفـ، وـهـوـ الـغـالـبـ، وـأـعـظـمـ شـوـاهـدـهـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: ((وَلَهُ مَا سَكَنَ فـيـ اللـيـلـ وـالـنـهـارـ)) [الأـنـعـامـ: 13]، أي: (وـمـاـ تـحـرـكـ)، وـحـصـسـ الـسـكـونـ بـالـذـكـرـ، لـأـنـهـ أـغـلـبـ الـحـالـيـنـ عـلـىـ الـمـخـلـوقـ مـنـ الـحـيـوـانـ وـالـجـمـادـ، وـلـأـنـ كـلـ مـتـحـرـكـ يـصـرـيـ إـلـىـ الـسـكـونـ).³

(ب) بـالـشـرـطـ وـجـوـاـبـهـ، مـنـ مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: ((فـإـنـ اـسـتـطـعـتـ أـنـ تـبـتـعـيـ نـفـقـاـ فـيـ الـأـرـضـ أـوـ سـلـلـاـ فـيـ السـنـاءـ)) [الأـنـعـامـ: 35]، أي: (فـافـعـلـ).

(ج) بـالـقـسـمـ بـدـيـعـهـ، مـنـ مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: ((وـالـنـازـعـاتـ عـرـقـاـ)) [الـنـازـعـاتـ: 1]، أي: (تـبـعـثـنـ).

(د) بـطـلـبـ الـفـعـلـ لـلـمـتـعـلـقـ، مـنـ مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: ((خـلـطـوـاـ عـمـلـاـ صـالـحـاـ)) [الـتـوـبـةـ: 102]، أي: بـسـيـئـ، وـ((وـآخـرـ سـيـئـاـ)) [الـتـوـبـةـ: 102]، أي: بـصـالـحـ، أـوـ بـطـلـبـهـ لـلـمـفـعـولـ، مـنـ مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: ((كـلـاـ سـوـفـ تـعـلـمـوـنـ)) [الـكـافـرـ: 3]، أي: (عـاقـبـةـ أـمـرـكـمـ).

¹ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأنطاوط (بيروت: مَؤسَّسة الرِّسَالَةِ، ط1، 2008)، ص541، وهذا ما جاء به الزركشي (ت794هـ) سابقًا، انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار التراث، د.ت)، ج3: ص118.

² ابن معصوم المدي، أنوار الريبع في أنواع البديع، ج3: ص71.

³ لبيان هذه الصور كلها انظر: المدي، أنوار الريبع في أنواع البديع، ج3: ص71، وما بعدها.

(ه) بطلبِ حرفِ الشرطِ لجملةِ الشرطِ وجوابه، من مثل قولِ رؤبة بن العجاج: ¹ [من الكامل]
قالتْ بناتُ العِمَّ: يا سلمي، وإنْ
كانَ فقيراً معدماً؟ قالتْ: وإنْ

(و) بالاسميةِ والخبريةِ (إنَّ) وأمثالها، من مثل قولِ عبيدِ اللهِ بن قيس الرقيات: ² [من مجموعِ الكامل]
ويقلُّنْ: شَيْبٌ قَدْ عَلَّا
كَ وَقَدْ كَبِرَتْ، فقلتُ: إنَّهُ

على قولِ ابنِ هشام: (إنَّهُ) يجوزُ ألا تكونَ الماءُ للسكت، بل اسمًا (إنَّ)، على أنها المُؤكدة،
والخبرُ مُحذف، أي: (إنَّه قد علاني الشيب).

2. الالكتفاءُ بحذفِ بعضِ الكلمةِ: هو "حذفُ بعضِ حروفِ القافيةِ من آخرها لدلالةِ
الباقيِ عليه، واحتززنا بالقافيةِ عن غيرها" ³ واستشهادُ ابنِ المديِّ لهذا ببعضِ الأمثلةِ القليلة،
منها قولُ هبةِ اللهِ بنِ سناءِ الملك، وهو يقصدُ بـ(العنان) العنان، في قوله: ⁴ [من البسيط]

أهُوَ الْغَرَالَةُ وَالْغَرَالَ وَرَمَّا
نَهَنْتُ نَفْسِي عَفَّةً وَتَدِينُ

ولقد كففتُ عنانَ عيني جاهدًا
حتى إذا أعييتُ أطلقتُ العنان

بعدَ استقرارِ مصطلحِ (الالكتفاء)، ومعاجلته عندَ البالغين، وفي أشعارِ المتقدمين؛
تبينَ لنا أنَّ الالكتفاءَ قرينةُ الحذفِ، وقد يردُّ في الشعرِ أو النثرِ أو القرآنِ الكريمِ، ويرتبطُ
ارتباطاً وثيقاً بدلالةِ سياقِ الكلامِ، فلا بدَّ من مذكورٍ يدلُّ على المُحذفِ الذي تتمُّ به الإلقاءُ
المرجوَّةُ، فهو قريبٌ جدًا من الحذفِ الذي يُعدُّ "باباً" دقيقَ المُسلكِ، لطيفَ المأخذِ، عجيبَ
الأمرِ شبيهًا بالسحرِ، فإنك ترى به الذكرُ أفضحَ من الذكرِ، والصمتُ عن الإلقاءِ أزيدَ
للالقاءِ، وتجدُك أنطقَ ما تكونَ إذا لم تُنطِّقْ، وأتمَّ ما تكونَ بيانًا إذا لم تُبَيِّنْ" ⁵، لكنه يمتازُ عنَّه
بضرورةِ وجودِ قرينةِ في السياقِ اللغوِيِّ.

¹ وليم بن آلورد البروسي، مجموعُ أشعارِ العربِ (بغداد: مكتبةِ المثنى، 1903)، ص 186.

² ديوانُ عبيدِ اللهِ بنِ قيسِ الرقياتِ، تحقيق: عزيزةِ فوالِ باتي (بيروت: دارِ الجيلِ، ط 1، 1995)، ص 212، وأضاف الشارح: "هذا اختصارٌ من كلامِ العربِ يُكتفى منه بالضميرِ، لأنَّه قد علمَ منه معناه".

³ ابنِ معصومِ المديِّ، أنوارُ الريَّفِ في أنواعِ البدِيعِ، ج 3: ص 83.

⁴ ديوانُ ابنِ سناءِ الملكِ، ص 328.

⁵ المحرجاني، دلائلُ الاعجازِ، تحقيق: محمودُ محمدُ شاكر (القاهرة: مطبعةِ المديِّ، ط 3، 1992)، ص 146، وعقدَ له ابن جني (بابُ الالكتفاءِ بالسببِ عنِ المسبِبِ، وبالسبِبِ عنِ السبِبِ)، وقال: "هذا موضعٌ من العربيةِ شريفَ لطيفَ، وواسعَ ملائمَه"؛ انظر: ابن جني، الخصائصِ، تحقيق: محمدُ عليِّ النجاشيِّ (القاهرة: دارِ الكتبِ المصريةِ، د. ط. د. ت.)، ج 3: ص 173.

إذن، الاكتفاء فنٌ بلاغيٌ تميّز به الشّعراً على مرّ العصور، وورد بمسماياتٍ مختلفةٍ منها (الحذف) و(الاختصار) و(الإيجاز)، وقد تميّز الشّعراً في العصر السّلجوقي بالبراعة في فنون البلاغة المختلفة، فبذا ذلك سمةً ظاهرةً من سماتِ العصر، فـ"الطباق" ، والجناسُ ، والتورىةُ ، والإبهامُ ، والاستعارةُ ، والتشابهُ ، والتضامينُ ، والاقتباساتُ ؛ أمورٌ وجودُها في كلِّ قصيدةٍ، بل في كلِّ بيتٍ، بديهيٌ¹.

¹ محمد ألتونجي، حول الأدب في العصر السّلجوقي (بغازي: مكتبة قورينا، ط1، 1974)، ص246، وما بعدها. ويمكن الاستدلال على الحكم بهذه الفنون البلاغية في العصر السّلجوقي عند الباخرزي وغيره، من مثل: - الطباق بين (النفع) والضرر) في قول أبي الحسن الرواستاني: (1) [من الطويل]

يقرُّ عيني أن يلوم لي الموى
وإن كانَ فيه لوعي وعنائي
فإن شئت فانفعني وإن شئت ضرئني
فلست بسالٍ عنك طول بقائي
- الجناس بين (الكلام) والكلام) في قول الباخرزي: (2) [من الواقر]
وأشرقني الجريض فلا فريض
وأتخنّني الكلام فلاماً كلام
- التضمين في قول أبي نصر المهلي: (3) [من الكامل]
 كانوا عصارةً هذه الأعصار
"الله در عصارة نادم تهم"

وهو صدر بيت لحسان، وعجزه: "يوماً بجلق في الزمان الأول".⁽⁴⁾

- التناصُ من أبيز سمات شعر الباخرزي، إذ استنقى من الحديث النبوى لرسم صورة محبوبة فقال: (5) [من الطويل]
زكاؤه رؤوس الناس في عيد فطريهم
يقول رسول الله: صاع من التر
ورأسك أغلى قيمةً فنصدّق
بفيك علينا فهو صاع من الدرّ

استعمل الحديث عن عيد الفطر في باب الغزل، فهو يتغزل في محبوبته، ويقول إنها أغلى شيء، فعليها أن تتصدق بفيها عليه، فهو صاع من الدر، وقد استوحى المعنى من قول الرسول ﷺ: "عن ابن عمر قال: أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر على كل مسلم، حرّ وعبدٌ، صغيرٌ وكبيرٌ، صاع من تم، أو صاع من شعر".⁽⁶⁾

- اقتباس الباخرزي الآية الكريمة: (إِنَّ لَمَّا طَعَى الْمَاءَ كَمْلَنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) [الحاقة: 11]:⁽⁷⁾ [من السريع]
لَمَّا طغى الماء على الجارِي
يا خالقَ الْخَلْقِ حملت السُّورِي
وعبَّدُكَ الْآنَ طغى مَاءُهُ
في الصُّلْبِ فاحمله على جارِيَهُ

انظر على الترتيب:

- (1) الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق: محمد ألتونجي (بيروت: دار الجليل، ط1، 1993)، ص448.
- (2) محمد ألتونجي، علي بن الحسن الباخرزي: حياته وشعره وديوانه (بيروت: دار صادر، 1994)، ص178.
- (3) ألتونجي، حول الأدب في العصر السّلجوقي، ص247.
- (4) ديوان حسان بن ثابت الأنباري، تحقيق: عبد مهنا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1994)، ص184.
- (5) نعمة عبد الله علي إبراهيم، "التناص في شعر أبي الحسن الباخرزي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قنادة السويس، 2(28)، 2019، ص245.
- (6) الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد الجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2)، ج12: ص377.
- (7) ألتونجي، حول الأدب في العصر السّلجوقي، ص214.

ونستطيع تلمسَ كثير من هذه الظواهر البلاغية عند الباحرزي الذي تميّزَ أسلوبه ببراعةِ التركيبِ وجودةِ السبك، فهو "أديبٌ ناضجُ الأدب، متصنّعٌ تامُّ الصنعة (وذلك بما يناسبُ رغباتِ الفترة التي عاشَها)، عليمٌ بحاجاتِ العصر الأدبية" ¹، نَظَمَ شعره في أغلبِ الأغراضِ الأدبيةِ الذاتيةِ والتقليديةِ المناسبةِ للعصرِ الذي عاشَ فيه، واستعملَ فنَّ الاكتفاءِ البلاغيِّ بصورةٍ؛ في حذفِ الكلمةِ أو التعبيرِ بجزءٍ منها عن مراده المفهوم من سياقِ الكلامِ، من دون الخروج عن قواعدِ اللغةِ وضوابطِها، أو إغفالِ جوانبِ المحسنِ والبلاغةِ فيها، فكان هذا الفنُّ البلاغيِّ خيرٌ وسيلةً أظهرَتْ مقدرةَ الشاعرِ اللغويةِ في التعبيرِ عن مقاصدِ الخطابِ ومراميِ الكلامِ.

صُورُ الاكتفاءِ عندَ الباحرْزِي

أولاً: الاكتفاءُ بحذفِ الكلمة

1. الاكتفاءُ بالشرطِ وجوابِه:

يتَّبعُ الباحرْزِيُّ - مثلُ غيرِه من شعراءِ عصرِه - في بعضِ قصائدهِ النمطِ التقليديِّ، من وصفِ ديارِ الأحبةِ والأطلالِ الدارسةِ؛ ليستميلَ قلوبَ السامعينِ وعقولَهمِ إليهِ، ولكنهُ هنا يستغلُّ مشهدَ الوقوفِ على الأطلالِ؛ لتعلقُ قلبهِ بما هو أجملُ وأحبلُ، فيلتجأُ إلى فنِّ الاكتفاءِ الذي يعيُّنهُ على وصفِ ديارِ الأحبةِ الدارسةِ، وتبلغُ السلامَ محبوبَهِ التي لطالما اشتاقَ لها، فيقولُ: ² [من البسيط]

فاصبِرْ وإنْ حُلِقَ الإنْسَانُ منْ عَجَلٍ
كأنِي طلَلْ بَالٍ عَلَى جَمِيلٍ

أراكَ مُسْتَعْجَلًا يا حادِي الإِبَلِ
وَقَفْتُ وَالشَّوْقُ يَلِينِي عَلَى طَلَلٍ

¹ ألتونجي، علي بن الحسن الباحرزي، ص31.

² المرجع السابق، ص155.

يُخاطب الشاعر سائق الإبل، ويطلب منه الصبر والتروي قليلاً؛ لشدة تعلقه بديار الأحبة، لكنه مع ذلك يلتمس العذر له؛ لأنَّ طبع الإنسان السرعة والعجلة عامة، مقتبساً الآية الكريمة: ((خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)) [الأبياء: 37]، وهذا يدلُّ على قدرة الشاعر على توظيف آياتٍ من القرآن الكريم في شعره.¹

فالعجلة صفةٌ بشريةٌ قُطِرَ عليها الإنسانُ، ولكن الصبر مطلوبٌ وإنما كانت تلك هي الحال، وقد كرَّ الشاعر معنى العجلة بقوله: (مستعجلًا، من عجل)، مؤكداً طبيعة النفس البشرية المتعجلة دائمًا، ومُكَرِّراً المعنى عبر بُنْيَة لفظية (مستعجلًا، مِنْ عَجَلٍ)، وقد وُفق الشاعر في توظيف فنِ الاكتفاء هنا باستعمال أسلوب الشرط وحذف الجواب، وتقدير الكلام: (وَإِنْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ فَعَلَيْهِ بِالصَّبْرِ)، أو (فليلزم الصبر)، والجواب المذوقُ يُفهَمُ من سياقِ الكلام السابق (فاصبر).

وفي فنِ الاكتفاء كثيراً ما يُحذفُ جوابُ الشرط ل توفير الجهد اللغوي، وتحقيق التكافف البلاغي، ولا سيما أنَّ في سائر الكلام ما يدلُّ على الكلام الذاهِب، من مثل قوله تعالى: ((فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفْقَاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ)) [الأنعام: 35]، وتقديرُ الكلام: (فافعل)، وفي الاكتفاء توجيهٌ للذهنِ إلى بلاغةِ المذكور وأهميته، وضرورةِ إعمالِ العقلِ في البحثِ عن المذوق.

¹ يسمى هذا (الاقتباس)، وهو "أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتفخيمها لشأنه". انظر: الرازي، *نهاية الإيجاز في درية الإعجاز* (القاهرة: مطبعة الآداب، 1317هـ)، ص 112، وكذا قال في بيت آخر: [من البسيط]

كذا ابنُ عمران نادى رَبَّهُ: أَرِنِي
أنظُرْ إِلَيْكَ، فَقَالَ: انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ

ونظير هذا اقتباس آخر من القرآن الكريم في قوله: [من مطلع البسيط]

نَفْسِي فَدَاءٌ لَذِي حَفَاظٍ
يَفْدُدُ فِي مَهْجَتِي نَفَادًا
قَلْثُ: وَقَدْ تَحْتَ في هَوَاهُ
(يَا لَيْتَنِي مِثْ قَبْلَ هَذَا)

فالاقتباس في البيتين السابقتين واضح تماماً من الآية الكريمة: ((قَاتَلْتُ يَا لَيْتَنِي مِثْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ أَسْيَاً مَنْسِيًّا)) [إِيمَ: 23]، وبنظرة مقارنةٍ بين الآية الكريمة وما جاء به الباحري نرى "تمني الموت في سياق الآية الكريمة يشير إلى المخوف من عارٍ قد يُلصقُ بالسيدة مريم - عليها السلام - ظلماً، ويأتي تمني الموت في السياق الغلياني عند الشاعر بعد رؤية المحبوب، مما يضفي نوعاً من المبالغة في التعبير عن شدة المخاوف بالمحبوب". انظر: ألتونجي، علي بن الحسن الباحري، ص 103؛ إبراهيم، التناص في شعر أبي الحسن الباحري، ص 238.

ونظير هذا الاكتفاء في أسلوب الشرط قول الباحرزي أيضاً: ¹ [من مطلع البسيط]
 يعقوب عمّي وغير بداع لو عمّ قلبي ولا عمّي
 انظر إليه كيف يتلاعب بلفظة (عم)، وتقدير الكلام المحنوف: لو عمّ قلبي ولا عمّي فهو غير بداع وغير مستغرب.

وفي موضع آخر يعمد الباحرزي إلى فن الاكتفاء ليُعيّر عن عفة نفسه وكرامته وترفعه عن الدينين، فيقول: ² [من البسيط]

أصون هدب ردائِي ليس يجذبُه إلا فتّي يبذل الإنفاق إن صافٍ
 ولم يجُنْ قطُّ إلفٌ في مودته إلا وجدتُ من الألاف آلاً
 يعيّر الشاعر هنا عن العفة والكرامة بالحافظة على طرف ردائِه، فلا يبذلُه ولا يتودّدُ
 أو يتقرّبُ من أحدٍ يسِّر وسهولة، إلا لمن يكون صافياً في مودته ومحبته، يعامل الناس
 بإنفاقٍ، وبخاصة إن صافاه الناس، فالشاعر قيَّد مودته بالإإنفاق عند الصفاء، فلا يعطي
 الثقة إلا لمن يستحقُها بصدقٍ، ولبيان ذلك عمدَ إلى فن الاكتفاء بحذف جوابِ الشرط في
 قوله: (إن صافٍ)، وهي جملة شرطية مكونة من أدلة الشرط وفعله، أما جوابه فمحنوف؛
 لدلالة سياقِ الكلام عليه، ويمكن تقدير الكلام بقولنا:
 - إلا فتّي يبذل الإنفاق (إن صافٍ بصدقٍ ومحبةٍ وأخلصَ في مودته).
 - إن صافٍ بذلتُ له الودَّ وقدمْتُ له الحبة.

وفي هذا الحذف إيجاز للعبارة يدفع المتلقِّي إلى البحث عن تمام المعنى، فتتشوّقُ
 نفسه ويُستثار ذهنه للبحث عن الجواب، إلى أن يصل إلى أن الشاعر يمنع ثقته للمنافق
 العادل الصادق في مودته، وفي هذا تشويقٌ وإيجاءٌ يتركُ باب التأويل مفتوحاً يقدّره المتلقِّي
 حسب فهِمهُ البيت، مما يعطيه قوَّةً وعمقاً أسلوبياً، وعند النظر في البنية التركيبية لهذا النسق
 اللغوي نرى الشاعر موقعاً في تحقيقِ انسجامِ اللفظة في موضعِها متَّوافقةً مع السياق، ومحققةً

¹ ألتونجي، علي بن الحسن الباحرزي: حياته وشعره وديوانه، ص 177.

² المرجع السابق، ص 129.

الانسجام الصوتي،¹ بالجنسِ بين (الإنصاف) و(إِنْ صَافَ)، بعيداً من التعقيد والإغراط في الألفاظ، وهو بناءً لفظيٌّ ساعده على تحقيقِ البناءِ المعنوي لبلاغةِ الاكتفاء، ليدلّ على فنيةِ الشاعرِ ومقدراته في تحقيقِ الانسجامِ اللفظيِّ والمعنويِّ، ثم يؤكدُ هذا المعنى في البيتِ الثاني باستغنايَّه عنَّا في الثنائيِّ وعدمِ التشبيثِ إلَّا بِمَنْ يصفُونَ في مودَّتهِ.

2. الاكتفاءُ بطلبِ حرفِ الشرطِ لحملةِ الشرطِ وجوابِه:

مَمَّا يلفتُ الانتباهَ أَنَّ من خصائصِ شعرِ الباحريِّ كثرةُ الاقتباسِ والتناصِ بينَهُ وبينَ مصادرِ التراث؛ من مثلِ الشعرِ والقرآنِ الكريمِ والحاديَّثِ الشريفِ، فهو "لا يعيَّدُ إنتاجُ نصوصٍ قديمةٍ أو كتابتها، ولكنَّ ينبعُها تفسيرًا جديداً، أو يقدِّمها بشكلٍ جديداً أو رؤيَّةً جديدةً، من خلالِ الامتناعِ والتفاعلِ بينَ هذه النصوصِ، فهو ينسجُ من النصوصِ القديمةِ نصَّاً جديداً، وحيثَ يتلاقى النصُّ والقارئُ يغدو الأخيرُ طرفاً فاعلاً ومنتجاً للتناصِ، من خلالِ استحضارِه لمخزونِه الثقافيِّ الثنائيِّ عمليَّة القراءةِ"؛² والشاعرُ هنا يوظِّفُ التناصَ الشعريِّ، وينجحُ في ذلك على مصدرٍ من مصادرِ التراثِ، فيقولُ:

[من الجثث]

يا جاهلاً عابَ شعريِّ فكَدَ قلبيِّ وأَلَمْ
عليَّ نحتُ القوافيِّ وما علَمْيَ إذاً

يذمِّرُ الشاعرُ في البيتينِ السابقيَّينِ، ويُنتقدُ مَنْ لا يفهمُ شعره ولا يقدِّرُه، إذ يخاطبُ الجاهلَ الذي لا يقدِّرُ قيمةَ الشعرِ ولا يفهمُ معناه، وهو ما آلَمَ الشاعرَ وأتعبَ قلبه وأحزنه، ولكنه مع ذلك لا يفقدُ ثقتهِ بنفسِه، بل نراه يفخرُ بقولِهِ الشعرَ، إذ يعمدُ إلى نظمِ القوافيِّ الشعريةِ، وتضمِّنُها مقاصِدَهِ، وفي البيتِ الثانيِ موطنُ الاستشهادِ في قولهِ: (إذا لم)، فيكتفي

¹ يرى إبراهيمُ أنيسُ أنَّ "مجاورةَ الأصواتِ بعضَها بعضاً في الكلامِ المتصلِ هي السُّرُّ فيما يصيبُ بعضَ الأصواتِ من تأثُّرٍ، والأصواتُ في تأثُّرِها تُحذفُ إلى نوعٍ من المعاشرةِ أو المعاشرةِ بينَها، ليزدادَ مع مجاورتها قُرْبُها في الصفاتِ أو المخارجِ، ويمكنُ أنَّ يسمى هذا التأثُّر بالانسجامِ الصوتيِّ بينَ أصواتِ اللغةِ". انظر: إبراهيمُ أنيس، **الأصواتُ اللغوية** (القاهرة: مكتبةِ الأنجلو-المصرية، ط٥، 1975)، ص106.

² إبراهيم، التناصُ في شعرِ أبي الحسنِ الباحريِّ، ص236.

³ أَلْتَوْنِجِي، عليِّ بنِ الحسنِ الباحريِّ، ص177.

بالمذكور دلالةً على المذوف، وسياق الكلام يتطلب تقدير: (إذا لم تفهم كلامي فماذا علىَّ، إذا لم يعجبك فماذا علىَّ، إذا لم تدرك معناه فماذا علىَّ).

ولإظهار النقاقة بالقدرة الشعرية، عمد الشاعر إلى التضاد بين (علىَّ) و(ما علىَّ); إذاناً بتكليف نفسه ما تستطيع من نحت القوافي، وأنه لا يكلفها ما لا صلة لها به (أي جهل المخاطب)، مما يربّر التناقض التام بين واجبه في الإبداع الشعري وأنه لا يبالي جهل المخاطب، وفيه من السخرية والتقليل من شأن الجاهل ما فيه، وفي هذا الالكتفاء إيجازٌ وبلاهة في التعبير عن المعنى، وإيحاءً بالاستهانة بالجاهل الذي لا يفهم الشعر، واعتزازًّا بعمق المعنى الشعري، وإظهاراً للثقافة العالية التي سكبها البخارزي "في قالب كتاباته، فنراها معروضةً عرضاً مباشراً حيناً، وحينما آخر منثورةً نثراً غير مباشر، فقد يقطع بعض ما يستشهد به أو يلمح عنه تلميحاً، ويدلُّ إكتاره هذا على مقدرة بارعة في البخارزي" ،¹ ولعله هنا يلمح تلميحاً واضحاً إلى قول البحترى: ² [من السبيط]

أهُنْ بالشِّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِيَّ وَسَنٍ
فِي الْجَهَلِ لَوْ ضُرِبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
عَلَيَّ نَحْنُ الْقَوَافِيْ مِنْ مَقَاطِعِهَا
وَقُولُ الْبَخَرَزِيْ السَّابِقُ اسْتَدَلَّ بِهِ الْمَدِيْ فِي كِتَابِهِ "أَنْوَارُ الرَّبِيعِ" ، وَاسْتَحْسَنَهُ، فَقَالَ:
وَقَدْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَخَرَزِيْ مُولِعًا بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْالْكْتِفَاءِ، وَنَظَمَهُ فِي شِعْرٍ كَثِيرٍ".³

3. الالكتفاء بحذف الفعل:

تحكي بعض قصائد البخارزي تجربته مع النساء، فنراه يصوّر فراق الأحبة في مشهدٍ دراميٍ يفوح بالحنق والأمل والرجاء، ولشدة تلهف قلبه نراه يحذف الفعل ويحاول التصبر، فيقول: ⁴ [من السريع]

صَبِرًا جَمِيلًا فَلَعْلَّ أَوْ عَسَى	يُورُقُ عُودُ الْوَصْلِ بَعْدَمَا عَسَى
كَالصَّخْرِ تَنْدِي عَيْنُهُ وَإِنْ قَسَّا	وَرَقَّا يِكَيِ الْجَلِيدُ صَبْوَةً

¹ المرجع السابق، ص 31-32.

² ديوان البحترى، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: دار المعرفة، ط 3)، ص 955.

³ ابن معصوم المدبي، أنوار الربيع، ص 75.

⁴ التونجى، علي بن الحسن البخارزي، ص 118.

يبحثُ الشاعرُ نفسه على الصبرِ على فراق الأحبة، راجيًّا عودةَ الوصال بعد الانقطاعِ (فعلٌ أو عسى يورقُ عودَ الوصلِ بعدما عسًا)، كما يرجي أنْ يورقَ الغصنُ بعد بيسه، وفي هذا السياق نلحظُ فنَّ الاكتفاء في دعوة الشاعر نفسه إلى الصبرِ في قوله: (صبراً جميلاً)، بإسقاطِ الفعلِ (اصبر)، ليُشعرَ القارئَ أنَّ الصبرَ مطلوبٌ من دون الحاجةِ إلى إطلاقِ الفعل، وكأنَّ المعنى متزوكٌ للمتكلَّفي لاستحضارِ الفعلِ الواضحِ بدلالةِ الباقي على الذاهب؛ وهذا جوهرُ فنِّ الاكتفاء، والتقدير: (اصبر صبراً جميلاً)، نظيرُ هذا من القرآنِ الكريم قوله تعالى: ((فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)) [العلق: 5]، والباحثُ الباحري الذي يستقي من القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ ومصادرِ التراث؛ تذكرُ عنه مصادرُ ترجمته أنه كانَ "حافظًا للقرآنِ والحديثِ الشريفِ، مطلعًا على الأدبِينِ الجاهليِّ والإسلاميِّ، ناهيك عن أدبِ عصره الذي عاشَه ونقلَه، فتناقلَه الناسُ عنه".¹

وعند تحليلِ الفنِّ البلاغي نلحظُ التركيزُ على نوعيةِ الصبرِ، فهو (صبر جميل)، صبرٌ نقىٌّ مثاليٌّ بعيدٌ من الشكوى والندمُ، وفي حذفِ الفعلِ (اصبر) خفةٌ موسيقيةٌ، فلا يُتَّصلُ التركيبُ بالأمرِ (اصبر)، وكأنَّ الشاعرَ يُذكِّرُ نفسه بلطفِ الصبرِ الجميلِ، وهو صبرٌ يبيِّثُ الأملَ في النفسِ عبرِ السياقِ اللاحقِ، مع التعلُّقِ برجاءٍ واضحٍ في قوله: (فعلٌ أو عسى)، والتمثيلُ لذلك بأنْ يورقَ عودَ الوصلِ بعد قساوته وجفائه، أي إنَّ حذفَ الفعلِ يساوي في المعنى دعوةً داخليةً لطيفةً إلى الصبرِ لا أمرَ فيها، وهو ما يناسبُ عاطفةَ الشاعرِ ونفسه الصابرةِ الممزوجةِ بالأملِ، ودليلُ الأملِ يوردهُ الشاعرُ في البيتِ الثاني، إذ قد تندى عينُ الصخرِ مع قساوته وصلابته، وهو ما يعزِّزُ الأملَ والتفاؤلَ في نفسه مع قساوةِ مشهدِ الفراق.

يتميزُ الباحري إذن بثقافةٍ شعريةٍ مكنته من الاطلاعِ على أشعارِ القدماءِ والاقتباسِ منهم، والتناسُ مع بعضِهم، فنراه يسيرُ في بعضِ قصائده على طريقتهم، وينتهجُ هججهم في أساليبِهم التعبيريةِ وبنائهمِ الفنيِّ، ويتجاوزُ في قصائده أخرىَ هيكلَ القصيدةِ وبناءَها الفنيِّ، وتعُدُّ قصائده المديح في شعره "أكثرَ طولاً، كما أنه يوليه الأهميةِ المستفيدةِ من

¹ المراجع السابق، ص 31.

أسلوبٍ ومن صورٍ، والصفاتُ التي كان الباحرزي يغدقُها على المدوح هي الكرمُ الزائدُ؛ وذلك حثاً على الإغداق¹، وله قصيدة يمدحُ فيها العميدُ أبا طاهر خلف بن الحسن (ت336هـ)، فيسيراً على نهجِ القصيدة العربية التقليدية، إذ يبدأ بمقديمةٍ طليليةٍ يتذكّرُ فيها المحبوبةً وديارها، ويحيّنُ إلى أيامِ وصالها، إلى أن يدلّفَ إلى موضوعِه الأساس في مدحِ العميد أبي طاهر، يقول² [من المقارب]:

رَعَى اللَّهُ عَهْدَ حَبِيبِ ظَعْنَ
فَإِنِّي مُذْ أَضْمَرْتُهُ الْبَلَادَ

ثم ينتقل إلى وصفِ المدوح وكرمه وبيانِ فضليه عليه، فيقول:

وَأَسَى وَفِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْعَمِيدِ
جَهِيرُ النَّدَاءِ كَثِيرُ النَّدَى
وَجْبُتُ الْقَفَارَ وَطَفْتُ الْبَلَادَ
وَلَا مَدْحِي الْمُجْتَبِي شَدَّ عَنْهِ
فَلَا زَالَ فِي نِعْمَةٍ لَا تَزُولُ

وموقع الاستشهاد: (فلم أر حراً سواه ولن)، و(ولا منحه المُجْتَبِي شَدَّ عن)، فالشاعرُ في الأبياتِ السابقة يعُدُّ نفسه بعيداً من المأسى والأحزان ما دام العميدُ أبو طاهر، إذ لا مثيل له ولا يضاهيه أحدٌ، فصوته قويٌّ في الحقِّ (جهير النداء)، وهذه كنايةٌ عن حضوره القوي وشجاعته، وهو كريمٌ معطاءٌ جوادٌ واسعُ الصدر سهلُ الطَّبع (كثير النَّدَى جزيل العطاء)، ولتأكيد مدحِه أبا طاهر يُخبر عنه بأمررين؛ يعمدُ عبرهما إلى فنِ الاكتفاء، إذ يفيُدُنا أولاً أنه طافَ في الأرض فلم يجدُ مثله حراً كريماً، وثانياً أن مدوحه نال أعلى المدائح وأوْفَ العطاءِ، فلا مثيل له.

¹ المرجع السابق، ص43.

² المرجع السابق، ص186.

وعند النظر في الشاهد الأول نرى الشاعر يكتفي بالحرف (لن) من دون أن يكمل الجملة، و(لن) حرفٌ ناصبٌ يحتاج إلى الفعل المضارع ليكتمل المعنى، وتقدير الكلام: (فلم أر حَرًّا سواه ولن أرى حَرًّا غيره)، فالاكتفاء في حذف الفعل بعد (لن) اعتماداً على السق اللغوی السابق، أي: (لن أرى حَرًّا سواه في المستقبل، كما لم أر حَرًّا نظيره في الماضي)، ولا سيما أنَّ (لن) تدلُّ على قلبِ زمانِ الفعلِ من الحاضر إلى المستقبل، و(لم) تقلبُ زمانِ الفعلِ الحاضر إلى الماضي.

ونلاحظُ فنَّ الاكتفاء أيضاً في البيت الذي يليه، إذ يحتاج الشطرُ الثاني إلى ما يتمُّ به المعنى، وتقدير الكلام: (ولا منحه المُجْتَنَى شَدًّا عنه)، ولكنَّ الشاعر ترك المفعول اعتماداً على الشطر الأول؛ لأنَّ نظرةً في البيت تجعلنا نلحظُ أنه مبني على الموازنة الآتية:

ولا مدحِي المُجْتَنَى شَدًّا عنه / ولا منحه المُجْتَنَى شَدًّا عنه

ويمكُّ إجراء التمثيل البياني لهذا الفنِ البلاغي بالجدول الآتي:

الشاهد	تقدير الكلام
ولن	اكتفى بها، وحذف الفعل بعدها؛ لدلالة السياق السابق على المذوف.
شدًّا عن	حذف متعلق الحرف (عن)، وتقديره: (عنه أو عن المدحوه)؛ لقرينة ورود ذكره في السياق السابق.

هذا الأسلوبُ الذي سلَّكه الشاعر يُظْهِرُ ثقَتَهُ بِنَفْسِهِ، وقدرَتَهُ على التعبير بأقلِّ الألفاظِ عن الكثِيرِ من المعاني، فبمجرِّدِ قراءةِ متنانيةٍ يفهمُ المتلقِي المعنى من دون الحاجة إلى تكرارِ الكلام، وهذا جوهرُ الاكتفاءِ في تقدير المذوفِ بدلالةِ المذكور، فما هو موجودٌ يكفيكُ ويُعِينُك على الوصول إلى مقصِّدِ الخطاب.

4. الاكتفاء بحذفِ ما يتعلَّقُ الفعلُ به أو يتصلُ به:

عُرِفَ عن الباحري سعيه للمراتِبِ العليا من دون تذللٍ أو انكسارٍ، وقد عَبَرَ عن ذلك واعترفَ به في شعرِه، فقال:¹ [من الطويل]

¹ المرجع السابق، ص 97-98.

برى جسدي حبُّ العُلا فتهَمَّتْ
ورحلي على الحرف العلاة مشيدُ
وقد ملَكتني شيمَة ملكيَّة
وهميٌّ جيٌّ الغرام مريدُ
فللَّهِ نفسٌ عذَّبَني بجمِّها
عراني بما التُّقصانُ وهي تزيدُ

في الأبيات السابقة يعيّر الشاعر عن حبه الشديد للعلا والراتب العليا؛ لذلك نراه يُهلك جسده في سبيل تحقيق غايته ومراده، وهو في هذا صاحب سجية وطبع وشيمه ملكت عليه عقله وتفكيره، وبات غرامه ولهوته غير المألف، فهي تزداد كلما ازداد سعيه وعلواً، ولبراعة الشاعر نراه يحذف جزءاً من السياق مكتفيًا بما ورد في اللاحق، ومعتمداً على فهم السامع وذكائه، فيقول: (تمَّتْ)، فَمَنْ الْتِي تَهَمَّتْ؟ سياق الكلام يُنبئ عن جسد هلك وفني في سبيل العلا، والجسد كما هو معروف مرتبط بالنفس أو الروح - وهو ما دل عليه السياق اللاحق (فللَّهِ نفسٌ) - فاستعمل الفعل (تمَّتْ) ولم يذكر الفاعل صراحةً، وما تهَمَّ ليس الجسد وحده، بل (النفس) التي تهَمَّتْ شوقاً للعلا، فكأنَّ النفس هي التي تتهَمَّ وتضعف تحت وطأة السعي نحو المجد والعلا.

هذا الاكتفاء بالفعل من دون ما يتعلّق به منح القول كثافةً تعبيريةً واقتصاداً لغويًّا، جعل المتنقي يتشوّقُ ويبحثُ عن المتهَمَّ، فينتظر حتى البيت الثالث ليصل إلى مراده؛ مما يزيد من التفاعل مع النص، ويُشرِّك المتنقي في فهم شعور الشاعر ومقصدِه من الكلام، فالسامع يبقى مشدوداً حتى يفهم ما تهَمَّ، ليكشفه له الشاعر في البيت الثالث (النفس)، وهذا يزيد تفاعل المتنقي ويحرك ذهنه، ولشدة إعجاب الشاعر بنفسه وزهوه بها؛ نراه يقول في السياق اللاحق:

تطاوعني الأَسَادُ وَهِيَ أَيَّةٌ
ويَدُنُو إِلَيَّ النَّجْمُ وَهُوَ بَعِيْدٌ

5. الاكتفاء بحذف الاسم المجرور:

نادرًا ما نجد شاعرًا لم تكن له تجربة مع الغزل، وبخاصة في المراحل المتأخرة من العصر العباسي التي عاش فيها الباحرزي، الذي تميز برقه الشعور والصراع العاطفي والتعلق بالحبيب، وهو ما أتاح له الفرصة للتعبير عن حالته، فيقول:¹ [من السريع]

¹ المرجع السابق، ص130.

جعلت لي قلبين في جوفي
فمُهْجِّتي في راحتي أو في
تسْلُكُها سُوفَ ترى سَوفِي
بِالْأَمْلِ الْكَاذِبِ وَالْخَوْفِ

آمِلُ قَرْبًا وَأَخَافُ النَّوْي
سَعْدُ لَوْ سُفْتُ ثَرَى تَرِبَّةٍ

يعيش الشاعر هنا حالةً من الصراع الداخلي العاطفي بسبب الحبيب الذي يؤمّله باللوعود الكاذبة التي يزرعها في قلبه، وخلفه من الفراق والبعاد أصبح للشاعر قلبان؛ قلبٌ متفاصلٌ متعلّقٌ مؤمّلٌ بوعود الحبيب، وقلبٌ متباشمٌ خائفٌ من هجره، ويتحققُ هذا المعنى في البيت الثاني، إذ يتميّز قرب الحبيب ويخافُ بعاده، وبسببِ حالة الصراع هذه أصبحت روحه حائرةً ضائعةً بين يديه (في راحتي)، وبين راحتي الحبيب (أو في)، فكانه سلّم مصيّرَ له، وعمدَ في بيانِ حالته إلى في الاكتفاء لإيجازِ المعنى، وتركَ البابَ مفتوحًا للتأويلِ والنظر لدلالةِ النسقِ السابقِ على المعنى؛ لأنَّ المقام هنا اكتفى بـ"ذُكرِ شيئين بينهما تلازمٌ وارتباطٌ، فيكتفى بأحدِهما عن الآخرِ لنكتةٍ، ولا يكونُ المُكتفى عنه إلا آحرًا لدلالةِ الأولِ عليه".¹

فالتركيبُ في الشطرِ الثاني غيرٌ مكتملٌ يدلُّ على مخدوفٍ متوقَّعٍ يفهمُ عبر السياق السابق؛ لأنَّ المخدوفَ كما هو معروفٌ مفترضٌ إلى أمرين؛ "أحدِهما قابليةُ المقام، وهو أنْ يكونَ السَّامِعُ عارِفًا به لوجودِ القرائن، والثاني الداعي الموجب لرجحانِ الحذفِ على الذكر"؛² وهو ما يفتحُ المجالَ للمتلقي بإكمالِ المعنى اعتمادًا على سياق التعبير، فتعكس صورةُ النزاعِ الداخليِّ والصراعِ العاطفيِّ الذي يُعاني منه الشاعر، أي (استعملَ خيالَكَ أيها المتلقي وحلِّ المعنى حسبَ فهمك)، والمعروفُ أنه من طبعِ اللغةِ وبلاعثها "أنَّ تُسقطَ من الأنفاظِ ما يدلُّ عليه غيره، أو ما يرشدُ إليه سياقُ الكلام، أو دلالةُ الحال، وأصلُ بلاعثها في هذه الوجازةِ التي تعتمدُ على ذكاءِ القارئِ والسامعِ، وتعوّلُ على إثارةِ حسِّه، وبعثِ خيالِه وتنشيطِ نفسهِ، حتى يفهمَ بالقرينةِ ويدركَ باللمحةِ ويفطنَ إلى معانِي الألفاظِ التي طواها

¹ ابن معصوم المدّنِي، أنوارُ الريّع في أنواعِ البدّاع، ج3: ص71.

² التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2013)، ص211.

التعبير¹، وهذا الأمر يدفع إلى النظر في البنية التركيبية التي استقت تمامًا من السياق السابق (في راحتي)، فتوصلت إلى تأويل المعنى وتقديره (في راحة الحبيب)، وفي ظني أن الشاعر كان موقًّا في التعبير عن أعمق عاطفته، وفي الحفاظ على الوزن الإيقاعي وقافية الفاء المكسورة. وكذا عُرِفَ عن الشاعر الباحري أنه "نفاذ لغويٌّ وأدبيٌّ وبلاجيٌّ، إذ كانت ثقافة الأديب في العصر العباسي هي الأكمل من كل علم بطرف"²، ومع ذلك كان متواضعاً مع من يخاطبهم، وبخاصة في المقدرة الشعرية والبلاغية، من ذلك قوله مُعِبراً عن مشاعر الإعجاب والتقدير لمن يخاطبه، ومعترفاً بفضل المخاطب عليه: ³ [من الواffer]

وكم عاشرتُ من عصِّ ولكن تخدُّثك من ألوفهم أليفي
 وأصل اللعبِ عرفانُ الحريفِ
 سبُّتُ إلى مداك بلا رديفِ
 وها حشفي مع الكيلِ الطفيفِ
 وإنْ تُحسِّنْ إلَيَّ فرغبيٍّ من

وما أنا مِنْ رجالك في القوافي
 وأنْتَ إِذَا رَكِبْتَ الصَّعْبَ منها
 ولِي حشْفٌ ولِي تطْفِيفٌ كِيلٌ
 فإنْ ترُدُّ علَيَّ فرهبِيٍّ من

يُبَرِّ الشاعر في الأبيات الثلاثة الأولى عن إعجابه بالمخاطب، فقد اخذه أليفاً مقرّباً وصديقاً عزيزاً، ويتواضع أمامه معترفاً بفضلِه في ركوب قوافي الشعر، فهو يسبّق غيره إلى غايته من دون الحاجة إلى عونٍ مِنْ أحدٍ، ثمَّ في البيت الرابع يعترف براءة شعره، إذ عَدَه مثل الحشْفِ البالي أمَّا قوَّةُ شعر المخاطب، وشعره مشكُوكٌ في وزنه أمَّا قوَّةُ وزنِ شعر المخاطب، وموضع الاستشهاد المقصود في البيت الأخير الذي يعمد فيه الشاعر إلى فنِّ الاكتفاء، فيحذفُ جزءاً من الشطرِ الأول وجزءاً من الشطرِ الثاني؛ اكتفاءً بما وردَ في النسق اللغوی، فيقول: (فرهبيٍّ من، فرغبيٍّ في)، وتقدير الكلام: (إنْ جئتَ إلَيَّ أَيُّها المخاطب فارتَعَاشِي وخوَّيِ من مهابِّك وجلاَّلك، وإنْ أَحْسَنْتَ إلَيَّ فسُوفَ تزدادُ رغبتي فيك)، وهنا

¹ محمد أبو موسى، *خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعانٰي* (القاهرة: مكتبة وهبة، ط٤، 1996)، ص153.

² ألتونجي، علي بن الحسن الباحري، ص31.

³ المرجع السابق، ص133.

يموج الشاعر في عاطفته بين الرغبة والرهبة، وبين الخوف والحبة، وبين المحبة والرغبة؛ مما يعطي البيت طابعاً بلاغياً عميقاً، يعبر عمّا ينطوي عليه النص من علاقات التضاد وال مقابلة بين الكلمات، وهذا يمنح النسق اللغوي تميزاً فتتصبّح المعاني وتنجلي العواطف؛ لأنّ الفكّر "يعتمد في نشاطه على الثنائيات الضدية، وحوار الحدود المقابلة والمتباينة، وهو ما يسمّى بالفلسفة الجدلية أو (الديالكتيك)، فتجمّع في النفس البشرية ثنائياتٌ ضديةٌ يمكن عدُّها كامنةً في أغوارِ النفس الإنسانية، فالحياة غريبةٌ واضحةُ الأثر في حركاتنا وسكناتنا".¹

فبين الرغبة والرهبة طباقٌ معنويٌّ استطاع الشاعر به "توليد صورة شعرية ذات جمالية فائقية، فهو لا يلتزم فقط في إبداع البيت وتضمينه المعانى المتصادرة، بل يقوم بربط المعانى في الأبيات السابقة والأبيات اللاحقة، بغية صناعة صورة شعرية متكاملة الأركان والجماليات"،² وهذه الصورة عبرت عن مقام المخاطب الرفيع، وهو مهابٌ محبوبٌ في آنٍ معًا، وهذا شأنُ القادة العظام الذين يجمعون بين الهمية والرحمة، واستعمالُ فنِّ الاكتفاء يدلُّ على متنانِ التركيب إضافةً إلى الوضوح القوي للسياق واستعانة الشاعر به، فلا حاجةً لذكر ما هو معروف، وهو ما يتحقق نغمةً إيقاعيةً جميلةً ويفسّح المجال للمتلقي لتحليل المذوف وتأويله بناءً على السياق المذكور، ويحافظُ على الوزن الشعري، وإنما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة؛ لأنّ نفس السامع تتسع في الظن والحساب"،³ وبذلك يكونُ البيت الأخير تنويجاً ليُقْتاً وردَ في السياق السابق من مذكوراتٍ أو مضمراً في الخطاب المفعم بالتقدير والإعجاب، وهو في آنٍ معًا يدلُّ على قدرة الشاعر على التحكّم بنفسيه الشعري للتعبير عن المراد، والمحافظة على جودة السبك وقوّة المعنى.

¹ سير الديوبي، *الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم* (دمشق: وزارة الثقافة، 2009)، ص 4، وانظر: جورج صلبيا، *المعجم الفلسفـي* (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ط، د.ت)، ج 1: ص 379.

² وليد عويد حسين علي، أركان حسين مطير الشويفي، "ثنائية الشباب ضد الشيب في شعر الباخرزي"، *مجلة الآداب*، جامعة بغداد، ملحق (138)، 2021، ص 69.

³ ابن رشيق، *العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقدـه*، ج 1: ص 251.

6. الاكتفاء بحذف خبر الناسخ (عسى):

قال الشاعر الباحرزي في الغزل:¹ [من المتراب]

فلَقَبَنِي الْعِشْقُ بَابِنِ الْحَزَنِ	لَقَدْ كُنْتُ أُعْرَفُ بَابِنِ الْحَسْنِ
كَمَا انتَشَرَ الْلَّوْلُؤُ الْمُخْتَرَنِ	نَأَى مَنْ أَحَبَّ فَلِي مَدْمَعٌ
مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَسَى اللَّهُ أَنْ	أَلَا إِيَّهَا النَّفْسُ لَا تَيَأسِي

يعبر الشاعر في الأبيات عن تحول حاله من (ابن الحزن) إلى (ابن الحسن) بعد فراق الأحبة، ويستعمل لبيان ذلك صوراً شعريةً معبرةً، وفناً بلاعنةً هو الاكتفاء في البيت الثالث، ففي البيت الأول يعبر عن تغير حاله من الجمال والبهاء إلى الحزن والألم بسبب العشق، وفي البيت الثاني ينتقل إلى وصف أثر الفراق وهو (البكاء وذرف الدموع)، ولكنه في البيت الثالث يصيّر نفسه، ويدعوها إلى ترك اليأس من لقاء المحبوب، راجياً ذلك من الله سبحانه باستعمال الفعل (عسى) الذي يدل على الرجاء والرغبة بتحقق المطلوب، وهنا تظهر بلاغة الحذف، إذ جعل الجملة (عسى الله أن) ناقصةً بحذف خبر (عسى)،² وتقدير الكلام: (عسى الله أن يجعني به أحب)، أو (أن يقر عيني باللقاء)، وقد اتكأ الشاعر في حذفه على السياق السابق؛ لأنَّ تقدير المذوف مستمدٌ من السياق السابق، وهو قوله: (من الاجتماع)، وفي هذا النوع من الحذف تظهر براءة الشاعر في توظيف جماليات اللغة العربية للتعبير عن مراده بأقل الألفاظ وأجود المعاني، مشاركاً المتلقى في التأويل وتقدير المذوف عبر فهم النسق اللغوي من دون تصريح مباشر.

ثانياً: الاكتفاء بحذف بعض الكلمة

بعد الاطلاع على شعر الباحرزي، ورصد صور الاكتفاء لديه، استطعت الوقوف على شاهد يكفي فيه الشاعر بحذف جزء من الكلمة، وهو ما قلَّ وندرَ في الشعر العربي، وهو نوعٌ

¹ ألتونجي، علي بن الحسن الباحرزي، ص 189-190.² هذا أسلوب حذف خبر النواسخ؛ ورد عند البلاغيين بحذف خبر (إن) وأمثالها، انظر ما تقدَّم بيانه عن صور الاكتفاء.

يقوم على "حذف بعض حروف القافية من آخرها لدلالة الباقي عليه، واحتزنا بالقافية عن غيرها" ،¹ يقول الباخرزي: ² [من السريع]

نوحهما المطربُ لَن يَدْعُوا	تَدْعُو حَمَّاهَ وَلَوْلَمْ يُحِبْ
كَافٍ وَهَاءٍ وَصَالٌ بِالْفَوَّا	مَا شَتَّتَ مِنْ حَبِّ وَمَيْرٍ وَمِنْ

الشاهد هنا صورة من صور الغزل، يعمد الشاعر فيها إلى فن الاكتفاء في البيت الثاني؛ ليدلّ على وفرة الخير والمير، ويوجي بأن المطلوب ما تشتهيه النفس من كل خير، إلى درجة أن يطلب الفواكه، ولكنه لا يصرح بذلك، فبدلًا من ذلك يرمز لها بقوله: (كافٍ وهاءٍ)، وأنت إذا وصلتُهما مع الكلمة التي وقع فيها الاكتفاء أو الحذف (فوا) تصبح الكلمة (فواكه) تامةً، ولو أتمها لفقدَ البيت وزنه وحضوره عند المتلقى، ولكنه حذف هذين الحرفين ليضفي على البيت ظرفاً ولطافةً وغرابةً محبيّةً للمعنى.

الشاعر يشير إلى كلمتي (كافٍ وهاءٍ) ثم يقول: (وصالاً بالفوا)، والقارئ يتوقع كلمة (فواكه) التي تتكون من الحروف (ف و ا ك ه)، ولكن الشاعر لم يذكر الكلمة مكتملةً صراحةً، بل ذكرها ناقصةً؛ إذ ذكر أول حرفين ضمناً في الكلمة (الفوا)، وأشار إلى وصل (كافٍ وهاءٍ) مع النصف الآخر، حتى يكتمل تركيب الكلمة (فواكه)، وفي هذا حذفٌ بلاغيٌّ مفهومٌ من السياق السابق، يمنح البيت توفيراً في اللفظ، ويسعّر القارئ بالتشويق للوصول إلى المقصود، وفيه قدرةً على التلاعب بالحروف والمعاني.

خاتمة

رصدنا في هذا البحث تطور مصطلح (الاكتفاء)، فوجدنا أنه فنٌ بلاغيٌّ يقوم على حذف جزءٍ من الكلمة أو الكلام، استغاءً بالمذكور عن المتروك، وقد ورد هذا الفنُ في القرآن الكريم والنشر والشعر العربيين في صورٍ عدّة، وهو يدلُّ على شجاعةِ العربي في حذفِ بعضِ أركان

¹ ابن معصوم المدي، أنوار الريبع في أنواع البديع، ج3: ص83.

² أنتونجي، علي بن الحسن الباخرزي، ص211.

الكلام، وتضمين النسق اللغوي قرائن لفظية أو معنوية تعين المتلقى على فهم مقصود الخطاب ومراده.

وبناءً على البحث عن ثقافة الباحرزي الواسعة، وشعريته الفنية العالية، متأثراً بالبيئة الرمانية والمكانية التي عاش فيها، فعصره عصر الصنعة الأدبية والعنائية اللفظية والأسلوبية، ولم يكن شعره مخالفًا سمات الشعر في عصره، من حيث الميل إلى الأساليب الفنية والبدعية، وأبرز ما تميز به شعره:

1. وردت في شعر الباحرزي معظم صور الاكتفاء التي أشار إليها البلاغيون سابقاً، سواءً أكان ذلك في حذف الكلمة بتصورها المتعددة، أم حذف جزء من الكلمة، وأكثر صور الاكتفاء في شعره كانت متعلقةً بأسلوب الشرط، إذ يُرسّل ما يدلُّ على المذوق ثم يأتي باءة الشرط محتاجةً إلى الفعل، أو الجواب، أو كليهما معاً، ولتقدير المذوق يمكن الاستعانة بدلالة سياق الكلام.

2. من باب الصنعة التي تميز بها الباحرزي أنه استعان بنصوص أخرى لإثراء نصه الشعري، فبرز لديه التناصُ والاقتباسُ من مصادر التراث، من مثل القرآن الكريم والحديث الشريف، أو تضمينه الشعر العربي والأمثال ضمن قصائده.

3. دعَمَ الباحرزي أساليبه السابقة ببعض الفنون البلاغية، وكانت الثنائيات الضدية من أبرز تلك المظاهر التي عبرَت عن حقيقة ذات الشاعر وتجربته في الحياة، وحققت الانسجام الصوتيَّ والتوازنَ الموسيقيَّ، وأنجَت الطاقة الإيحائية والجمالية في النسق التعبيري، وأعملَت خيالَ المتلقى لمعرفة التبادل بين المنضادات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحمد إمام عبد العزيز عبيد، "الاكتفاء وأسراه في القرآن الكريم"، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، العدد (8)، 2016.

أحمد خليل عايد الزوبعي، **شعر الباحري**: دراسة بيانية بديعية (رسالة ماجستير، كلية الإمام الأعظم الجامعة، جمهورية العراق، 2022).

أحمد غالب الخرشة، محمد عبد الرحمن الحجوج البطوش، "أسلوب الاكتفاء بين البلاغيين والنحويين"، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، المجلد (7)، 2021.

إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975).

ابن العماد، **شدرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1989).

ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجاري (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت).

ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شعيتو (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1987).

ابن خلkan، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1978).

ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محسن الشعر وأدابه ونقدده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط5، 1981).

ابن طباطبا، **عيار الشعر**، تحقيق: عباس عبد الساتر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1982).

ابن معصوم المدي، **أنوار الريبع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر هادي شكر (بغداد: مطبعة النعمان، ط1، 1969).

ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).

الباحثري، **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تحقيق: محمد ألتونجي (بيروت: دار الجيل، ط1، 1993).

الافتازاني، **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2013).

الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدنى، ط3، 1992).

جورج صليبا، **المعجم الفلسفي** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ط، د.ت).

خير الدين الزركلي، **الأعلام** (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002).

ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، حسين نصار (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1969).

ديوان ابن مطروح، تحقيق: حسين نصار (القاهرة: مطبعة دار الكتب الوثائقية والقومية، 2004).

ديوان البحترى، تحقيق: حسن كامل الصيرفى (القاهرة: دار المعارف، ط3).

ديوان حسان بن ثابت الأنباري، تحقيق: عبد مهنا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1994).

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق: عزيزة فوال بابي (بيروت: دار الجيل، ط1، 1995).

الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** (القاهرة: مطبعة الآداب، 1317هـ).

الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، تحقيق: عبد العليم (دلهى: مكتبة الجامعة الإسلامية، 1934).

الرجاج، **معاني القرآن**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1988).

الزركشى، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار التراث، د.ط، د.ت).

سمير الديوب، **الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم** (دمشق: وزارة الثقافة، 2009).

السيوطى، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2008).

صفي الدين الحلبي، *شرح الكافية البدعية في علوم البلاغة ومحاسن البدع*، تحقيق: نسيب نشادي (بيروت: دار صادر، ط2، 1992).

الطبراني، *المعجم الكبير*، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2). علي جواد الطاهر، *الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلاجوقى* (بغداد: مطبعة المعارف، 1958).

قدامة بن جعفر، *نقد النثر*، تحقيق: طه حسين، عبد الحميد العبادي (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1933).

جمع اللغة العربية بالشارة، المعجم التاريخي للغة العربية.

محمد أبو موسى، *خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني* (القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1996).

محمد ألتونجي، *حول الأدب في العصر السلاجوفي* (بنغازي: مكتبة قورينا، ط1، 1974).

محمد ألتونجي، *علي بن الحسن الباخرزي: حياته وشعره وديوانه* (بيروت: دار صادر، 1994).

محمد النواجي الشافعى، *الشفاء في بديع الاكتفاء*، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1403هـ).

نعمة عبد الله علي إبراهيم، "التناص في شعر أبي الحسن الباخرزي"، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية*، جامعة قناة السويس، 2(28)، 2019.

وليد عويد حسين علي، أركان حسين مطير الشويفي، "ثنائية الشباب ضد الشيب في شعر الباخرزي"، *مجلة الآداب*، جامعة بغداد، ملحق 2(138)، 2021.

وليد عويد حسين علي، *جدل التضاد في شعر الباخرزي: دراسة تحليلية* (القاهرة: دار الحرم، 2024).

وليم بن آلورد البروسي، *مجموع أشعار العرب* (بغداد: مكتبة المثنى، 1903). ياقوت الحموي: *معجم الأدباء* (القاهرة: دار المأمون، د.ط، د.ت).

References

Al-Qur'ān al-Karīm.

Aḥmad Ghālib al-Khurshah, Muḥammad ‘Abdurrahmān al-Hujjūj al-Baṭūsh, “Uslūb al-Iktifā’ bayna al-Balāghiyīn wal-Nahwiyyīn,” *Majallah Jāmi‘ah al-Husyn ibn Ṭalāl lil-Buhūth*, Vol. (7), 2021.

Aḥmad Imām ‘Abdul‘azīz ‘Ubyd, “al-Iktifā’ wa-Asrāruhu fī al-Qur'ān al-Karīm,” *Hawliyah Kulliyah Uṣūl al-Dīn wal-Da‘wah al-Islāmiyyah bi-Tanṭā*, Jāmi‘ah al-Azhar, No. (8), 2016.

Aḥmad Khalīl ‘Āyid al-Zawbā‘ī, Shi‘r al-Bākharzī: Dirāsah Bayāniyyah Badī‘iyyah (Master thesis, Kulliyah al-Imām al-A‘ẓam al-Jāmi‘ah, Iraq, 2022).

Al-Bākhirzī, *Dumyah al-Qaṣr wa-‘Uṣrah Ahl al-‘Aṣr*, Muḥammad ‘Altūnījī (Ed.) (Beirut: Dār al-Jīl, 1st Ed., 1993).

Al-Jurjānī, *Dalā'il al-Ijāz*, Maḥmūd Muḥammad Shākir (Ed.) (Cairo: Maṭba‘ah al-Madānī, 3rd Ed., 1992).

Al-Rāzī, *Nihāyah al-Ijāz fī Dirāyah al-Ijāz* (Cairo: Maṭba‘ah al-Ādāb, 1317H.).

Al-Rummānī, *al-Nukat fī Ijāz al-Qur'ān*, ‘Abdul‘alīm (Ed.) (Delhi: Maktabah al-Jāmi‘ah al-‘Islāmiyyah, 1934).

Al-Suyūtī, *al-Itqān fī ‘Ulūm al-Qur'ān*, Shu‘ayb al-Arnā‘ūt (Ed.) (Beirut: Mu’assasah al-Risālah, 1st Ed., 2008).

Al-Ṭabarānī, *al-Mu‘jam al-Kabīr*, Ḥamdī ibn ‘Abdulmajīd al-Salafī (Ed.) (Cairo: Maktabah Ibn Taymiyyah, 2nd Ed.).

Al-Taftāzānī, *al-Muṭawwal Sharḥ Talkhīṣ Miftāḥ al-‘Ulūm*, ‘Abdulhamīd Hindāwī (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 3rd Ed., 2013).

Al-Zajjāj, *Ma‘ānī al-Qur'ān*, ‘Abduljalīl ‘Abduh Shalabī (Ed.) (Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1st Ed., 1988).

Al-Zarkashī, *al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qur'ān*, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (Ed.) (Cairo: Dār al-Turāth).

Dīwān al-Buhturī, Hasan Kāmil al-Šayrī (Ed.) (Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 3rd Ed.).

Dīwān Ḥassān ibn Thābit al-Anṣārī, ‘Abd Muḥannā (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2nd Ed., 1994).

Dīwān Ibn Maṭrūḥ, Ḥusayn Naṣṣār (Ed.) (Cairo: Maṭba‘ah Dār al-Kutub al-Wathā’iqiyyah wal-Qawmiyyah, 2004).

Dīwān Ibn Sanā’ al-Mulk, Muḥammad Ibrāhīm Naṣr & Ḥusayn Naṣṣār (Eds.) (Cairo: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1969).

Dīwān ‘Ubaydullāh ibn Qys al-Ruqayyāt, ‘Azīzah Fawwāl Bābtī (Ed.) (Beirut: Dār al-Jīl, 1st Ed., 1995).

Ibn al-‘Imād, *Shadharāt al-Dhahab fī Akhbār man Dhahab*, ‘Abdulqādir al-Arnā’ūt & Maḥmūd al-Arnā’ūt (Eds.) (Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1st Ed., 1989).

Ibn Ḥajjah al-Ḥamawī, *Khizānah al-‘Adab wa-Ghāyah al-‘Arab*, ‘Iṣām Shu‘aytū (Ed.) (Beirut: Dār wa-Maktabah al-Hilāl, 1st Ed., 1987).

Ibn Jinnī, *al-Khaṣā’iṣ*, Muḥammad ‘Alī al-Najjār (Ed.) (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah).

Ibn Khallikān, *Wafayāt al-A‘yān wa-Anbā’ Abnā’ al-Zamān*, Iḥsān ‘Abbās (Ed.) (Beirut: Dār Ṣādir, 1978).

Ibn Manzūr, *Lisān al-‘Arab*, Abdullāh ‘Alī al-Kabīr & others (Eds.) (Cairo: Dār al-Ma‘ārif).

Ibn Ma‘ṣūm al-Madānī, *Anwār al-Rabī‘ fī Anwār al-Badī‘*, Shākir Hādī Shukr (Ed.) (Baghdad: Maṭba‘ah al-Nūmān, 1st Ed., 1969).

Ibn Rāshīq al-Qayrawānī, *al-‘Umdah fī Mahāsin al-Shi‘r wa-Ādābih wa-Naqdih*, Muḥammad Muhyiddīn ‘Abdulḥamīd (Ed.) (Beirut: Dār al-Jīl, 5th Ed., 1981).

Ibn Ṭabātabā, *Iyār al-Shi‘r*, ‘Abbās ‘Abdussātir (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Ed., 1982).

Ibrāhīm Anīs, *al-Āṣwāt al-Lughawiyah* (Cairo: Maktabah al-Anglo al-Miṣriyyah, 5th Ed., 1975).

Jūrj Ṣalība, *al-Mu‘jam al-Falsafī* (Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī).

Khyruddīn al-Ziriklī, *al-A‘lām* (Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 15th Ed., 2002).

Majma‘ al-Lughah al-‘Arabiyyah bi-l-Shāriqah, *al-Mu‘jam al-Tārīkhī li-l-Lughah al-‘Arabiyyah*.

Muhammad Abū Mūsā, *Khaṣā’iṣ al-Tarākīb: Dirāsah Taḥlīliyyah li-Masā’i'l Ilm al-Ma'ānī* (Cairo: Maktabah Wahbah, 4th Ed., 1996).

Muhammad al-Nawājī al-Shāfi‘ī, *al-Shifā’ fī Badī‘ al-Iktifā’*, Maḥmūd Hasan Abū Nājī (Ed.) (Beirut: Dār Maktabah al-Hayāh, 1403H.)

Muhammad ‘Altūnjī, *Hawl al-‘Adab fī al-‘Aṣr al-Saljūqī* (Benghazi: Maktabah Qūrīnā, 1st Ed., 1974).

Muhammad ‘Altūnjī, *‘Alī ibn al-Hasan al-Bākharzī: Hayātuh wa-Shi‘ruh wa-Dīwānah* (Beirut: Dār Ṣādir, 1994).

Ni‘mah ‘Abdullāh ‘Alī Ibrāhīm, “al-Tanāṣṣ fī Shi‘r Abī al-Hasan al-Bākharzī,” *Majallah Kulliyah al-‘Ādāb wal-‘Ulūm al-‘Insāniyyah*, Jāmi‘ah Qanāh al-Suwys, 2(28), 2019.

Qudāmah ibn Ja‘far, *Naqd al-Nathr*, Tāhā Husyn & ‘Abdulhamīd al-‘Abbādī (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 1933).

Ṣafiyuddīn al-Hillī, *Sharḥ al-Kāfiyah al-Badī‘iyah fī ‘Ulūm al-Balāghah wa-Mahāsin al-Badī‘*, Nasīb Nashādī (Ed.) (Beirut: Dār Ṣādir, 2nd Ed., 1992).

Samar al-Dayyūb, *al-Thunā’iyyāt al-Diddiyyah: Dirāsāh fī al-Shi‘r al-‘Arabī al-Qadīm* (Damascus: Ministry of Culture, 2009).

Walīd ‘Uwayyid Husyn ‘Alī & ‘Arkān Husyn Muṭayr al-Shuwylī, “Thunā’iyyah al-Shabāb Dīdđ al-Shyb fī Shi‘r al-Bākharzī,” *Majallah al-‘Ādāb*, Jāmi‘ah Baghdad, Suppl. 2(138), 2021.

Walīd ‘Uwayyid Husyn ‘Alī, *Jadal al-Taḍādd fī Shi‘r al-Bākharzī: Dirāsah Taḥlīliyyah* (Cairo: Dār al-Ḥaram, 2024).

William ibn ‘Ālword al-Brūsī, *Majmū‘ Ash‘ar al-‘Arab* (Baghdad: Maktabah al-Muthannā, 1903).

Yāqūt al-Ḥamawī, *Mu‘jam al-‘Udabā’* (Cairo: Dār al-Ma‘mūn).

‘Alī Jawād al-Ṭāhir, *al-Shi‘r al-‘Arabī fī al-‘Irāq wa-Bilād al-‘Ajām fī al-‘Aṣr al-Saljūqī* (Baghdad: Maṭba‘ah al-Ma‘ārif, 1958).



كتاب "إظهار الأسرار في النحو" للبركوي (ت 981هـ) قراءة في تبويبه، وبنائه المعرفي، ومقارنته ببعض المتون التعليمية

مهند عمر رنة*

مُختَلِص

يعرض هذا البحث كتاب "إظهار الأسرار في النحو" للإمام البركوي، بوصفه أنموذجًا نحوياً تعليمياً ينتمي إلى المدرسة العثمانية، ويتميز بتبويبه الثلاثي (العامل، والمعمول، والإعراب)، وقد سعى البحث إلى تحليل هذا البناء من حيث مضمونه، ومنطقه في الترتيب، ومدى ارتباطه برواية معرفية منهجية في تصور القاعدة التحوية، متوسلاً بالمنهج الوصفي، وذلك بتتبع بنية الكتاب الداخلية وتحليل ترتيب أبوابه، ومقارنتها بما هو سائد في المتون التحوية الأخرى، وقد كشف البحث أن ترتيب البركوي أبواب النحو لا يقوم على التيسير أو التنظيم الظاهري فحسب، وإنما يصدر عن رؤية تجعل من (العامل) نقطة انطلاق في التحليل النحوي، ثم تنتقل إلى بيان أثره في (المعمول)، وتنتهي إلى (الإعراب) بوصفه المظهر الخارجي لهذه العلاقة، وهو بذلك يعبر عن فهم متقدم لبنية الجملة العربية وفق رؤية وظيفية، وتأكد نتائج البحث أن هذا الترتيب يعكس محاولة واعية لإعادة بناء المدخل التعليمي للنحو، بعيداً من التقسيمات التقليدية الشائعة، وهو ما يجعل هذا المتن مثلاً مهماً يستحق الدراسة بوصفه شاهداً على تحول منهج التأليف النحوي في العصر العثماني.

مفاتيح البحث: النحو التعليمي، التصنيف النحوي، العمل النحوي، المدرسة العثمانية

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية عبد الحميد أبو سليمان لعارف الولي الإسلامي والعلوم الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بمالطا، muhanndrannah@iium.edu.my



“Izhār al-Asrār fī al-Nahw” by al-Birkawī (981AH): A Study of its Classification, Epistemological Structure, and Comparison with Selected Grammatical Texts

Muhannad Omar Rannah*

Abstract

This study examines the work “*Izhār al-Asrār fī al-Nahw*” by Imām al-Birkawī as a pedagogical grammatical model belonging to the Ottoman school. The work is distinguished by its tripartite organization; *al-‘āmil* (the governing element), *al-ma ‘mūl* (the governed element), and *al-i ‘rāb* (inflection). The study seeks to analyze this structure in terms of its content, its internal logic of arrangement, and the extent to which it is connected to a systematic epistemological vision in conceptualizing grammatical rules. Adopting a descriptive methodology, the study traces the internal structure of the book, analyzes the sequencing of its chapters, and compares it with the organization prevalent in other grammatical primers. The findings reveal that al-Birkawī’s arrangement of grammatical topics is not based merely on facilitation or surface-level organization; rather, it proceeds from a vision that takes the *‘āmil* as the point of departure for grammatical analysis, then moves to explicate its effect on the *ma ‘mūl*, and finally culminates in *i ‘rāb* as the outward manifestation of this relationship. In doing so, the work reflects an advanced understanding of the structure of the Arabic sentence from a functional perspective. The study’s results confirm that this tripartite arrangement represents a conscious attempt to reconstruct the pedagogical entry point to grammar, departing from widely adopted traditional classifications. This renders the text a significant example worthy of scholarly attention, as it serves as evidence of a shift in the methodology of grammatical composition during the Ottoman period.

Keywords: *Grammar education, grammatical classification, grammatical inflection, Ottoman school*

* Assistant Professor at the Department of Arabic Language and Literature, Abdulhamid Abusulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia, muhanndrannah@iium.edu.my.

مُقدمة

شكل التأليف النحوی في القرون المتأخرة جزءاً رئيساً من بنية التعليم، وبخاصة في المؤسسات التقليدية، من مثل المساجد والمدارس والزوايا، وقد اتسم جزء كبير من هذا التأليف بنزوع واضح نحو الاختصار والتعميد، بعيداً من السجالات النظرية والمسائل الخلافية التي ميّزت مراحل سابقة من تطوير الدرس النحوی، وذلك من أجل تقديم القواعد النحوية في صورة موجزة واضحة تُيسّر للطالب حفظها واستيعابها، وتهلهل للانتقال لاحقاً إلى مستويات أعلى من التحليل والتأصيل.

وفي هذا السياق بُرِزَت المتون النحوية التعليمية التي كان لها أثر بالغ في مناهج التعليم، وبخاصة في العصر العثماني، إذ ازدهرت حركة التصنيف في علوم اللغة، وانتشرت المدارس النظامية التي اعتمدت هذه المتون إطاراً أساسياً لتعليم النحو، ويزر من بين هذه المتون كتاب "إظهار الأسرار في النحو" للإمام البركوي، أحد أبرز علماء الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري، وقد صاغ البركوي هذا المتن النحوی ليكون مدخلاً مختصراً يُعين الطالب في ضبط أصول النحو، من دون إخلال بالحدود الكبیرة للعلم، أو الدخول في الخلافات النحوية.

ويمتاز المتن بسمات خاصة من أبرزها لغته المختصرة، ومصطلحاته الحكمة، وتبويهه الفريد للموضوعات، إذ افتحه بباب (العامل)، وأولاً بباب (المعمول)، واختتمه بباب (الإعراب)، ويختلف هذا الترتيب ما اعتماده النحويون في المتون التعليمية التي تبدأ عادةً بالكلام وأقسامه، أو بتقسيمات الكلمة والإعراب والبناء، وتكون أهمية هذا الترتيب في أنه ليس وليد اجتهاد لتنظيم المادة العلمية فحسب، بل يبرز تصوّراً معرفياً متماسكاً لطبيعة البنية النحوية، وطريقة تقديمها في سياق تعليمي منضبط.

ومن ثم تتمثل إشكالية البحث في السؤالين الرئيسيين الآتيين:

- ما منطق الترتيب الذي اعتمدته البركوي في كتابه "إظهار الأسرار"؟
- ما الدلالة المعرفية لهذا الترتيب في سياق تعليمي نحوی متأخر؟

ومن ثم يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تحليل ترتيب الأبواب النحوية في كتاب "إظهار الأسرار".
- الكشف عن الرؤية المعرفية التي ينطلق منها هذا الترتيب.
- مقارنة منهج البركوي في التصنيف بمناهج غيره من النحاة المتأخرين.

وفي سبيل ذلك يتوصل البحث بالمنهج الوصفي التحليلي، وذلك من أجل:

- وصف بنية التبويب النحووي في كتاب "إظهار الأسرار".
- تحليل منطق الترتيب والعلاقات بين الأبواب من حيث الوظائف النحوية، والنتائج التعليمية.
- المقارنة ببعض المتون التعليمية، من مثل "الأجرمية"، و"قطر الندى"، للوقوف على ما يميّز تصنيف البركوي من غيره.

وتكمّن أهمية هذا البحث في جانبي متكاملين؛ الكشف عن تصوّر نحووي خاص صيغ ضمن متن تعليمي مختصر لم ينل ما يستحقه من الدراسة أو التحليل، وإعادة قراءته من دون تحويله مفاهيم لسانية حديثة أو تأويلات دخيلة على بنيته الأصلية.

ومع أن كتاب "إظهار الأسرار" نُشر محقّقاً؛ تندّر الدراسات التي عالجت بناءه الداخلي وترتيب أبوابه، إذ لم يقف هذا البحث على عمل علمي خُصّص لتحليل بنية المتن أو منطق تصنيفه، ومن ثم يستمد هذا البحث أصلاته من طبيعة موضوعه، إذ ينظر في بنية المؤلّف، ويحلّله بوصفه تصوّراً نحوّياً متكاملاً يستحق التحليل والبيان.

السياق العلمي والمنهجي لكتاب "إظهار الأسرار"

كتاب "إظهار الأسرار في النحو" للإمام البركوي من المتون النحوية التعليمية التي ظهرت في العصر العثماني؛ استجابةً لحاجة ملحةً إلى تيسير القواعد النحوية وتقديمها بأسلوب سهل واضح، بعيداً من الخلاف المذهبي والتفصيلات النظرية التي وسمت التصنيف النحووي في عصور سابقة، وقد جاء هذا المتن في زمنٍ شهد توسيعاً ملحوظاً في المدارس الشرعية، وهو ما

استندتى و وضع مقررات نحوية مختصرة تُعين الطالب في ضبط المبادئ الأساسية، تمهدًا للانتقال إلى مراحل الشرح والتفصيل لاحقًا، ولفهم المنهج الذي اخترطه البركوي في هذا المتن؛ لا بدّ من الوقوف على شخصيته ومكانته في الحياة العلمية، مع استجلاء موقع هذا المتن ضمن منظومة التعليم النحوي في زمانه.

1. ترجمة المؤلف ومكانته العلمية:¹

هو زين الدين، محمد بن بير علي إسكندر، وينسب إلى بلدة (بيركى) التابعة مدينة (إزمير)، ومنها اشتهر بلقب (البركوي) أو (البركلى)، وقد ولد عام (929هـ)، وتلقى العلم على أيدي بعض كبار علماء زمانه، وجمع بين العلم الشرعي والتوجّه الصوفي، وكان ذا نزعة إصلاحية واضحة في مجالات العقيدة والفقه والتربية، وُعرف بجهّاته في النقد، وحرصه على تصحيح الاحنافات الفكرية والسلوكية، وهو ما أدى إلى احتكاكه ببعض علماء عصره، ومع ذلك حافظت مؤلفاته على حضورها البارز في التعليم، لما تميّزت به من وضوح العبارة، ودقة العرض، وتوازن المنهج، ومن أبرز كتبه:

- "الطريقة الحمدية في السلوك والإصلاح".
- "تنوير الأ بصار في الفقه الحنفي".
- "إظهار الأسرار في النحو".

وقد لقيت هذه الكتب عنابة بالنسخ والتدريس والشرح، وبخاصة في البيئات الأناضولية والبلقانية، وهو ما يعكس امتداد تأثيره العلمي.²

¹ انظر ترجمته في: حاجي خليفة، *كشف الظنون* (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج1: ص117، وموضع آخر؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين* (إستبول: وكالة المعرف، 1951)، ج2: ص252؛ عمر كحال، *معجم المؤلفين* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993)، ج3: ص176؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام* (بيروت: دار العلم للملائين، ط15، 2002)، ج6: ص61.

² انظر: محمد بن بير علي البركوي، *إظهار الأسرار في النحو*، تحقيق: أنور بن أبي بكر الشيشي الداغستانى (جدة: دار المهاج، ط1، 1430/2009)، مقدمة التحقيق، ص8-12.

2. النحو في البيئة العثمانية:

شهد علم النحو في القرنين التاسع والعشر الهجريين تحولاً في طبيعته ووظيفته، إذ أصبح يُؤدي دوراً تعليمياً مباشراً يهدف إلى تزويد الطالب بالأدوات الأساسية للفهم والتحصيل، وقد نتج عن هذا التحول ظهور متون مختصرة تعنى بعرض القواعد النحوية بأسلوب واضح ميسر، بعيداً من التعقيد النظري والمسائل الخلافية.

ويُستفاد من بنية كتاب "إظهار الأسرار"، وصياغته المختصرة، وطبيعة القضايا التي عالجها؛ أنه صيغ ليُستعمل في المرحلة التأسيسية من تعليم النحو، قبل الانتقال إلى الشروح الموسعة، ويبدو أن هذا المتن كان يُؤدي وظيفة شبيهة بما تؤديه "الآجرمية" في البيغات العربية، إذ يُذكر على القواعد الأساسية بلغة موجزة، من دون استطراد في الخلاف أو تعمق في التعليل، بما يُناسب الطلبة المبتدئين.

3. غرض تأليف الكتاب وخصائصه:

افتتح البركوي كتابه بتحديدٍ واضح لغرض الكتاب ومادته، إذ قال: "فهذه رسالة فيما يحتاج إليه كلُّ مَعْرِفٍ أَشَدَّ الْحِتَاجِ، وهو ثلَاثَةُ أَشْيَاءٍ؛ الْعَامِلُ، الْمَعْمُولُ، وَالْعَمَلُ، أَيِّ الْإِعْرَابِ. فوجب ترتيبها على ثلَاثَةِ أَبْوَابٍ".¹

ويُفهم من هذا النص أن البركوي ينظر إلى القاعدة النحوية من زاوية بنوية قوامها العلاقة بين العامل والمعمول، بوصفهما طرق الجملة، والعمل الناتج عن تلك العلاقة، وهو الإعراب، ومن ثم جاء الترتيب الثلاثي للكتاب؛ باب العامل، ثم باب المعمول، ثم باب الإعراب؛ بوصفه أثر العلاقة بين الطرفين.

وتكشف هذه الرؤية عن تصوُّرٍ نحوِيٍّ منظَّمٍ لا يستند إلى ترتيب تقليدي أو اعتباطي، بل ينطلق من تحليل داخلي لطبيعة التركيب العربي، ويعيد بناء القاعدة النحوية من وحداتها الأولية، في نسقٍ سببي متسلسل.

¹ البركوي، إظهار الأسرار، ص 45.

- أما على مستوى العرض والمنهج، فيتّسم الكتاب بالخصائص الآتية:
- الاختصار والاقتصار على لبِّ القاعدة.
 - التقعيد المباشر؛ إذ يبدأ كل باب بتقرير القاعدة بصيغة موجزة.
 - التمثيل المحدود، فغالباً ما يقتصر على مثلٍ واحد أو مثلين.
 - تجنب الخوض في الخلافات، أو تبعُّ الأقوال.

ويلاحظ أن هذا المنهج يخالف الترتيب الشائع في المتون التعليمية، من مثل "الآجرمية" التي تبدأ بالكلام وأقسامه، أما البركوي فاختار أن يبدأ بالعامل رأساً، مما يدل على اختلاف في منطق التصنيف والتبويب، وربما في طبيعة التصور النحوي نفسه.

4. مكانة الكتاب بين المتون النحوية التعليمية:

لم يلق "إظهار الأسرار" من الشهرة والانتشار ما لقيته متونٌ أخرى، من مثل "الآجرمية" و"قطر الندى"، وبخاصة في البيئات العربية، ولكن دلائل عدة تشير إلى رواجِه في بلاد الأناضول والبلقان؛ إذ شَكَّل جزءاً من مقررات التعليم الشرعي في بعض المدارس الدينية، ويسُتَدلُّ على مكانته بمُؤشرات عدّة، أبرزها:

- استمرار نسخ الكتاب وتداوله في بعض البيئات التعليمية.
- وجود شروحٍ وحواشٍ عليه، من مثل "نتائج الأفكار في شرح إظهار الأسرار" لمصطفى بن حمزة آطه لي (ت1058هـ)،¹ و"فتح الأسرار في كتاب الإظهار" لمحمد بن محمد بن أحمد الصبوجه وي (ت1172هـ)،² و"فواتح الأذكار في حل نتائج الأفكار في شرح الإظهار" لعبد الله صالح الأيوبي (ت1252هـ)،³ و"مفتاح المرام في تعريف أحوال الكلمة والكلام" لحمد فوزي أفندي (ت1318هـ).⁴

¹ انظر: مصطفى بن حمزة آطه لي، *نتائج الأفكار في شرح إظهار الأسرار* (استنبول: دار السراج، ط1، 1440/2019).

² انظر: محمد بن أحمد الصبوجه وي، *فتح الأسرار في كتاب الإظهار*، تحقيق: محمد داود محمد إبراهيم الأفغاني (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1430هـ).

³ انظر: عبد الله صالح الأيوبي، *فواتح الأذكار في حل نتائج الأفكار في شرح الإظهار*، تحقيق: ذاكر الحنفي (عمان: دار النور المبين، ط1، 1438هـ).

⁴ انظر: محمد فوزي أفندي، *مفتاح المرام في تعريف أحوال الكلمة والكلام*، تحقيق: محمد عمر سبسبوب، محمد سنتور (دمشق: الدار الشامية، ط1، 1442هـ).

- العناية الحديثة بتحقيقه وشرحه، إذ حفظه أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني عام (2009)، واعتنى به لجنة التحقيق في جامعة الإمام أبي الحسن الأشعري في داغستان، وطبعته دار الضياء في الكويت عام (2021)،¹ وشرحه شامل الشاهين بعنوان "ينابيع الألفاظ: شرح الإظهار في علم النحو العربي"،² مما يدل على قيمته. ومع أن الكتاب لم يصنف ضمن المدون التعليمية المعتمدة في العالم العربي؛ تجعله فرادته في التبويب، و اختياره التركيب النحوي نقطة اطلاق؛ جديراً بإعادة القراءة والتحليل من منظور تأريخي وعرفي.

وهكذا بيّنت قراءةُ السياق العلمي والمنهجي لكتاب "إظهار الأسرار" أن هذا المتن لم يكن محاولة تعليمية عابرة، بل يندرج ضمن نسقٍ تأليفيٍ متكاملٍ في المدرسة النحوية المتأخرة، يقوم على مبدأ الاختصار المنضبط، والتدرج في عرض القواعد، ثم إن شخصية البركوي، ومكانة الكتاب في البيانات التعليمية العثمانية؛ تبرزان مكانة هذا المتن في إعادة تنظيم المعرفة النحوية على أُسسٍ تعليمية واضحة.

البناء الداخلي لأبواب كتاب "إظهار الأسرار"

صرح الإمام البركوي في مقدمة كتابه "إظهار الأسرار في النحو" بأنَّه نظمَه على ثلاثة أبواب رئيسة، قال: "فهذه رسالةٌ فيما يحتاج إليه كُلُّ مُعِربٍ أشدَّ الاحتياج، وهو ثلاثة أشياء؛ العامل، والمعمول، والعمل، أي الإعراب، فوجب ترتيبها على ثلاثة أبواب"،³ ويعُدُّ هذا الترتيب لافتًا في بنيته، إذ يخالف المنهج المتداول في غالب المدون التعليمية التي تبدأ عادة بالكلام وأقسامه، كما في "الإجرمية"، أو بالإعراب والبناء كما في "قطر الندى"، ولذلك

¹ انظر: محمد بن بير علي البركوي، *إظهار الأسرار في علم النحو*، تحقيق: لجنة التحقيق بجامعة الإمام أبي الحسن الأشعري (الكويت: دار الضياء، ط1، 1442/2021).

² انظر: شامل الشاهين، *ينابيع الألفاظ: شرح الإظهار في علم النحو العربي* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1428/2007).

³ البركوي، *إظهار الأسرار*، ص45.

تكتسب هذه البنية الثلاثية أهمية تحليلية، تدفع إلى النظر في مضمون كل باب، ومنطقه الداخلي، وما ينتج عنه من تقسيمات فرعية.

1. باب العامل:

بدأ البركوي هذا الباب بتعريف أقسام الكلمة الثلاثة؛ الفعل، والاسم، والحرف، بوصفها مادةً أوليةً لفهم العامل الذي جعله نقطة الانطلاق في متنه، إدراكًا منه أهمية هذا المفهوم في ضبط القواعد النحوية، وقدّمه بتعريف دقيق: "العامل ما أوجب بواسطةٍ كونَ آخر الكلمة على وجهٍ مخصوصٍ من الإعراب".¹

وقد نظمَ البركوي هذا الباب تنظيمًا محكمًا، وابتدأه بذكر العوامل اللغظية، ثم ختم بالعوامل المعنوية، وقسمَ العامل اللغظي إلى قسمين رئيسيين:

- سماعي هو نوعان؛ عامل في الاسم، وعامل في الفعل المضارع،² فالعامل في الاسم حروف الجر، والحرف المشبهة بالفعل، و(إلا) في الاستثناء المنقطع، و(لا) النافية للجنس، و(ما) و(لا) المشبهتان بالفعل (ليس)، والعامل في الفعل المضارع النواصب والجوازم.

- قياسي هو تسعه؛³ الفعل، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والمصدر، والإضافة، والاسم المبهم النام، ثم ما كان دالًّا على معنى الفعل. ثم انتقل إلى العامل المعنوي، فاختزله في اثنين؛ العامل في المبتدأ والخبر، والعامل في الفعل المضارع،⁴ ليصل مجموع العوامل عنده إلى ستين عاملاً، ويكشف هذا التصنيف عن رؤية تعليمية تُراعي الفروق بين مستويات الطلبة، وتعكس وعيًا بالعوامل من حيث هي أدوات إجرائية لفهم البنية النحوية، لا تصنيفات نظرية فحسب.

¹ المصدر السابق، ص 47.

² انظر: المصدر السابق، ص 53.

³ انظر: المصدر السابق، ص 69.

⁴ انظر: المصدر السابق، ص 84.

ومن الواضح أن البركوي في كتابه "إظهار الأسرار" لم يكتفي بعرض العامل عرضًا سطحيًا، بل عالجه تحليلًا وتفصيلًا في كثير من الموضع، فلم يكتفي بتعريفه، بل فصل القول في العوامل اللفظية والمعنوية، وعرض حروف الجر وأحكامها، وناقش مسائل دقيقة، من مثل حذف حرف الجر من المفعول فيه أو المفعول له، وحذف حروف الجر من (أن) و(أنَّ)، إضافة إلى حذفها سعًا.¹

وحين عرضه الحروف المشبهة بالفعل؛ توسيع فيها بتحليل هزي (إنَّ) و(أنَّ)، وتحفيف (كأنَّ) و(لكنَّ)، وناقش التقدير وجواز التناوب بينها.²

ولم يكتفي بتحديد مواضع العامل، بل توسيع في شرح أنواعه وأثره في الجملة العربية، ويتضح ذلك من تقسيمه الفعل إلى لازم ومتعدٍ، وبيان ما يتربّى على كل نوع نحوياً، ومعالجته أفعال المدح والذم وأفعال القلوب؛³ مباحثٌ نادرة في بعض المتون التعليمية، وكذا تخصيصه فرات للأفعال الناقصة، وشرح تقديم أخبارها،⁴ وهو ما يدلُّ على وعيه الخلافات النحوية والتطبيقات البلاغية، وعナイته بأفعال المقاربة تعكس إهاطته بباحثة دقة تخصُّ باب العامل، وهذا ما يُظهر عناية البركوي بالربط بين باب العامل وباب المعمول، أي بين النظرية والتطبيق، وبخاصة حين عالج العامل في الفعل المضارع، والجواز، واهتمامه بالاسم المشتق، إذ عرض في هذا الباب عناصر نحوية، من مثل اسمي الفاعل والمفعول، والصفة المتشبهة، وأسم التفضيل،⁵ وكلها تتعلق بالعامل الوصفي، وعرض البركوي أيضًا العامل من جهة التركيب الإضافي،⁶ وهي معالجة نادرة في المتون التعليمية.

¹ انظر: المصدر السابق، ص 56-58.

² انظر: المصدر السابق، ص 60-66.

³ انظر: المصدر السابق، ص 69-71.

⁴ انظر: المصدر السابق، ص 74.

⁵ انظر: المصدر السابق، ص 75-76.

⁶ انظر: المصدر السابق، ص 77-79.

2. باب المعمول:

بدأ البركوي بتمييز ما يُعد معمولاً، وما لا يُعد كذلك، فقسم الألفاظ إلى:¹

- ما لا يكون معمولاً أصلاً؛ الحرف، والأمر بغير اللام.
- ما يكون معمولاً دائمًا؛ الاسم، والفعل المضارع.
- ما الأصل فيه ألا يكون معمولاً؛ الفعل الماضي بعد الناصب والجازم، والجملة.

ثم قسم المعمولات إلى معمول بالأصلية، ومعمول بالتبعية،² وخصص الأول بتقسيم رباعي؛ المفوعات، والمنصوبات، والمحورات، والمحزومات، وعرف في كل قسم أهم أنواعه بتعريف موجز يتبعه مثل، محافظاً على نسقه المختصر، وبعدها عالج المعمول بالتبعية، وجعله مخصوصاً في خمسة؛ الصفة، والعطف بالحرف، والتوكيد، والبدل، وعطف البيان.

ويتميز هذا الباب بتركيزه على مبدأ الأثر، فالمعمول لا يفهم إلا عبر علاقته بالعامل، ويدرك عبر ما يطرأ عليه من تغيرات، وقد حصر البركوي أنواع المعمولات بثلاثين نوعاً، مما يدل على ميله إلى التعقيد والضبط.

وتبدو القسمة في هذا الباب منطقية من حيث الإجراء النحوي، إذ تدرج وفقها كثير من الأبواب الفرعية، من أبرزها المفوعات، من مثل الفاعل ونائبه، والمبتدأ وخبره، والمنصوبات من مثل المفاعيل، والحال، والمستثنى، وكذا المحورات، والمحزومات.

ويلاحظ أن البركوي قد رتب المفوعات وفق رتبها النحوية، مقدماً الفاعل، ثم نائب الفاعل، فالمبتدأ والخبر، تليها سائر أبواب الاسم العامل فيه، وكذا يُظهر الكتاب عنابة بتوضيح الفرق بين المواطن التي يجب فيها استثار الضمير أو يجوز، وأثر علامات التأنيث، والجمع السالم، وغيرها من القرائن التركيبية، أما المنصوبات فقد صنفت تصنيفاً دقيقاً يعكس وعيها بمقاصد النحو التعليمي، ومن ذلك الفصل بين المفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه، ثم عرض الحال، والتمييز، والمستثنى؛ على نحو متدرج.

¹ انظر: المصدر السابق، ص 87-90.

² انظر: المصدر السابق، ص 93.

3. باب الإعراب:

عرف البركوي الإعراب بأنه "شيء جاء من العامل، يختلف به آخر المعرف" ¹ وهو تعريف ينطلق من البنية الوظيفية للإعراب لا من ظاهره الشكلي فقط.

وقد قسم الإعراب إلى أربعة أقسام: ²

- وفق الذات والحقيقة: الإعراب بالحركة، أو بالحرف، أو بالحذف.
- وفق المثل النحوي للكلمة.
- وفق النوع؛ رفع، ونصب، وجر، وجزم.
- وفق الصفة؛ إعراب لفظي، وتقديرى، ومحلى.

ثم فصل في مسألة المبنيات، فذكر أن المبني نوعان؛ أصلي، وعارض، ³ فالأصلي من مثل الحروف، والفعل الماضي، و فعل الأمر من غير لام عند البصريين، والجملة، وأما العارض فإما أن يكون لازماً لا ينفك، كالمضمرات وأسماء الإشارة والموصلات (غير أيٍ وأية)، وأسماء الأفعال، وما على وزن (فعال) مصدرًا أو صفة أو علماً مؤنث ك(حذام)، وأصوات البهائم، وبعض المركبات من مثل (سيبويه، بعلبك، حضرموت، أحد عشر)، ⁴ وإما أن يكون غير لازم، أي يجوز فيه البناء، وقد يعرب، من مثل (قبل، بعد، فوق، أمام، وراء، حسب، الآن، المنادى المفرد المعرفة، اسم (لا) النافية للجنس، الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد أو نون النسوة)، ⁵ أما جائز البناء فمن مثل الظروف المضافة إلى الجمل (يومئذٍ، حينئذٍ)، وكذا (مثل) (غير) مع (ما، أن، أن). ⁶

¹ المصدر السابق، ص 123.

² انظر: المصدر السابق، ص 123-127.

³ انظر: المصدر السابق، ص 132.

⁴ انظر: المصدر السابق، ص 132-134.

⁵ انظر: المصدر السابق، ص 135-136.

⁶ انظر: المصدر السابق، ص 136.

وقد بينَ أحکام المنادی، وذكر أن المنادی المفرد المعرفة يُبني على ما يُرفع به، إلا إن لحقته ألف النسبة أو الاستغاثة، أو دخلت عليه لام الابتداء، وإن كان المنادی مضافاً أو نكرة أو شبيهاً بالمضاف، تُصب بفعل مقدر، وله أحکام في البدل والعلطف الحالی من اللام.¹ وبيّن أيضاً أحکام اسم (لا) النافية للجنس، إذا كان مفرداً نكرة متصلة بـ(لا) غير مكررة، فإنه يجب بناؤه، نحو: (لا رجل)، أما إن تكررت (لا)، نحو: (لا حول ولا قوة)، فجائز فيه خمسة أوجه؛ البناء، أو الرفع، أو فتح الأول مع نصب الثاني ورفعه، أو رفع الأول مع فتح الثاني.²

وبهذا يُظهر البركوي وعيّاً نحوياً دقيقاً في ربط الإعراب بالبناء، وتفصيل أسبابهما، وتحديد مواضع الإلزام والجواز، مما يمنع الطالب أداة متكاملة لفهم الظاهرة الإعرابية في أبعادها النظرية والعملية.

ويُعدُّ هذا الباب خاتمة المتن، وقد رتبه البركوي ترتيباً يكشف عن وعي متقدّم بالتصنيف النحوی؛ يُبّرز التفاصیل إلى الوظيفة النحوية والدلالة للإعراب، لا إلى العالمة فقط، ثم كان عرضُ أقسام المبني، فقد فرق البركوي بين اللازم وغيره، وأورد أمثلة تطبيقية لكل منهما، من مثل المنادی المفرد المعرفة، وبعض الکنایات، والمضارع المتصلة به إحدى نوين النسوة أو التوكيد.

ومن خصائص هذا الباب أنه أكثر تحريراً من سابقیه، ويستند إلى فهم اصطلاحی متقدّم، وهو ما يدلُّ على أنه موجّه إلى مرحلة تعليمية لاحقة، أو أنه يُعدُّ تمهيداً للمتون الأعلى، ويظهر فيه مزجُ بين التصنيف التعليمي والتفسير المصطلحي.

ويتّضح من عرض أبواب الكتاب أن البركوي لا يقدّم ترتيباً جديداً فحسب، بل تصوّراً معرفياً متماسكاً، يبدأ من أصل الحركة الإعرابية (العامل)، وينتّهى ب موضوعها (المعمول)، وينتهي بنتيجةها (الإعراب)، وتكشف هذه البناء عن وعي عميق بوظيفة النحو في التعليم،

¹ انظر: المصدر السابق، ص 135.

² انظر: المصدر السابق، ص 136.

وعن نزعة عقلية تربط بين المفاهيم وال العلاقات، لا بين المفردات المجردة، وبذا يُعدُّ تبويب "إظهار الأسرار" مثلاً فريداً في المدرسة النحوية المتأخرة، يستحق الوقوف على منطقه ومقارنته بسائر المتون التعليمية.

البنية المعرفية في ترتيب أبواب "إظهار الأسرار"

استند الإمام البركوي في تنظيم كتابه "إظهار الأسرار في النحو" إلى بنية ثلاثة عَبَّر عنها صراحة بقوله: "فهذه رسالة فيما يحتاج إليه كلُّ مُعِرب أشدَّ الاحتياج، وهو ثلاثة أشياء؛ العامل، والممْول، والعمل، أي الإعراب، فوجب ترتيبها على ثلاثة أبواب" ،¹ ومع أن هذا الترتيب يبدو في ظاهره بسيطًا؛ ينطوي على رؤية متماسكة تعتمد نسقًا منهجيًّا يبدأ من العلة النحوية (العامل)، وينتُجُ عنها التطبيقية (الممْول)، وينتهي بتأثير تلك العلاقات (الإعراب)، ومن ثم تسعى هذه القراءة إلى تحليل هذا الترتيب الثلاثي، واستخلاص ملامح المفهوم الذي يحكمه، وبيان مدى اتساقه مع المقاصد التعليمية والمنهجية التي توحّاها البركوي، مع مقارنة ذلك بما هو سائد في المتون النحوية التعليمية.

1. مركزية العامل: من التفسير إلى التأسيس

اختار البركوي أن يبدأ كتابه بباب العامل، فجعله نقطة الانطلاق في معالجة الظواهر النحوية، مُبِرِّزاً أثره في صوغ الإعراب، وعرَّفه بأنه "ما أوجب بواسطةٍ كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب" ،² ويعكس هذا التعريف رؤية تقييم الإعراب على مبدأ التأثير السببي. ويبدو أن هذا التقديم لم يكن اعتباطياً، بل هو تأسيس لبناء الجملة العربية من المؤثرات التي تنظم العلاقة بين أجزائها، فبدلاً من البدء بأقسام الكلمة أو الكلام - كما جرت العادة في المتون التعليمية - بدأ من العامل الذي يُنتج بنية الجملة، في تعبير واضح عن عقلية نحوية تفهم الجملة بوصفها شبكة من العلاقات، لا تجمِيعاً لأجزاء.

¹ المصدر السابق، ص 45.

² المصدر السابق، ص 47.

2. المعمول: تمثيل الأثر النحووي

تبعًا للمنطق السببي الذي بدأ به، جعل البركوي الباب الثاني خاصًا بالمعمول، أي الجهة المتأثرة بالعامل، وقسمه إلى معمول أصلي، ومعمول بالتبعية، ثم عالج المعمولات الأصلية وفق أثر العامل فيها، فهي المفروعات، والمنصوبات، والمحزومات، والمحورات.

وقد حافظ في عرضه على تعريفات موجزة مصحوبة بأمثلة، من دون الدخول في تفصيات أو خلافات، ملتزمًا منهاً تعليميًّا يقتصر على القاعدة الصافية، فالمعمول لا يفهم إلا من جهة تأثيره بالعامل، وهو ما يعزّز مركبة العلاقة التحويية في بناء الجملة.

وتميز هذا الباب بتوسيع دائرة النظر إلى الجملة، فلم يقتصر على موقع واحد فيها، بل شمل جميع موقع التأثر الإعرابي، مما يدل على وعيٍ بالبنية الشاملة للتركيب العربي، وميل نحو تقيين هذه الظواهر في نظام مضبوط.

3. الإعراب: تمثيل النتيجة الظاهرة

خصص البركوي الإعراب بالباب الثالث، وعرفه بأنه "شيء جاء من العامل، يختلف به آخر المعرب" ¹، وهو بذلك يعطي الإعراب موقع النتيجة، لا العلة، أي بوصفه مظهراً خارجياً لعلاقة داخلية سابقة بين العامل والمعمول.

ولم يقتصر البركوي في هذا الباب على تعريف ظاهري، بل قسم الإعراب إلى أربعة مستويات متداخلة؛ وفق الذات (نوع العالمة)، ووفق المدل، ووفق النوع (رفع، نصب، جرّ، جزم)، ووفق الصفة (لفظي، تقديربي، محلّي)، وناقش أيضًا بعض مسائل البناء، مبينًا ما يجب بناؤه وما يجوز، مما يعكس وعيًا دقيقًا بالنقاطعات بين الإعراب والبناء.

4. بنية ثلاثة ذات نسق مفاهيمي سببي:

يُستنتج من هذا التبؤب أن البركوي أقام بناء كتابه على تسلسل سببي كما يأتي:

المرحلة	الباب	الوظيفة المعرفية
أولاً	العامل	تحديد العنصر المؤثر في بنية الجملة (السبب التحوي)
ثانياً	المعمول	بيان الجهات المتأثرة بذلك العامل (نتائج التأثير)
ثالثاً	الإعراب	توصيف الأثر الظاهر لذلك التأثير داخل الجملة

¹ المصدر السابق، ص 123.

وهذا التصور يختلف عن المتون التي تبدأ من الوصف والتقطيع، إذ يرى البركوي أن المعنى النحوي يسبق التصنيف، وأن العلاقة تسبق العلامة.

5. التيسير والتعليم: نحو قاعدة خالصة

يُلاحظ في عرض البركوي الطواهر النحوية ميله إلى التيسير، والاقتصار على جوهر القاعدة من دون استطراد أو ذكر خلاف، فكل قاعدة تُعرض بتحديد موجز، يليه مثلٌ واحد في الغالب، من دون تتبع الاستثناءات أو الخلافات، مما يتيح للمتعلم فهم الأساس قبل الخوض في التفريعات.

وتكتشف بنية الترتيب الثلاثي في "إظهار الأسرار" عن نسقٍ مفهوميٍّ محكم، يبدأ من العلة (العامل)، ثم يتدرج إلى محل الأثر (المعمول)، وينتهي بعذر الأثر (الإعراب)، ويمثل هذا التصور نقلةً منهجيةً في عرض المادة النحوية، لا تستند إلى التصنيف الظاهري للكلمات، بل إلى تحليل العلاقة النحوية بوصفها بنية حاكمة.

وبذلك يتَّضح أن اختيار البركوي لهذا الترتيب لم يكن شكليًّا، بل كان نابعًا من رؤية تربط بين الفهم النحوي والتعليم، وبين المفهوم والعرض، وبين القاعدة والغاية، وهو ما يجعل من "إظهار الأسرار" أنموذجًا دالًّا على تحول في البناء المعرفي للمتون النحوية في المدرسة المتأخرة.

تبسيب كتاب "إظهار الأسرار" مقارنةً ببعض المتون النحوية التعليمية

يُحظى التبسيب النحوي بأهمية بالغة في بناء المؤلف التعليمي، إذ لا يقتصر أثره على تنظيم المادة، بل يتتجاوز ذلك إلى الكشف عن الرؤية الفكرية للمؤلف ومنهجه في تصنيف المعرفة، ومن هذا المنطلق يجد تبسيب البركوي في "إظهار الأسرار" جديراً بالدرس؛ إذ رتب كتابه على نحوٍ غير مألف، فقسمه ثلاثة أبواب رئيسية؛ العامل، ثم المعمول، ثم الإعراب، منطلقاً من المؤثر النحوي، مارًّا بما يقع عليه الأثر، وصولاً إلى النتيجة الإعرابية.

وهذا الترتيب لا يشبه ما درجت عليه أغلب المتون التعليمية التي سبقت البركوي أو عاصرته؛ إذ غالباً ما تُبنى على تقسيمات تقليدية، من مثل أقسام الكلمة، أو مواضع

الإعراب، أو الوظائف النحوية، من دون اعتبارٍ واضح للعلاقة السببية التي تربط بين عناصر الجملة، لذا نقارن تبويب "إظهار الأسرار" بتبويبات بعض المتون التعليمية التي لاقت انتشاراً واسعاً في بيئات التعليم التقليدي، من مثل "الأجرمية"، و"قطر الندى"، و"شنور الذهب"، لنكشف وجوه الاختلاف والتميُّز في منهجية البركوي، ونبين أثر اختياره في تسهيل المادة النحوية أو تعقيدها.

1. تبويب "إظهار الأسرار" بين منطق التصنيف والعلاقة السببية:

قسم البركوي كتابه - كما رأينا - إلى ثلاثة أبواب مترابطة، ويكشف هذا التقسيم عن تصور رصين لبنية الجملة العربية، ينطلق من المُسَبِّب (العامل)، إلى النتيجة (الإعراب)، مروراً بالوسيل (المعلم)، وهو بذلك يؤكد مبدأ أصيلاً في التفكير النحوي، مفاده أن الإعراب فرع العامل، وأن العامل لا يكون إلا في معموله، ويجعل منه هيكلًا تصنيفيًّا للكتاب كله.

وقد يُعدُّ هذا المنحى نقلة نوعية في التصنيف التعليمي، إذ لم يقتصر البركوي على تبعُّ وظائف الكلمات، بل جعل العلاقة النحوية نفسها - من حيث التأثير والتأثير - هي الأساس في ترتيب المادة العلمية، وهو ما ندرَ أن نجده في المتون التعليمية الأخرى، ولو في مؤلفات المدرسة المتأخرة.

2. تبويب كتاب "الأجرمية":

"الأجرمية" لابن آجروم (ت723هـ) واحدة من أكثر المتون التعليمية تداولاً في البيئات التعليمية، ولا سيما المغربية، وقد اعتمدت طويلاً بوصفها مدخلاً للمبتدئين.

يبدأ هذا المتن بتعريف الكلام وأقسامه، فيقول: "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، وأقسامه ثلاثة؛ اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنٍ"¹ ثم يتقل إلى علامات الإعراب، ويشرع في بيان المفروعات والمنصوبات والمحرورات.

ويلاحظ أن هذا التبويب يعتمد على تصنيف عناصر الجملة وفق وظيفتها الإعرابية لا علاقتها التأثيرية، إذ يظهر العامل ضِمناً في الشرح، ولكنه لا يُخصَّص له باب مستقل، ولا

¹ ابن آجروم، الأجرمية (الرياض: دار الصميعي، ط1، 1419/1998)، ص.5.

يُنفي عليه تصنيف شامل، فنجد مثلاً قوله: "الفاعل هو الاسم المفوع المذكور قبله فعله" ،¹ من دون أن يكون لهذا الرافع مكانٌ خاص في الهيكل العام للكتاب.

ومن ثم يتبيّن أن "الآجرمية" تعتمد منهجاً وظيفياً مباشراً، في حين يميل تبويب البركوي إلى المنهج السببي التحليلي، وهو ما يجعله أكثر عمقاً في ترتيب المفاهيم النحوية، وإن كان أبسط في المعالجة.

3. تبويب "قطر الندى":

ينطلق ابن هشام (ت761هـ) من التعريف بالكلمة وأقسامها، ثم ينتقل إلى الإعراب وأنواعه، فيقول: "أنواع الإعراب أربعة؛ رفعٌ، ونصبٌ، في اسم، و فعل، نحو: (زيدٌ يَقُوم)، و(إِنْ زِيَّدَا لَنْ يَقُوم)، وجِرٌّ في اسم، نحو: (بِزِيَّدٍ)، وجِزْمٌ في فعل، نحو: (لَمْ يَقُم)" ،² ويتدرج بعد ذلك في عرض المفوعات، فالمتصوبات، فالمجرورات، فالنوابع.

ومع أن ابن هشام يولي مفهوم العامل عنايةً في الشرح، ويُضمنه في التحليل النحوي؛ لا يفرد بالتبسيط، ولا يجعل العلاقة بين العامل والمعمول إطاراً تصنيفياً، ويظهر هذا النمط في "شذور الذهب" أيضاً، الذي حافظ على الترتيب نفسه، وإن اتسم بمزيد من التفصيل والدقة.

ويُفهم من ذلك أن ابن هشام التزم بمنهج التقسيم الوظيفي الذي يرتكز على مواضع الإعراب أكثر من أساليبه، وهو ما يجعل تفُرُّد البركوي أكثر وضوحاً وجلاء.

4. رؤية نقدية في تبويب البركوي:

يُظهر النظر في تبويب كتاب "إظهار الأسرار" فرادةً منهجيةً تتجاوز حدود التصنيف التعليمي المعتاد؛ إذ إن البركوي لا يكرر النمط القائم على سرد الأبواب الإعرابية وفق الوظيفة، بل يعيد بناء المادة النحوية على أساس العلاقة السببية بين المفاهيم، جاعلاً من العامل محوراً تأسيسياً تنبثق عنه سائر المباحث، وهذه نقلة نوعية في التفكير النحوي

¹ المصدر السابق، ص11.

² ابن هشام، *قطر الندى* (القاهرة: دار السلام، ط5، 1433/2012)، ص8.

التعليمي، لأنه - في حدود الاطلاع - أول من افتح كتاباً نحوياً تعليمياً بباب العامل، مخالفًا مسار المتون التعليمية التي تبدأ بالعرب والمبني، أو بآبوب الإعراب الجزئية، من غير استحضار البنية التأثيرية الكامنة خلف الظاهرة النحوية.

ومع ذلك لا تخلو هذه الفرادة من ملاحظات، إذ إن بدء كتاب تعليمي بالمفاهيم المجردة - من مثل العامل، وعلل العمل، وأنواعه - قد لا يكون ملائماً للمبتدئ الذي لم تتشكل لديه بعد أدوات الفهم التحليلي، وهو ما قد يوقعه في التلقى من دون استيعاب، إضافة إلى أن طبيعة العامل تقوم على التجريد والتحليل، وهي مرحلة تتطلب تدريجاً معرفياً يهديء لها المتعلم عبر نماذج تطبيقية أولاً، ثم الانتقال إلى التأصيل النظري، وهنا يظهر سؤال مهم:

- هل قدم البركوي التدرج الكافي للانتقال من الأمثلة إلى القاعدة، أو افترض مستوى متقدماً لدى الطالب؟

هذا السؤال لا يقلل من قيمة منهجه، بل يفتح باباً للحوار في كيفية تحويل الفكرة إلى مسار تعليمي مُجدٍ.

ومهما تكن هذه الملاحظة فإن تبويب البركوي يمثل وعيًا عميقاً بطبيعة النظام النحووي في أصله، لأن النحو في جوهره يقوم على تفسير العلاقات، لا على حفظ القواعد، ومن ثم يدرك أن تبويه ليس ترتيباً جديداً فحسب، بل هو رؤية معرفية تنقل النحو من التلقين إلى التحليل، ومن الوصف إلى التفسير، ومن تجزئة الأبوب إلى بناء منطقي يربط بين العامل (السبب)، والمعمول (الأثر)، والإعراب (الصورة الظاهرة).

وقد بيّنت مقارنة تبويب البركوي بتبويبات بعض المتون التعليمية، أن البركوي لا يكتفي بالمخالفة الشكلية، بل يؤسس نسقاً ذهنياً جديداً يقدم النحو في صورة سلسلة سببية متتابعة، وهو ما يمنح الطالب قدرة على إدراك الترابط الداخلي للمفاهيم، بدلاً من الاكتفاء بحفظ الحدود والأمثلة، وهذه النزعة التحليلية تجعل عمله حلقة مهمة في تطور التأليف النحووي من التلقين إلى الفهم التحليلي.

خاتمة

سعى هذا البحث إلى تحليل بنية كتاب "إظهار الأسرار في النحو" للإمام البركوي، وذلك بال الوقوف على ترتيب أبوابه، وطريقة عرض المادة النحوية فيه، وقد تبيّن أن البركوي اعتمد في تأليفه تقسيمًا ثلاثيًّا واضحًا؛ يشمل باب العامل، وباب المعمول، وباب الإعراب، وهذا التقسيم لم يكن شكليًّا أو اصطلاحيًّا فحسب، بل عكس رؤية معرفية منهجية تُسمّ بالتركيز والدقة، وتميز من أشهر المتون النحوية التعليمية.

وقد توصل البحث إلى نتائج تُبرّز فرادة منهج البركوي في مصنفه، من أبرزها:

1. يُمثّل الترتيب الثلاثي الذي اعتمدته البركوي تصوّرًا نحويًّا عقلائيًّا، ينطلق من المؤثّر (العامل)، إلى ما يتأثّر به (المعمول)، وينتّم بالاًثر الناتج (الإعراب).
2. خالف البركوي في ترتيبه النماذج التعليمية الشائعة، من مثل "الآجرمية"، و"قطر الندى"، مفضلاً تنظيم المادة النحوية على أساس وظيفي لا على أساس وصفي.
3. يندرج هذا التبويب ضمن سياق المدرسة العثمانية التي اجتهدت إلى تيسير المعرفة النحوية للتعليم.
4. جعل البركوي العامل مفتاحًا للتفسير النحووي، في حين مثل المعمول مجال التطبيق، ومثل الإعراب أثر العلاقة بينهما، فجاء الترتيب وفق بناء منطقي محكم.
5. أثّسَم متن "إظهار الأسرار" بالاختصار والتركيز على الوظائف، متحيّلاً المسائل الخلافية، وهو ما جعله صالحًا للطلبة المبتدئين، ومناسبًا أغراض التعليم الأساسي.
6. يمكن تلخيص بنية الكتاب بوصفها بنية تفسيرية تقوم على العلاقة السببية (عامل، فمعمول، فعمل أو إعراب).

وهكذا أظهر البركوي في كتاب "إظهار الأسرار" رؤية نحوية تعليمية تتجاوز السائد، لا من حيث المحتوى، بل من حيث المنهج والنظرية إلى الظاهرة النحوية نفسها، فاختار أن يبدأ بالعامل بوصفه الأساس المؤثّر، ثم بال minden بوصفه حاملاً للوظيفة، ليصل في النهاية إلى الإعراب بوصفه أثر هذه العلاقة، مقدّماً أنموذجاً نحوياً يُسمّ بالوضوح والتيسير، ولكنه في عمقه يعكس فهماً بنويًّا متماسكاً يستحق مزيداً من البحث والنظر.

المصادر والمراجع

- ابن آجروم، الآجرومية (الرياض: دار الصيمعي، ط1، 1419/1998).
- ابن هشام، قطر الندى (القاهرة: دار السلام، ط5، 1433/2012).
- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين (إستانبول: وكالة المعرفة، 1951).
- حاجي خليفة، كشف الظنون (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- خير الدين الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002).
- شامل الشاهين، ينابيع الألفاظ شرح الإظهار في علم النحو العربي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1428/2007).
- عبد الله صالح الأيوبي، فوائح الأذكار في حل نتائج الأفكار في شرح الإظهار، تحقيق: ذاكر الحنفي (عمان: دار النور المبين، ط1، 1438/2017).
- عمر كحالة، معجم المؤلفين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993).
- محمد بن أحمد الصبوجه وي، فتح الأسرار في كتاب الإظهار، تحقيق: محمد داود محمد إبراهيم الأفغاني (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1430هـ).
- محمد بن بير علي البركوي، إظهار الأسرار في النحو، تحقيق: أنور بن أبي بكر الشيشي الداغستاني (جدة: دار المنهاج، ط1، 1430/2009).
- محمد بن بير علي البركوي، إظهار الأسرار في علم النحو، تحقيق لجنة التحقيق بجامعة الإمام أبي الحسن الأشعري (الكويت: دار الصياغ، ط1، 1442/2021).
- محمد فوزي أفندي، فتح المرام في تعريف أحوال الكلمة والكلام، تحقيق: محمد عمر سبسبوب، محمد سنبور (دمشق: الدار الشامية، ط1، 1442/2021).
- مصطفى بن حمزة آطه لي، نتائج الأفكار في شرح إظهار الأسرار (إستانبول: دار السراج، ط1، 1440/2019).

References

- Abdullāh Ṣāliḥ al-Ayyūbī, *Fawātīh al-Adhkār fī Ḥall Natā’ij al-Afkār fī Sharḥ al-Iżhār*, Dhākir al-Ḥanafī (Ed.) (Amman: Dār al-Nūr al-Mubīn, 1st Ed., 2017).
- Ḩājī Khalīfa, *Kashf al-Zunūn* (Beirut: Dār Ihyā’ al-Turāth al-‘Arabī).
- Ibn Ājurruм, *al-Ājurruмiyya* (Riyad: Dār al-Şumyī, 1st Ed., 1998).
- Ibn Hishām, *Qatr al-Nadā* (Cairo: Dār al-Salām, 5th Ed., 2012).
- Ismā’īl Bāshā’ al-Baghdādī, *Hadiyah al-‘Arifīn* (Istanbul: Wikālah al-Ma‘ārif, 1951).
- Khyruddīn al-Ziraklī, *al-A’lām* (Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 15th Ed., 2002).
- Muhammad Fawzī Afandī, *Fath al-Marām fī Ta’rīf Aḥwāl al-Kalima wal-Kalām*, Muhammad ‘Umar Sabsūb & Muhammad Sunūbūr (Eds.) (Damascus: al-Dār al-Shāmiyya, 1st Ed., 2021).
- Muhammad ibn Aḥmad al-Şabūjah Wī, *Fath al-Asrār fī Kitāb al-Iżhār*, Muhammad Dāwūd Muḥammad Ibrāhīm al-Afghānī (Ed.) (Master’s thesis, al-Jāmi‘a al-Islāmiyya, Madinah, 1430H).
- Muhammad ibn Bīr ‘Alī al-Barkawī, *Iżhār al-Asrār fī al-Nāḥw*, Anwar ibn Abī Bakr al-Shaykhī al-Dāghistānī (Ed.) (Jeddah: Dār al-Minhāj, 1st Ed., 2009).
- Muhammad ibn Bīr ‘Alī al-Barkawī, *Iżhār al-Asrār fī ‘Ilm al-Nāḥw*, Lajnah al-Taḥqīq bi-Jāmi‘ah al-Imām Abī al-Hasan al-Ash‘arī (Ed.) (Kuwait: Dār al-Ḍiyā’, 1st Ed., 2021).
- Muṣṭafā ibn Ḥamza Āṭah Lī, *Natā’ij al-Afkār fī Sharḥ Iżhār al-Asrār* (Istanbul: Dār al-Sirāj, 1st Ed., 2019).
- Shāmil al-Shāhīn, *Yanābī‘ al-Alfāz: Sharḥ al-Iżhār fī ‘Ilm al-Nāḥw al-‘Arabī* (Beirut: Mu’assasah al-Risālah, 1st Ed., 2007).
- ‘Umar Kaħħal, *Mu’jam al-Mu’allifīn* (Beirut: Mu’assasah al-Risālah, 1st Ed., 1993).



مناهج التعليم البديلة في عالم مفتوح

التعلم المتكامل للغة أجنبية في دول جنوب شرق آسيا

قمر الزمان عبد الغني*

مُستخلص

في عصر العولمة، تتنامي الحاجة إلى إتقان أكثر من لغة، وبخاصة في سياق تعلم اللغات الأجنبية، إذ يواجهه تعليم اللغات الأجنبية - ولا سيما العربية - في دول جنوب شرق آسيا؛ تحديات فريدة تتطلب اتباع منهج مجدي ومبتكراً، من مثل منهج التعلم المتكامل بين المحتوى واللغة (CLIL)، الذي يجمع بين تعليم المحتوى العلمي وتعلم اللغة الأجنبية في آنٍ معًا، ويبتعد للطلبة فرصة تحسين كفاءتهم في اللغة الأجنبية، مع اكتساب المعرفة في مجال محدد، وقد أثبتت هذا المنهج نجاحه في عدة دول أوروبية، ويطبقاليوم أكثر في برامج تعلم اللغات في دول جنوب شرق آسيا، ففي سياق تعلم العربية لغة أجنبية، يمكن تقديم أنموذج تطبيقي متكامل عبر تكيف المحتوى العلمي، من مثل مواد الفقه والسيرة والحديث التي تدرس بالعربية، ويتضمن الأنماذج المقترن استعمال مواد تعليمية غنية بالمحتوى العلمي واللغوي، مع تمارين عملية ترتكز على تفاعل الطلبة باللغة العربية، وبتطبيق المنهج المتكامل يؤمن أن يصبح تعلم اللغة العربية أكثر جدوياً وتحفيزاً للطلبة في دول جنوب شرق آسيا، ومن ثم تحسين كفاءتهم اللغوية، وإعدادهم لمواجهة تحديات عالم متراصط ومفتوح على نحو متتسارع.

مفاتيح البحث: التعلم المتكامل، تعليم العربية لغة أجنبية، المحتوى، التعدد اللغوي، التعليم والتعلم

* أستاذ مشارك، قسم الدراسات اللغوية، كلية الدراسات اللغوية والتنمية البشرية، الجامعة الماليزية في كلنتن، ماليزيا،
kamarulzaman@umk.edu.my



Alternative Educational Curricula in an Open World: The Integrated Learning of Arabic as a Foreign Language in Southeast Asian Countries

Kamarulzaman Abdul Ghani*

Abstract

In the age of globalization, there is an increasing need to master more than one language, particularly in the context of foreign language learning. Foreign language education - especially Arabic - faces unique challenges in Southeast Asian countries that require the adoption of effective and innovative methodologies. One such approach is Content and Language Integrated Learning (CLIL), which combines the teaching of scientific content with the learning of a foreign language simultaneously. This method provides students with the opportunity to enhance their proficiency in the foreign language while acquiring knowledge in a specific field. CLIL has proven successful in several European countries and is increasingly applied in language learning programs in Southeast Asia. In the context of learning Arabic as a foreign language, a comprehensive applied model can be proposed by adapting scientific content, such as jurisprudence, biography, and hadith, which are taught in Arabic. The proposed model includes the use of educational materials rich in both scientific and linguistic content, along with practical exercises that focus on student interaction in Arabic. By implementing this integrated curriculum, it is hoped that learning Arabic will become more effective and motivating for students in Southeast Asia, thereby enhancing their linguistic competencies and preparing them to face the challenges of an interconnected and rapidly evolving world.

Keywords: CLIL, TAFL, content, multilingualism, T&L

* Associate Professor, Department of Linguistic Studies, Faculty of Linguistics and Human Development, University Malaysia Kelantan, Malaysia, kamarulzaman@umk.edu.my.

مُقدمة

بات التواصل اليوم أكثر مكانة من أي وقت مضى، إذ تسعى العولمة إلى إلغاء الحواجز في عالمنا، وجعله مترباطاً متصلًا بوتيرة متسارعة، لذا أصبحت قدرة الشخص على التحدث بلغات عدّة اليوم من المهارات الرئيسة التي لا تؤثّر في حياة الفرد الشخصية فحسب، بل تمتد آثارها إلى العلاقات الدولية، والتجارة العالمية، والتقارب والتكامل الثقافي،¹ فالقدرة على إتقان أكثر من لغة تفتح الأفراد فرصـة المشاركة في المجتمعـات العالمية بسلامـة وجـدوـيـ، وغـنـيـهمـ من فـهمـ الثـقـافـاتـ المـتـنـوـعـةـ فيـ هـذـاـ الـعـالـمـ وـتـقـدـيرـ فـرـادـتـهـ، وـمـعـ هـذـاـ التـنـطـوـرـ، شـهـدـ التـعـلـيمـ أـيـضـاـ تـحـوـلـاتـ رـئـيـسـةـ اـسـتـجـاـبـةـ لـلـاحـتـيـاجـاتـ الـعـالـمـيـةـ الـجـدـيـدـةـ، إـذـ أـصـبـحـ تـعـلـيمـ الـلـغـاتـ لـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ أـدـاءـ لـلـتـوـاـصـلـ، بلـ تـحـوـلـ إـلـىـ وـسـيـلـةـ لـفـهـمـ الـعـالـمـ الـأـوـسـعـ.²

إن القدرة على التحدث بأكثر من لغة لا تقتصر على أنها ميزة تنافسية في سوق العمل، بل تسهم في إثراء تجربة الفرد الحياتية، بمنـحـهـ مـجـمـوعـةـ مـتـنـوـعـةـ منـ الـآـرـاءـ وـطـرـقـ التـفـكـيرـ المـخـتـلـفـةـ،³ فـأـنـ يـكـونـ المـرـءـ مـتـعـدـدـ الـلـغـاتـ؛ لـاـ يـوـقـرـ لـهـ فـوـائـدـ عـمـلـيـةـ فيـ حـيـاتـهـ الـمـهـنـيـةـ فـحـسـبـ، بلـ يـعـزـزـ هوـيـتـهـ فيـ سـيـاقـ عـالـمـيـ أـكـثـرـ رـحـابـةـ، وـيـمـتـازـ مـتـعـدـدـ الـلـغـاتـ أـيـضـاـ بـقـدـرـةـ أـكـبـرـ عـلـىـ مـارـسـةـ التـفـكـيرـ النـقـدـيـ، وـحـلـ المـشـكـلـاتـ، وـالـتـوـاـصـلـ الدـبـلـوـمـاـسـيـ، وـهـوـ مـاـ يـمـكـنـهـ مـنـ إـلـيـسـهـامـ فيـ بـنـاءـ عـلـاقـاتـ دـوـلـيـةـ أـفـضـلـ.⁴

ولـاـ يـمـكـنـ إـنـكـارـ المـكـانـةـ الـحـيـوـيـةـ الـتـيـ يـضـطـلـعـ بـهـاـ مـتـعـدـدـ الـلـغـاتـ فيـ عـالـمـ الـيـوـمـ الـذـيـ تـتـسـارـعـ فـيـهـ وـتـيـرـةـ الـعـوـلـمـةـ، فـفـيـ عـصـرـ يـقـومـ عـلـىـ التـوـاـصـلـ الـفـورـيـ وـالـتـرـابـطـ الـوـاسـعـ؛ يـتـيحـ إـتـقـانـ

¹ See: D. Crystal, *English as a Global Language* (Cambridge University Press, 2003).

² See: F. Grosjean, *Bilingual: Life and Reality* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010).

³ See: C. Baker, *Foundations of Bilingual Education and Bilingualism* (Multilingual Matters, 2011).

⁴ See: M. Byram, *Teaching and Assessing Intercultural Communicative Competence* (Multilingual Matters, 2021).

لغات عدّة فرصاً أوسع في مختلف مجالات الحياة تقريراً، ففي قطاع الأعمال مثلاً ترى الشركاتُ التي تضمُ موظفين يجيدون أكثر من لغةً، أنها تمتلك قدرةً أكبر على دخول الأسواق الدولية وبناء علاقات مؤثرة مع شركاء من دول عدّة، ولا يقتصر الأمر على سهولة التواصل فحسب، بل يمتدُ ليشمل فهماً أعمق للثقافات والقيم المختلفة التي تُعدُّ عناصر رئيسة في ترسّيخ علاقات تجارية ناجحة طويلة الأمد.¹

وبالإضافة إلى ذلك، لمتعددي اللغات مكانة محورية في تعزيز العلاقات الدبلوماسية بين الدول، إذ يستطيع الدبلوماسيون وقادة العالم - الذين يمتلكون القدرة على التواصل بلغات عدّة - بناء علاقات أوثق مع نظيرائهم في البلدان الأخرى، مما يسهل النقاشات في القضايا العالمية المعقدة، من مثل السلام، وتغيير المناخ، والتنمية الاقتصادية، ويساعد هذا التمكّن اللغوي في التعامل مع القضايا الدولية تعاملًا مُجدياً، ويحدُّ من التوترات التي قد تنشأ نتيجة سوء الفهم الثقافي أو التواصل غير الواضح.

المنهج المتكامل بين المحتوى واللغة (CLIL)

هو أحد المناهج التعليمية التي تحظى بعناية متزايدة في تعليم اللغات الأجنبية، نظراً إلى قدرته على الدمج بين تعليم اللغة وتقديم المحتوى العلمي في إطار عملية تعليمية شاملة مُجديّة، ففي هذا المنهج لا تدرس اللغة بوصفها موضوعاً مستقلاً فحسب، بل توظّف أداةً للوصول إلى مجالات معرفية عدّة، ودراستها، من مثل العلوم، والتاريخ، والرياضيات، والدراسات الدينية، وغيرها من الحالات،² لذا يرتكز المنهج المتكامل على التعلم اللغوي الوظيفي المرتبط بالسياق،

¹ See: J. Cenoz, & D. Gorter, *Multilingual Education: Between Language Learning and Translanguaging* (Cambridge University Press, 2015).

² See: D. Coyle, P. Hood & D. Marsh, *CLIL: Content and Language Integrated Learning* (Cambridge University Press, 2010).

إذ يكتسب الطلبة مهارات اللغة بالتزامن مع تعلم محتوى علمي باللغة نفسها، كأن يتطور الطلبة الذين يدرسون اللغة الإنكليزية في سياق مواد علمية أو تاريخية؛ مهاراتهم اللغوية (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة)، في مواقف متنوعة وسياقات مختلفة.

ويسهم هذا الارتباط بين اللغة والمحظى في تعزيز اكتساب اللغة بطريقة طبيعية مُجدية، إذ هو ارتباط مباشر بين استعمال اللغة وعملية التعلم، ومن ثم يجعل المنهج المتكامل عملية تعلم اللغة أكثر شمولًا ومكانة، لأنَّه يساعد الطلبة في ربط تعلم اللغة بالحياة اليومية والعالم الواقعي الذي يعيشون فيه.¹

ويعتمد المنهج المتكامل في تعلم اللغة الأجنبية على عدة نظريات رئيسة تساعد في تفسير جدواه في تعلم اللغة، منها:

1. النظرية الاجتماعية الثقافية:

ووضعها فيجوتسكي (Lev Vygotsky)، ليؤكِّد فيها مكانة التفاعل الاجتماعي في عملية التعلم، مشيرًا إلى أنَّ الطلبة يحققون تقدُّمًا أفضل عندما يتلقُّون الدعم من المعلمين والأقران، وفي سياق المنهج المتكامل يتحقَّق هذا التفاعل الاجتماعي بآلية الدعم التدريجي (Scaffolding)، إذ يتلقَّى الطلبة الدعم الذي يحتاجون إليه في المراحل الأولية من التعلم، ثم يُمحون تدريجيًّا مزيدًا من الحرية لإتقان اللغة والمحظى على نحو مستقلٍ، ويوли التعلم في إطار المنهج المتكامل عناءً بالأنشطة التعاونية، إذ يمكن للطلبة التفاعل مع أقرانهم والمعلمين لمناقشة الموضوعات العلمية باللغة المستهدفة، وبهذه الطريقة يمكن للدعم الاجتماعي وسياقات التعلم الواقعية أن تساعد الطلبة في مواجهة تحديات اللغة بكفاءة أعلى.²

¹ See: M. Meyer, “The Rise of the Knowledge Broker,” *Science Communication*, 32, 2010, pp.118-127.

² See: K. Abdul Ghani, *Pembelajaran Bersepadu Bahasa Arab CLIL* (Penerbit UMK, 2024).

2. نظرية اكتساب اللغة:

قدمها كراشين (Stephen Krashen) ليؤكد أن تعلم اللغة يتم في سياق طبيعي ذي معنى، ويرى أن التعرض المستمر والهدف للغة يسهم في تكين الطلبة من إتقانها بسهولة أكبر، مقارنة بالاعتماد على حفظ قواعد النحو فقط، وفي إطار المنهج المتكامل يُمنح الطلبة فرصةً لتعلم اللغة عبر ما يسمى "المدخلات ذات المعنى"، وموافق التعلم الأصيلة، من مثل المناقشة، والكتابة، وقراءة المواد العلمية باللغة المستهدفة، ويساعدهم هذا في تعلم اللغة بطريقة طبيعية مُجدية، بما يتفق مع نظرية كراشين التي تشير إلى أن التعرض الكافي للغة في سياقات الحياة الواقعية يُعد مفتاحاً لاكتساب اللغة بنجاح.¹

3. إطار العمل (C4):

قدمه كويل (Do Coyle) عام (1999)، وهو أداة مؤثرة في تحضير التعليم في سياق المنهج المتكامل، إذ يتضمن هذا الإطار أربعة عناصر متكاملة متابطة في عملية التعلم، هي:²

- المحتوى (Content): يركز على تعلم المعرفة العلمية عبر اللغة المستهدفة، من مثل الدراسات الدينية، أو العلوم، أو التاريخ، أو الرياضيات.
- التواصل (Communication): يتضمن مهارات اللغة الضرورية للتفاعل ومعالجة المحتوى، من مثل الاستماع، والتحدث، والقراءة.
- الإدراك (Cognition): يعني بتطوير التفكير النقدي وحل المشكلات، إذ لا يتقن الطلبة اللغة فحسب، بل يفهمون أيضاً المعرفة العلمية التي تعلموها ويطبقونها.
- الثقافة (Culture): يؤخذ بالحسبان بعد الثقافى في عملية التعلم، إذ يكتسب الطلبة فهماً للقيم الثقافية المرتبطة باللغة، إلى جانب المهارات اللغوية.

¹ See: S. D. Krashen, *Principles and Practice in Second Language Acquisition* (Pergamon Press, 1982).

² See: D. Coyle, "Supporting CLIL: The 4C Framework," *Educational Research and Development Journal*, 23(1), 1999, pp.45-58.

ويتضمن إطار العمل (C4) ألا يقتصر تعلم اللغة على الجوانب اللغوية وحدها، بل يشمل تطوير المهارات المعرفية والمعرفة التخصصية العميقية، ويساعد ذلك في ضمان أن يكون التعلم عبر تطبيق المنهج المتكامل متوازناً شاملاً، مما يعود بالنفع على الطلبة بطرق عدّة.

4. أنموذج الثلاثية اللغوية:

قدم كويل أيضاً مفهوم "الثلاثية اللغوية" (Language Tryptich) الذي يعتمد ثلاثة مبادئ رئيسية في تعلم اللغة ضمن إطار المنهج المتكامل،¹ ويتضمن هذا المبدأ:

- الطلقـة: القدرة على استعمال اللغة بحرية في مجموعة متنوعة من مواقف التواصل.
- الكفاءـة اللغـوية: معرفـة بنـية اللغة، والقدرة على استـعمالـها استـعمالـاً صـحـيـحاً في السـيـاقـات المـنـاسـبـةـ.
- الوعـي الـاجـتمـاعـي والـثـقـافـيـ: فـهمـ السـيـاقـات الـاجـتمـاعـيـ وـالـثـقـافـةـ المرـتـبـطـةـ باـسـتـعمـالـ اللـغـةـ، وكـذـاـ كـيـفـيـةـ إـبـرـازـ اللـغـةـ قـيـمـ تـلـكـ الثـقـافـاتـ.

ويوضح هذا الأنموذج اللغوي أن تعلم اللغة في إطار المنهج المتكامل يتطلب العناية بهذه الجوانب الثلاثة في آنٍ معاً، مع التركيز على الطلقـة والـكـفاءـةـ اللـغـوـيـةـ في السـيـاقـاتـ العلمـيـةـ، إـلـىـ جـانـبـ فـهمـ الشـفـافـةـ المرـتـبـطـةـ بالـلـغـةـ.²

ويضيف هذا الأنموذج بـعـدـاـ أـعـقـمـ إـلـىـ المـنـهـجـ المـكـامـلـ بـالـتـركـيزـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـبعـادـ رـئـيـسـةـ لـتـعـلـمـ اللـغـةـ؛ـ لـغـةـ التـعـلـمـ، وـلـغـةـ لـلـتـعـلـمـ، وـلـغـةـ عـبـرـ التـعـلـمـ، وـتـكـتـسـبـ هـذـهـ الـأـبعـادـ مـكـانـةـ كـبـيرـةـ فيـ سـيـاقـ تـعـلـمـ الـعـرـبـيـةـ لـغـةـ أـجـنبـيـةـ فيـ دـوـلـ جـنـوـيـ شـرـقـ آـسـيـاـ، حيثـ لـاـ تـسـتـعـمـلـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ لـإـتـقـانـ بـنـيـتـهـاـ فـحـسـبـ، بلـ لـفـهـمـ المـخـتـوـيـ الـعـلـمـيـ المرـتـبـطـ بـالـإـسـلـامـ وـثـقـافـتـهـ.

¹ See: Abdul Ghani, *Pembelajaran Bersepada Bahasa Arab CLIL*.

² See: D. Coyle, "The Language Tryptich: Integrating Language Learning in CLIL," *International Journal of Bilingual Education and Bilingualism*, 10(5), 2007, pp.545-560.

ففي البُعد الأول تشير (لغة التعلم) إلى اللغة التي يستعملها الطلبة لفهم المحتوى العلمي الذي يدرسوه، وفي إطار تعليم العربية لغةً أجنبيةً في دول جنوب شرق آسيا، توظّف العربية لغةً تعلم لإتقان مختلف التخصصات العلمية، وبخاصة في الدراسات الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، وتفسير القرآن الكريم، وبتعلم اللغة العربية عبر المحتوى العلمي، يطّور الطلبة فهماً أعمق للمحتوى، إضافة إلى إتقان اللغة، ففي دراسة التاريخ الإسلامي أو تفسير القرآن الكريم مثلاً، يكتسب الطلبة المعرفة العلمية، ويعززون مهاراتهم في اللغة العربية في آنٍ معًا.

وفي البُعد الثاني تشير (لغة للتعلم) إلى اللغة المستعملة في عملية التعلم نفسها، بما في ذلك اللغة التي يستعملها المعلّمون للتعليم، وكذلك اللغة التي يستعملها الطلبة للتواصل في الأنشطة التعليمية، وفي تعلم العربية لغةً أجنبيةً، تُشتمل مهاراتها جيّعاً (الاستماع، التحدث، الكتابة، القراءة) في سياق علمي، ويستعمل الطلبة اللغة العربية للتواصل في الأنشطة التعليمية، من مثل المناقشات الصفيّة، أو العروض التقديمية، أو كتابة المقالات، وهو ما يتبع لهم اكتساب محتوى علمي مرتبط بالإسلام، مع تطوير مهارات التواصل باللغة العربية الضرورية لحياتهم اليومية والاجتماعية.¹

وفي البُعد الثالث تشير (لغة عبر التعلم) إلى تعلم اللغة الذي يحدث عبر الأنشطة العلمية نفسها، وفي سياق تعلم العربية لغةً أجنبيةً في دول جنوب شرق آسيا، يكتسب الطلبة المهارات اللغوية اكتساباً غير مباشر بدراسة موادٍ من مثل التاريخ الإسلامي، أو العلوم الإسلامية، كأن يمكن للطلبة تطوير الطلاقة في استعمال المصطلحات التقانية أو المفردات المتخصصة المتعلقة بالموضوعات العلمية التي يدرسوها، وذلك بتوظيف اللغة العربية في دراسة هذه التخصصات العلمية، إذ يتمكّن الطلبة من إتقان اللغة إتقاناً أعمق وأكثر تفصيلاً، بما يتجاوز القواعد أو المفردات الشائعة.²

¹ See: *Ibid.*

² See: Coyle et al., *CLIL: Content and Language Integrated Learning*.

وهكذا تكون لأنموذج الثلاثية اللغوية مكانته في المنهج المتكامل، إذ يوفر هيكلًا واضحًا لكيفية تفاعل اللغة والمحتوى العلمي تفاعلاً متنامياً في عملية التعلم، ويدمج تلك الجوانب الثلاثة؛ لا يقتصر المنهج المتكامل على إتقان اللغة العربية فحسب، بل يسهم أيضًا في تعزيز فهم الطلبة للتخصصات العلمية التي يدرسوها، من مثل الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ويسهم هذا التكامل في زيادة جدوى تعلم اللغة، إذ لا يتعلم الطلبة اللغة بوصفها كياناً معزولاً، بل أداةً تستعمل في حياتهم العلمية والاجتماعية.

وبتطبيق أنموذج الثلاثية اللغوية في تعلم اللغة العربية؛ تتاح للطلبة في دول جنوب شرق آسيا فرصة لتطوير الطلاقة اللغوية، مع توسيع فهمهم الإسلام وثقافته، ويمكن هذا المنهج الطلبة من إتقان اللغة العربية في سياق أكثر شمولية وارتباطاً بالواقع، بدلاً من الاقتصار على دراسة اللغة بوصفها موضوعاً لغوياً صرفاً.

5. أنموذج المتوازية (Continuum):

قدمه بال (Phil Ball) ليكون إطاراً تحليلياً مهمًا في فهم آليات تطبيق المنهج المتكامل في البيئات التعليمية، إذ ينظر في هذا الأنماذج إلى المنهج المتكامل بوصفه متوازية تتراوح بين درجات متفاوتة من تكامل المحتوى مع اللغة، فعند أحد طرفي هذه المتوازية، ينصب التركيز على استعمال اللغة أداةً لتعلم المحتوى من دون العناية بالجوانب اللغوية، وعند الطرف المقابل، يكون التركيز منصبًا على الجوانب اللغوية، مع الاستفادة من المحتوى العلمي بوصفه وسيطاً لدعم تعلم اللغة وتطوير كفاءاتها.

ووهذا التصور يتبع أنموذج المتوازية للمعلمين اختيار مستوى التكامل الأنساب بين اللغة والمحتوى بما يتفق واحتياجات الطلبة وفرادة السياق التعليمي، وينحهم مرونةً أكبر في تصميم الدروس والتخطيط لبرامج المنهج المتكامل، بما يضمن تحقيق التوازن المطلوب بين أهداف تعليم اللغة وأهداف المحتوى العلمي، وصولاً إلى تنفيذ أكثر جدوى وشمولية للمنهج.¹

¹ See: P. Ball, "Language and Content in CLIL," *CLIL Research Journal*, 4(2), 2009, pp.21-39.

قضايا تعلم اللغة العربية في دول جنوب شرق آسيا

للغة العربية في دول جنوب شرق آسيا مكانة مركبة، وبخاصة في السياق الإسلامي، فهي لغة القرآن الكريم والعلوم الشرعية، إذ هي لغة المتون التراثية التي تقوم عليها المؤسسات التعليمية الدينية، ومهما تكن هذه المكانة المركزية للغة العربية في صوغ الهوية الدينية والثقافية للمجتمعات المسلمة في المنطقة، فإن عملية تعلمها ما تزال تواجه جملة من التحديات التي تستدعي معالجة منهجية لتعزيز حدوى تعلمها وتيسير اكتسابها لدى الطلبة، ومن تلك التحديات ما يأتي:

1. نقص المعلمين المؤهلين:

من أبرز التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في دول جنوب شرق آسيا، فكثير من معلمي العربية لا يتلقّون تدريباً مهنياً كافياً في طرائق التعليم الحديثة، ولا سيما تلك التي تعتمد مقاربات تفاعلية وسياقية في تعليم اللغات، من مثل المنهج المتكامل،¹ وما يزال التعليم في كثير من المؤسسات قائماً على الأساليب التقليدية التي ترتكز على القواعد والحفظ والتلقين، مع إغفال يارز لتوظيف اللغة في سياقات حياتية واقعية، وهذا يُسهم في صوغ صورة ذهنية سلبية لدى الطلبة، تجعل اللغة العربية تبدو مادة صعبة جامدة، وهو ما يحدُّ من قدرتهم على اكتسابها اكتساباً مُجدِّداً.

وتزداد المشكلة تعقيداً بوجود عجز في المعلمين القادرين على توظيف العربية بطلاقه في بيئة التعليم، إذ يقتصر استعمال كثير منهم للغة العربية على تعليم النطق أو عرض القواعد، من دون ممارستها بوصفها لغة تواصل حيّة في الصف، ويعودي هذا النمط المحدود من الاستعمال إلى تقليل فرص الطلبة في تطوير مهاراتهم التواصلية، مما يجعل اكتساب اللغة أقل شمولية وجدوى.²

¹ See: A. Alshammari, "The Role of CLIL in Teaching Arabic as a Foreign Language," *Journal of Linguistics and Language Teaching*, 8(1), 2020, pp.20-35.

² See: R. Abdullah & M. Ismail, "Challenges in Learning Arabic Language among Southeast Asian Student," *International Journal of Language Studies*, 2020, 15(2), pp.45-60.

2. قلة المواد التعليمية التفاعلية:

فما تزال مؤسسات عدّة تعتمد موادًّا تقليدية في التعليم، من مثل الكتب المدرسية، والتمارين الكتابية، التي ترتكز على الحفظ والمارسات الصارمة، ولا يتّيح هذا النوع من المواد خبراتٍ تعلُّم لغوي ذات معنى، أو سياقاً واقعياً يمكنُ الطلبة من توظيف اللغة توظيفاً حيّاً، فضلاً عن

أنه لا يواكب التطوّرات المتسارعة في مجال التقانة التعليمية.¹

ومع التقدُّم الكبير في التقانة التعليمية، ظهرت منصّات رقمية تدعم تعلُّم اللغة العربية، بما في ذلك تطبيقات الهاتف المحمول، والمقطّعات المرئية التعليمية، والألعاب الرقمية، ولكن مستوىًّا اعتمد هذه التقانة في تعليم اللغة العربية في كثير من دول جنوب شرق آسيا ما يزال محدوداً، ومعظم المواد الحالية غير قادرة على دعم مناهج التعلُّم القائمة على المحتوى، أو تلك التي تعتمد تعليم اللغة في سياقات أكثر ارتباطاً بالحياة الواقعية، وهي عناصر أساسية لتحفيز الطلبة وتعزيز فهمهم.²

3. انخفاض دافعية الطلبة:

إذ يرى كثيرٌ منهم أن العربية لغةً صعبةً، وأن استعمالها يقتصر على المجالات الدينية من دون حضور مؤثر في التواصل اليومي أو الحياة العملية، ويسمّهم هذا التصور في تعزيز شعور الطلبة بأن تعلُّم العربية مهمّة معقدّة غير مفيدة خارج الإطار الشرعي، وبخاصة في ظل اعتماد أساليب تعليم تقليدية تفتقر إلى الحيوية والارتباط بحياة الطلبة.³

وفي بعض البلدان أُدرجت اللغة العربية في مناهج المدارس الدينية، ولكن كثيراً ما لا يرون ضرورة إتقانها، لاعتقادهم بأنّها لا توفر لهم فرصاً ملموسة في مستقبلهم المهني أو

¹ See: H. Yamat et al., “Developing Arabic Language Competency Through CLIL,” *International Journal of Educational Research*, 9(4), 2021, pp.78-96.

² See: *Ibid.*

³ Abdullah & Ismail, *Challenges in Learning Arabic Language among Southeast Asian Student*, pp.45-60.

الاجتماعي، ونتيجة لذلك يتجه كثيرون إلى تعلم لغات أخرى من مثل الإنكليزية أو الماندرين، بوصفها لغات أكثر ارتباطاً بسوق العمل، وأكثر فائدة من الناحية العملية.¹

وكذا تضعف عنابة بعض الطلبة باللغة العربية بجهلهم الفوائد المباشرة لإنقاذهما، سواء في مجالات المعرفة أم في الحياة اليومية، ومن ثم تبرز مكانة اعتماد مناهج تعليمية تعزز الاستعمال العملي للغة، وترتبط بين تعلمها وواقع الطلبة واحتياجاتهم، فلا تقتصر العملية التعليمية على الجانب العلمي، بل تشمل أيضاً توظيف اللغة في مواقف تواصلية حقيقة، وهو ما يؤكّد عليه المنهج المتكامل في بعده الثالث (اللغة عبر التعلم).²

4. الاختلافات في المناهج وطرائق التعليم بين دول جنوب شرق آسيا:

تتميز منطقة جنوب شرق آسيا بتنوع ثقافي وديني ولغوي واسع، وهو ما ينعكس انعكاساً مباشراً على مناهج اللغة العربية وطرائق تعليمها في كلِّ بلد، فقد أدّى اختلاف السياقات التعليمية إلى تباين ملحوظ في مستوى إتقان الطلبة للغة العربية، نتيجة أن لا إطاراً مرجعياً مشتركةً يوجّه تعليم اللغة العربية في المنطقة،³ فالعربية مثلاً تُدرّس في ماليزيا وإندونيسيا في إطار ديني بالدرجة الأولى، إذ يُركّز التعليم على القرآن الكريم والعلوم الشرعية، في حين لا تحظى العربية بالمكانة نفسها في أنظمة التعليم العام في تايلاند والفلبين، إذ قد تُدرّس في مؤسسات محدودة أو في إطار غير رسمي.

ويتتجّع عن هذا التباين تحدّد واضح يتمثّل في غياب منهج عربي موحّد يمكن تطبيقه في مختلف دول المنطقة، بطريقة تراعي الاحتياجات المتعددة للطلبة، إذ ينبغي للمنهج الإقليمي المقترن أن يكون قادرًا على خدمة أغراض متنوعة، سواء كانت دينية أم علمية أم

¹ See: *Ibid.*

² See: Coyle et al., *CLIL: Content and Language Integrated Learning*.

³ See: Cenoz & Gorter, *Multilingual Education*.

مهنية، بالإضافة إلى مواكبة التطورات العالمية في تعليم اللغات، واعتماد أساليب تعليمية حديثة تُمكّن الطلبة من استعمال اللغة العربية بوصفها أداة للتواصل والفهم والتفكير.¹

5. تأثير وسائل الإعلام والثقافة العالمية:

أدى الانتشار الواسع لوسائل الإعلام العالمية، وهيمنة الثقافات الأجنبية؛ إلى خلق بيئة لغوية تنافسية تُضعف مكانة اللغة العربية لدى الطلبة في دول جنوي شرق آسيا، بسبب حضور اللغات العالمية الكبرى - من مثل الإنكليزية والماندرين - في مجالات الإعلام والترفيه والأعمال؛ لم تعد اللغة العربية تحظى بمكانة موازية في الفضاءات الرقمية والمهنية، وهو ما يدفع كثيرين إلى إنقاذ اللغات التي تُعدُّ الأكثر انتشاراً أو الأبرز مكانة في سوق العمل العالمية.²

ومع تطُّور الوسائل الاجتماعية، وتنامي المحتوى الرقمي المتاح بالإنكليزية، بات الطلبة يتعرّضون أكثر للإنكليزية مقارنة بالعربية، وهو ما يعيق الفجوة بينهم وبين اللغة العربية، ويجعلها في نظرهم لغة أقل حضوراً في الحياة اليومية، وأكثر صعوبة في التعلم، ويرسخ هذا الواقع انطباعاً بأنَّ العربية لغة تقليدية أو محدودة الاستعمال، وبخاصة عند غياب ممارسات تعليمية توظِّف اللغة في سياقات معاصرة عمليَّة ترتبط بحياة الطلبة واهتماماتهم.³

ولمعالجة التحديات المذكورة أعلاه، يمكن اتخاذ مجموعة من الإجراءات العملية التي تسهم في تعزيز جدوى تعلم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا، ومن ذلك:

(أ) تحسين تدريب المعلمين ورفع كفاءتهم: يتطلَّب الارتقاء بتعليم اللغة العربية تطوير برامج تدريبية معمقة لعلّميهَا، لتشمل أساليب التعليم الحديثة، من مثل المنهج المتكامل الذي يدمج اللغة بالمحتوى العلمي ضمن سياقات تعليمية أصيلة جاذبة، مع تضمين استعمال التقانة التعليمية في برامج إعداد المعلمين، لضمان قدرتهم على توظيف الأدوات التفاعلية بكفاءة.⁴

¹ See: D. Marsh, *CLIL/EMILE: The European Dimension* (European Commission, 2002).

² See: D. Crystal, *English as a Global Language* (Cambridge University Press, 2003).

³ See: Byram, *Teaching and Assessing Intercultural Communicative Competence*.

⁴ See: Alshammari, *The Role of CLIL in Teaching Arabic as a Foreign Language*, pp.20-35.

(ب) تطوير مواد تعليمية تفاعلية: يعُد توفير مواد تعليمية تقانية حديثة، من مثل التطبيقات التفاعلية، والألعاب التعليمية، ومنصات التعلم الرقمية؛ عاملاً بارزاً في زيادة دافعية الطلبة تجاه تعلم العربية، وكذا استعمال محتوى سياقي مرتبط بحياة الطلبة واهتماماتهم اليومية يجعل التعلم أكثر معنى وجدوى.¹

(ج) ربط تعلم اللغة بالحياة اليومية: من المهم اعتماد إستراتيجيات تعليمية تربط تعلم العربية باستعمالها في مواقف الحياة اليومية، من مثل المشاريع العملية، والأنشطة التشاركية، والدراسات الثقافية، والمواضف التواصلية الحقيقة، وذلك يساعد في تنمية دافعية الطلبة، وإبراز مكانة اللغة خارج الإطار الصفي.²

(ج) تعزيز استعمال التقانة ومنصات التعلم الحديثة: يمكن للواقع الافتراضي (VR)، والذكاء الاصطناعي (AI)، والأدوات التفاعلية؛ أن توفر بيئة تعلم غنية، وتسهم في رفع مستوى الاطلاقة اللغوية عبر المحاكاة والتجارب الواقعية، وهو ما يجعل تعلم العربية أكثر جذباً وجدوى.³

(د) تعزيز التعاون الإقليمي والدولي: تحتاج دول جنوي شرق آسيا إلى تطوير تعاون مشترك هدف وضع مناهج عربية أكثر توحيداً وملاءمة لاحتياجات المنطقة، وكذا يسهم التعاون مع مؤسسات تعليمية في العالم العربي في تحسين جودة التعليم وتبادل الخبرات، بما يعزز الكفاءة اللغوية والثقافية للطلبة.⁴

و بهذه الطريقة يمكن أن يصبح تعلم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا أكثر جذوى ومكانة في سياق التعليم الحديث.

¹ See: Yamat et al, *Developing Arabic Language Competency Through CLIL*, pp.78-96.

² See: Coyle et al., *CLIL: Content and Language Integrated Learning*.

³ See: R. Hassan et al., “The Impact of Virtual Reality in Language Learning,” *Educational Technology Journal*, 10(3), 2022, pp.112-128.

⁴ See: Cenoz & Gorter, *Multilingual Education*.

أنموذج تطبيق المنهج المتكامل في سياق تعلم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا

في ظل التحديات التي تواجهه تعليم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا، يبرز منهج التعلم المتكامل بين المحتوى واللغة (CLIL) بوصفه إطاراً تربوياً قادرًا على تعزيز كفاءة التعليم، وتحسين نتائج التعلم، ويقوم هذا المنهج على دمج تعليم اللغة مع تعليم المحتوى العلمي، فيتعلم الطلبة اللغة العربية بخصائص معرفية أخرى، من مثل الدراسات الإسلامية، والتاريخ، والعلوم، والرياضيات، وغيرها.

ويتيح هذا التكامل للطلبة اكتساب اللغة وظيفياً وواقعيًا، إذ تُقدم العربية في سياقات ذات معنى، لا بوصفها مادة لغوية منفصلة فحسب، وفي سياق تعليم العربية في دول جنوي شرق آسيا، يمثل المنهج المتكامل فرصة مزدوجة، فهو يعزز اكتساب المهارات اللغوية الأساسية والمتقدمة من جهة، ويشري فهم الطلبة المعارف والموضوعات ذات الصلة باللغة العربية وثقافتها ومكانتها في حياة المسلم من جهة أخرى، وتتمثل مكانة هذا المنهج في أنه لا يقتصر على تحسين الكفاءة اللغوية فحسب، بل يربط التعلم بالحياة اليومية، ويعزز القدرة على استعمال العربية في السياقات العلمية والاجتماعية والدينية.

وفيمما يأتي عرضُ العناصر الرئيسية لبناء أنموذج مُجدي لتطبيق المنهج المتكامل في تعليم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا:

1. دمج المحتوى واللغة:

من المكونات الرئيسية في المنهج المتكامل، إذ يتيح للطلبة اكتساب اللغة العربية في سياقات حقيقة، فبتعلم موضوعات من مثل التاريخ الإسلامي، والدراسات القرآنية، والعلوم الإسلامية باللغة العربية، يُتاح للطلبة التفاعل مع اللغة في إطار معرفي أصيل، وهو ما يوسيّع مفرداتهم، وينهي وعيهم البني اللغوية، ويعزز مهاراتهم في الاستعمال الوظيفي للغة.¹

¹ See: Coyle et al., *CLIL: Content and Language Integrated Learning*.

ولا تقتصر مكانة هذا النهج على الجانب اللغوي فحسب، بل تمتد لتشمل توطيد فهم الطلبة المفاهيم المركبة في الحضارة الإسلامية، من مثل التفسير، والسيرة النبوية، وتاريخ الحضارة الإسلامية، وبهذه الطريقة تتحول العربية من أداة للتواصل، إلى وسيلة للولوج إلى الإرث الثقافي والديني والمعري للأمة الإسلامية، وهو ما يحمل مكانة خاصة عند الطلبة في دول جنوب شرق آسيا، ولا سيما المسلمين.

2. التعلم القائم على المشاريع وحل المشكلات:

من الأساليب المجدية التي تشجع الطلبة على تعلم اللغة العربية تعلمًا نشطًا وسياقياً، ففي النهج المتكامل يُنْهَجُ الطلبة فرصةً للتعامل مع مشاكل واقعية، أو تنفيذ مشاريع تتطلب استعمال اللغة العربية في مواقف عملية و مباشرة، وهو ما يعزّز تطبيقهم للمعرفة اللغوية ضمن سياقات الحياة اليومية، ويسمح هذا النهج أيضًا في تطوير التفكير النقدي والإبداعي للطلبة، إذ يتعلّمون توظيف مهاراتهم اللغوية لحل مشكلات حقيقة أو تقديم حلول مبتكرة، كأن تشمل المشاريع التعليمية على مناقشة القضايا المعاصرة في العالم العربي، أو دراسة الأحداث التاريخية المهمة في الحضارة الإسلامية، مما يمنح الطلبة فرصة لاكتساب اللغة في سياقات ذات معنى وجدوى، وبهذه التجارب العملية، يصبح تعلم اللغة العربية أكثر وضوحاً وفائدة للطلبة،

إذ يربط بين المعرفة اللغوية وواقعهم المعيش والاجتماعي.¹

3. دمج التقانة في التعلم:

يؤدي دمج التقانة في تعلم اللغة العربية مكانة محورية في إثراء التجربة التعليمية للطلبة، وتعزيز دافعيتهم، إذ تسهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي، و منصّات التعلم التفاعلية، والوسائل الرقمية المتنوعة؛ في إتاحة بيئة تعلم أكثر تفاعلية، تسمح للطلبة بالتفاعل مع اللغة العربية

¹ See: B. Mohan, C. Leung & C. Davison, "Innovations in the Teaching of Content and Language Integration (CLIL)," *Educational Linguistics Journal*, 23(2), 2021, pp.157-173.

بأساليب ممتعة قابلة للتخصيص، وتمكن هذه التقانيات الطلبة من الوصول إلى محتوى تعليمي مرن في أيٍّ زمان ومكان، وهو ما يدعم التعلم الذاتي، ويفتح المجال أمام إستراتيجيات تعلم ترکز على الطالب.¹

وكذا يمثل توظيف تقانة الواقع الافتراضي إضافة نوعية في تطوير مهارات اللغة العربية، إذ يوفر للطلبة خبرات غنية تحاكي سياقات واقعية، فباستعماله يمكنهم "زيارة" موقع تاريخية عربية، أو مشاهدة مشاهد تفاعلية تحاكي مواقف حياتية واجتماعية باللغة العربية، بما يتيح لهم استيعاب اللغة في سياقها الثقافي والحضاري الأصيل، وتعود هذه المقاربة من أكثر الأساليب جدوى في ربط اللغة بالاستعمال الحقيقى، وتعزيز مهارات الفهم والاستجابة اللغوية لدى الطلبة.

4. تدريب المعلمين على علم أصول التعليم:

يُعد التدريب العميق المستمر لعلمي اللغة العربية عنصراً جوهرياً في نجاح تطبيق المنهج المتكامل، إذ يتطلب هذا المنهج مهارات مزدوجة تجمع بين كفايات تعليم اللغة، وكفايات تعليم المحتوى العلمي باللغة العربية، لذا يحتاج المعلّمون إلى إعداد منهجي يمكّنهم من دمج المحتوى واللغة دمجاً متوازناً في التخطيط التعليمي، ليراعى في الدرس تحقيق أهداف لغوية ومعرفية في آنٍ معاً، وكذا يتطلب تطبيق المنهج المتكامل تمكين المعلم من مهارات تربوية متقدمة، من مثل تصميم أنشطة تعليمية تُسهم في تفعيل اللغة داخل سياقات معرفية، وإدارة بيئة صّفية تُيسّر التفاعل ثنائي البعد بين اللغة والمحتوى.²

وبنّي على التدريب أن يشمل على تزويد المعلّمين بالمعرفة والمهارات الازمة لاستثمار التقانة في العملية التعليمية، بما في ذلك المنصات التفاعلية، وأدوات الذكاء الاصطناعي،

¹ See: Hassan et al., *The Impact of Virtual Reality in Language Learning*, pp.112-128.

² See: Coyle et al., *CLIL: Content and Language Integrated Learning*.

والوسائل المتعددة، وذلك لتعزيز مشاركة الطلبة ودعم تعلمهم بطرق مزنة وأكثر ارتباطاً ببيئتهم التعليمية، ومن شأن هذا التدريب النوعي تمكين المعلّمين من أداء دور "الميستر" في فصول المنهج المتكامل، بما يحقق تعلّماً أعمق وأكثر نجاحاً للطلبة في اللغة العربية.

5. دعم الحكومة والمؤسسات التعليمية:

يُعدُّ الدعم المؤسسي والحكومي عنصراً بارزاً في ضمان نجاح تطبيق المنهج المتكامل في تعليم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا، فالحكومات مطالبة بوضع سياسات وإستراتيجيات تشجع دمج هذا المنهج في المدارس والجامعات، ويشمل هذا الدعم توفير مواد تعليمية عالية الجودة ومتعددة الوسائل، بما في ذلك الكتب المدرسية المعدّة خصيصاً للمنهج المتكامل، والموارد الرقمية التفاعلية، ومنصات التعلم الإلكتروني التي تمكّن الطلبة من الوصول إلى محتوى لغوي وعرفي وصولاً أكثر مرونة، ويسهم هذا الاعتماد الواسع للتقانة التعليمية في تعزيز فرص الطلبة للتدريب على اللغة العربية في سياقات تطبيقية متنوعة.¹

ومن جهة أخرى، يمثل التعاون الدولي - وبخاصة بين دول جنوي شرق آسيا ودول العالم العربي - رافداً مهماً لتطوير تعليم اللغة العربية في المنطقة، فبرامج تبادل الطلبة، وتطوير مهارات المعلّمين عبر دورات تدريبية مشتركة، والتعاون البحثي بين الجامعات؛ كلّها عناصر تُسهم في رفع جودة تعليم العربية، وتعزيز الفهم الثقافي والحضاري لدى الطلبة، ومن شأن هذه الشراكات الدولية أن تعزز البُعد العالمي للغة العربية.

وهكذا يضمن اجتماع العناصر الرئيسية السابقة تطبيقاً مثالياً للمنهج المتكامل في تعليم اللغة العربية في دول جنوي شرق آسيا، وفق إستراتيجيات تجمع المحتوى العلمي والمهارات اللغوية في إطار تعليمي واحد.

¹ See: Yamat et al., *Developing Arabic Language Competency Through CLIL*, pp.78-96.

خاتمة

يقدم منهج التعلم المتكامل بين المحتوى واللغة (CLIL) فرصاً عظيمة لتحسين كفاءة اللغة العربية في دول جنوب آسيا، فتطبيق هذا المنهج تطبيقاً منهجهياً مدروساً - إلى جانب توفير الدعم المؤسسي المناسب - يمكن أن يسهم إسهاماً مباشراً في رفع الكفاءة اللغوية للطلبة، وتطوير مهاراتهم التواصلية في سياقات أكثر أصالة وارتباطاً بحياتهم العلمية والاجتماعية، ولا يقتصر أثر المنهج المتكامل على تحسين الجانب اللغوي فحسب، بل يمتد ليُثري التجربة التعليمية بأكملها، إذ يتيح للطلبة اكتساب اللغة عبر محتوى ذي معنى، ويشجعهم على استعمال العربية استعمالاً وظيفياً في عمليات التفكير، والبحث، والتحليل، وبذل يساعد المنهج المتكامل في تكوين جيل أكثر قدرة على فهم العالم المعاصر والتفاعل معه بوعي وثقة ومهارة، في ظل التحولات المتسارعة التي تتميز بها العولمة والتواصل بين الثقافات.

References

- A. Alshammary, "The Role of CLIL in Teaching Arabic as a Foreign Language," *Journal of Linguistics and Language Teaching*, 8(1), 2020, pp.20-35.
- B. Mohan, C. Leung & C. Davison, "Innovations in the Teaching of Content and Language Integration (CLIL)," *Educational Linguistics Journal*, 23(2), 2021, pp.157-173.
- C. Baker, *Foundations of Bilingual Education and Bilingualism* (Multilingual Matters, 2011).
- D. Coyle, "Supporting CLIL: The 4C Framework," *Educational Research and Development Journal*, 23(1), 1999, pp.45-58.
- D. Coyle, "The Language Tryptich: Integrating Language Learning in CLIL," *International Journal of Bilingual Education and Bilingualism*, 10(5), 2007, pp.545-560.
- D. Coyle, P. Hood & D. Marsh, *CLIL: Content and Language Integrated Learning* (Cambridge University Press, 2010).
- D. Crystal, *English as a Global Language* (Cambridge University Press, 2003).
- D. Marsh, *CLIL/EMILE: The European Dimension* (European Commission, 2002).
- F. Grosjean, *Bilingual: Life and Reality* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010).
- H. Yamat et al., "Developing Arabic Language Competency Through CLIL," *International Journal of Educational Research*, 9(4), 2021, pp.78-96.
- J. Cenoz, & D. Gorter, *Multilingual Education: Between Language Learning and Translanguaging* (Cambridge University Press, 2015).
- K. Abdul Ghani, *Pembelajaran Bersepadu Bahasa Arab CLIL* (Penerbit UMK, 2024).

- M. Byram, *Teaching and Assessing Intercultural Communicative Competence* (Multilingual Matters, 2021).
- M. Meyer, “The Rise of the Knowledge Broker,” *Science Communication*, 32, 2010, pp.118-127.
- P. Ball, “Language and Content in CLIL,” *CLIL Research Journal*, 4(2), 2009, pp.21-39.
- R. Abdullah & M. Ismail, “Challenges in Learning Arabic Language among Southeast Asian Student,” *International Journal of Language Studies*, 2020, 15(2), pp.45-60.
- R. Hassan et al., “The Impact of Virtual Reality in Language Learning,” *Educational Technology Journal*, 10(3), 2022, pp.112-128.
- S. D. Krashen, *Principles and Practice in Second Language Acquisition* (Pergamon Press, 1982).

